الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق
آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي

عاملي، جعفر مرتضى ١٩٤٤م.

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) /**السيد جعفر مرتضى العاملي**. قم: أيام، ١٤٣٢ ق.= ٢٠١٢م. = ١٣٨٩.

٥١٢ ص.

٦٠٠,٠٠٠ ريال   ISBN: ٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩ ـ ٧

فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.

كتابنامه:

١. علي بن أبي طالب (ع)، إمام اول، ٢٣ قبل الهجرت ـ ٤٠ ق سر گذشت نامه. ٢ . إسلام ـ تاريخ از آغاز تا ٤١ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.

٣ ص ٤٢ع BP ٣٧/٣٥   ٢٩٧/٩٥١

١٣٨٩

اسم الكتاب:	**الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام**
اسم المؤلف:	**السيد جعفر مرتضى العاملي**
الناشر:	**نشر أيام**
الطبعة:	**الأولى ١٤٣٢ هـ.ق = ١٣٨٩ هـ.ش =٢٠١٢ م**
عدد المطبوع:	**٢٠٠٠ نسخة**
سعر الدورة: ٣١ ـ ٤٥	**٦٠٠٠٠ توماناً**
ردمك ج٣١:	**٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٣ ـ ٥**

العنوان: ايران ـ قم ـ ٤٥ متري صدوق ـ صدوقي ٦ پلاك ٢٠ تلفن: ٠٩١٢٦٥١٨٨١٤ ـ ٠٩١٢١٥١٧٦٧٧

اين اثر با حمايت معاونت محترم فرهنگي وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى طبع شده است

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السابع:

شهداء.. وقتلى.. وأعلام: نساء.. ورجال..

الفصل الأول: من بطولات المرقال..
الفصل الثاني: المرقال شهيداً..
الفصل الثالث: الأنصار قتلت ذا الكلاع..
الفصل الرابع: قبل استشهاد عمار..
الفصل الخامس: إستشهاد عمار..
الفصل السادس: من حروب صفين.. وحديث الزرقاء..
الفصل السابع: الحرب بعد عمار.. وسودة الهمدانية..
الفصل الثامن: الحرب تستمر.. والحسنان في صفين..
الفصل التاسع: الوقعة الخميسية.. وشهداء كبار..

الفصل الأول:

من بطولات المرقال..

المرقال.. وأهل حمص:

قال ابن أعثم:

قال: وعبى علي أصحابه، وقال: أيها الناس! غضوا الأبصار، واخفوا الأصوات، وأقلوا من الكلام، ووطنوا على المنافاة والمجاولة والموافقة والمسابقة والمكايدة، واثبتوا واتقوا الله لعلكم تفلحون.

ثم دعا هاشم بن عتبة المرقال، فقال له: خذ لواءك إلى أهل حمص، فإنهم بطانة معاوية وظهارته، [وعند المنقري: فقال علي «عليه السلام» لصاحب لواء همدان: اكفني أهل حمص، فإني لم ألق من أحد ما لقيت منهم، فتقدم، وتقدمت همدان وشدوا شدة واحدة على أهل حمص، فضربوهم ضرباً شديداً متداركاً بالسيوف، وعمد الحديد، حتى ألجأوهم إلى قبة معاوية، وارتجز من همدان رجل عداده في أرحب].

وحسب سياق ابن أعثم: أن هاشم المرقال هو الذي ارتجز بهذا الرجز:

قد قتل الله رجال حمص على مقال كذب أو خرص
حرصا على الملك وأي حرص أن نكص القوم وأي نكص
[من طاعة الله وفحوى النص

وحمل أهل حمص]

قال: وجعل رجل [من كندة] من أهل حمص يرتجز، ويقول:

قد قتل الله رجال العالية في يومنا أو في غد أو تالية
[حتى يكونوا كرجام بالية] من عهد عاد وثمود الغاوية
بالحجر أو يملكهم معاوية(1)

ونقول:

إيضاحات:

1 ـ ظهارة الرجل: بطانته، وأهله وخاصته. وظهرته: قومه وعشيرته. والظهارة: ما يجعل على الظهر لوقايته.

2 ـ الرجام: حجارة تنصب على القبر.

3 ـ الموافقة: لعل الصحيح: المعانقة، أو المدافعة، أو نحو ذلك.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص57 و 58 وصفين للمنقري ص437 و 438.

بطانة معاوية وظهارته:

1 - لقد تحدثنا عن هذه الوصايا العلوية في بعض فصول هذا الكتاب، فلا ضرورة لإعادة ذلك، غير أننا نشير هنا إلى أنه «عليه السلام» قد ركز على كسر شوكة أهل حمص، لأمرين:

أحدهما: أن كسر شوكتهم سوف يؤثر على معنويات سائر جيش القاسطين، كما أنه سيصيب معاوية بالإحباط والهزيمة النفسية، لما فيه من كسر هيبته أمام أتباعه، لأن الضربة قد أصابت أخص وأقرب كتائبه إليه، وأوثقهم في نفسه، وآثرهم عنده.

وسوف تختل موازينه بسبب هذه الضربة، وتتبدل أحواله، ولا يبقى لديه ما يعتمد عليه، أو يثق بقدرته على الدفع عنه. وسيضطر لإعادة النظر في تدبيراته من دون أن يجد في شيء منها ما يطمئن باله، وتسكن نفسه إلى جدواه..

الثاني: إن أهل حمص كانوا قد بذلوا جهوداً كبيرة في نصرة باطل معاوية، وأمعنوا في أذى أهل الحق، الأمر الذي جعل من كسر شوكتهم أمراً ضرورياً، حتى لا يتحولوا إلى فزاعة يخشاها ويتحاشى الناس الاقتراب منها في الحرب. فتزداد شراستها، ويعظم شرها، فكان لا بد من مواجهتها بحزم حفظاً لدماء الناس، وإضعافاً لشوكة الباطل، وهكذا كان..

2 - إن إلجاء أهل حمص إلى قبة معاوية، يدل على أن الهزيمة التي مني بها أهل حمص كانت في غاية القسوة، وأنها كانت ساحقة

وماحقة، أفقدتهم مقومات قوتهم.. وتحولوا من حماة لمعاوية، ورأس حربة له إلى هاربين يحتاجون إلى من يحميهم، ويدفع عنهم..

وهذه صدمة روحية قاسية لهم، ولمعاوية على حد سواء.

قبة لمعاوية، ولا مقر لعلي × :

ونود أن نشير هنا إلى أن المتابع لأحداث صفين، يلاحظ: أن معاوية كان قد اتخذ لنفسه قبة جعلها المركز والمحور لجيشه كله، وسعى لأن يحشد حولها أشد الرجال، وأفضل الأبطال لحمايتها، وتأكيد منعتها، ورمزيتها..

ويلاحظ أيضاً: أن كتائب جيش أمير المؤمنين «عليه السلام»، والأبطال العظام، كانت أنظارهم مشدودة إلى تلك القبة. وهممهم مصروفة إلى مهاجمتها، والنيل منها، والوصول إليها، وتحطيمها.

وما أكثر المرات التي طرقت أبوابها، وهتك فيها حجابها، ونزع عنها جلبابها، وفاز بالنصر عليها طلابها.. لأنهم يعلمون أن معاوية فيها يحمي نفسه بالرجال، ويختبئ بين الرحال، عند ربات الحجال.

وكانت هذه الضربات موجعة لمعاوية ولجيشه، وكان لها أثرها القوي في اضعاف معنوياتهم الحربية، ولذلك كانت الخسائر في صفوفهم أكثر، والفشل فيهم أبين وأظهر، بالرغم من كثرة عددهم، وحسن عدتهم، بل كانوا ضعف أصحاب علي «عليه السلام» عدداً، وهم في بلادهم وفي محيطهم، وبين محبيهم، إلى غير ذلك من امتيازات كانت لهم.

وفي مقابل ذلك لم نجد مثل هذه القبة عند أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولم تتهيأ الفرصة لاحد من كتائب، أو فرسان القاسطين أن يطرق أبواب أي موقع تواجد فيه أمير المؤمنين «عليه السلام».

ولم يهيء أمير المؤمنين أي معلم يمكن لمعاوية ولجيشه أن يعتبرها نقطة ارتكاز، وأن يقصدها بقواته ليسقطها، أو لينال منها أي مكروه..

بل كان علي «عليه السلام» في ميدان القتال، يصول ويجول، ويتنقل بين الكتائب، ويشاركها حلو الحياة ومرها. ولا يستطيع معاوية وكل جيشه أن يسددوا لهم أية ضربة تخل بعزيمتهم، وتضعف من معنوياتهم..

فاللامركزية في القيادة في الحرب ـ بمعنى عدم ظهور مقر معروف للقيادة العليا، يمكن للعدو أن يقصده بالعدوان ـ يحجب عن العدو الفرصة، ويحرمه من تسديد ضربات مؤثرة ومؤذية، ويجعله في تيه وضياع كبير..

وهذا هو التدبير الصحيح والسليم.. وما عداه لا يعدو كونه خطأ ترتد آثاره السلبية على أهله.

خوف معاوية من المرقال:

روى نصر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، قال: سمعت الشعبي، يقول: قال الأحنف بن قيس: والله إني لإلى جانب عمار بن ياسر، بيني وبينه رجل من بني الشعيراء، فتقدمنا، حتى إذا دنونا من

هاشم بن عتبة، قال له عمار: احمل فداك أبي وأمي.

ونظر عمار إلى رقة في الميمنة، فقال له هاشم: رحمك الله يا عمار، إنك رجل تأخذك خفة في الحرب، وإني إنما أزحف باللواء زحفاً، وأرجو أن أنال بذلك حاجتي، وإني إن خففت لم آمن الهلكة.

وقد كان قال معاوية لعمرو: ويحك، إن اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة، وقد كان من قبل يرقل به إرقالاً، وإنه إن زحف به اليوم زحفاً إنه لليوم الأطول لأهل الشام، وإن زحف في عنق من أصحابه إني لأطمع أن تقتطع.

فلم يزل به عمار حتى حمل، فبصر به معاوية، فوجه إليه حماة أصحابه، ومن يُزَنُّ بالبأس [والنجدة] منهم في ناحيته، وكان في ذلك الجمع عبد الله بن عمرو بن العاص، ومعه [يومئذ] سيفان، قد تقلد واحداً وهو يضرب بالآخر، وأطافت به خيل علي «عليه السلام»، فقال عمرو: يا الله، يا رحمن، ابني ابني.

قال: ويقول معاوية: صبراً صبراً، فإنه لا بأس عليه.

قال عمرو: ولو كان يزيد بن معاوية إذا لصبرت!

ولم يزل حماة أهل الشام يذبّون عنه حتى نجا هارباً على فرسه، ومن معه، وأصيب هاشم في المعركة[1].

ونقول:

---

(1) صفين للمنقري ص340.

يستوقفنا في هذا النص ما يلي:

الحماس.. والخبرة الحربية:

ذكر هذا النص: أن المرقال «رحمه الله» يقول لعمار بن ياسر: إنك رجل تأخذك خفة في الحرب. وليس المراد بالخفة: التسرع، والهوج، وعدم التركيز، أو فقل: ما يقابل التعقل والرزانة، ليكون قوله هذا انتقاصاً من مقام عمار. بل المراد بها الحماس والهياج، وسرعة الحركة الذي يعطي الحرب زخماً، وأثراً حاسماً. فهو بمثابة قائد مهاجم، يورد ضربته، ويحسم الأمر بسرعة، أو هو الذي توكل إليه مهمة تسعير نار الحرب، وأخذ العدو من بين يديه ومن خلفه بلا هوادة ولا أناة..

وهذا النوع من المقاتلين أكثر عرضة للخطر، لأنه يلقي بنفسه في المهالك، وقد يحتاج إلى أن يناور مع العدو، فيتقدم تارة، ويتأخر أخرى، ويلتف عليه ثالثة. وربما تتم هذه الحركات بأناة تارة، وبسرعة فائقة أخرى.. ولكن السرعة هي الأساس.

أما هاشم المرقال، فهو قائد يراعي أحوال جنده، ويتحرك بهم بهدوء، ويكون خلف الفريق المهاجم، فهو يزحف باللواء زحفاً، ويحاول أن يتقدم ضمن خطة تمنع من الاختراق، ومن الالتفاف، ويتم فيها تحاشي الكمائن، والتحرز من الأفخاخ التي قد ينصبها له العدو.. ولذلك قال هاشم لعمار:

«وإني إنما أزحف باللواء زحفاً، وأرجو أن أنال بذلك حاجتي.

وإني إن خففت لم آمن الهلكة»..

عمرو بن العاص يدعو الله!!:

ولست أدري بأي وجه، وبأي عين يواجه عمرو بن العاص ربه. وكيف لا يستحي منه، وهو يطلب منه أن يحفظ له ابنه. وهو إنما جاء به ليحارب به الله، ورسوله، ووصي رسوله، ويسعى في هدم الدين، ومحو شريعة سيد المرسلين!! وها هو يطلب من ربه أن يسلِّمه له من سيوف المدافعين عن دين الله تعالى، وعن وصي رسول الله..

فإن معنى هذا الدعاء، هو: أنه يريد من الله أن يفسح المجال لعبد الله بن عمرو بن العاص، لمواصلة هدم الدين، وقتل من شاء من المؤمنين، ومن الصحابة والبدريين، والأنصار والمهاجرين، بل وجميع المسلمين، دون أن يمسه أحد بسوء..

وإلا لم يبق معنى لقول عمرو: يا الله، يا رحمان، ابني، ابني!!

هذا هو عبد الله بن عمرو!!:

وقد تقدم: أنهم يزعمون أن عبد الله بن عمرو بن العاص قد حضر صفين مكرهاً. ولولا أن أباه أمره بذلك لم يحضرها. ولكن ماذا يصنع إذا كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي أمره بطاعة أبيه..

ولكن ليت شعري، هل أمره الرسول «صلى الله عليه وآله» بأن يتقلد بسيفين، ليحارب ويقتل المؤمنين بهما؟! بل هل أمره أبوه بذلك

أيضاً؟!

وهل أمره الرسول «صلى الله عليه وآله» أيضاً: بأن يخطب بأهل الشام في مجلس معاوية، ويحرضهم على قتال الإمام والصحابة، وغيرهم من الأخيار والابرار؟!

وهل أمره النبي «صلى الله عليه وآله» أن يطيع أباه أيضاً حين يأمره بقتل عمار الذي قال النبي «صلى الله عليه وآله»: تقتله الفئة الباغية، برواية أبيه، وروايته هو نفسه؟!

وهل أمره بإطاعة أبيه إذا أمره بقتل الحسن والحسين وعلي «عليهم السلام» وسائر البدريين والأنصار والمهاجرين وجماعة من المؤمنين؟!

وألم يسمع بقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟!

وربما كان الهدف إثارة هذه الخزعبلات، واختراع شرعية لحربهم ضد أمير المؤمنين «عليه السلام»، وتحريض الناس على قتاله بهذه الطريقة، كما أشرنا إليه في موضوع آخر في هذا الكتاب.

علي × لا يصلي:

روى نصر، عن عمرو بن شمر، عن رجل، عن أبي سلمة، أن هاشم بن عتبة دعا في الناس عند المساء: ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فليقبل.

فأقبل إليه ناس، فشد في عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً، فليس من وجه يحمل عليه إلا صبروا له، وقوتل فيه قتالاً شديداً، فقال لأصحابه: لا يهولنكم ما ترون من صبرهم، فوالله ما ترون منهم إلا حمية العرب وصبرها تحت راياتها، وعند مراكزها، وإنهم لعلى الضلال، وإنكم لعلى الحق.

يا قوم اصبروا، وصابروا واجتمعوا، وامشوا بنا إلى عدونا على تؤدة رويداً. ثم تآسوا، وتصابروا، واذكروا الله، ولا يُسْلِم رجل أخاه، ولا تكثروا الالتفات، واصمدوا صمدهم، وجالدوهم محتسبين، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

فقال أبو سلمة: فمضى في عصابة من القراء فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه، حتى رأى بعض ما يسرون به، إذ خرج عليهم فتى شاب، يقول:

أنا ابن أرباب الملوك غسان والدائن اليوم بدين غسان
أنبأنا أقوامنا بما كان أن علياً قتل ابن عفان

ثم شد، فلا ينثني يضرب بسيفه، ثم [جعل] يلعن [علياً] ويشتمه، ويسهب في ذمه، فقال له هاشم بن عتبة: إن هذا الكلام بعده الخصام، وإن هذا القتال بعده الحساب. فاتق الله، فإنك راجع إلى ربك، فسائلك عن هذا الموقف، وما أردت به.

[**قال ابن أعثم:** فقال الشامي: وكيف لا أشتمكم ولا ألعنكم، وقد بلغني عن صاحبكم أنه لا يصلي، وأنكم لا تصلون؟!]

وحسب نص المنقري:

قال: فإني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي كما ذكر لي، وأنكم لا تصلون، وأقاتلكم أن صاحبكم قتل خليفتنا، وأنتم وازرتموه على قتله.

فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان؟! إنما قتله أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» وقراء الناس، حين أحدث أحداثاً، وخالف حكم الكتاب. وأصحاب محمد هم أصحاب الدين، وأولى بالنظر في أمور المسلمين. وما أظن أن أمر هذه الأمة، ولا أمر هذا الدين عناك طرفة عين قط.

قال الفتى: أجل أجل، والله لا أكذب، فإن الكذب يضر، ولا ينفع، ويشين، ولا يزين.

فقال له هاشم: إن هذا الأمر لا علم لك به، فخله وأهل العلم به.

قال: أظنك والله قد نصحتني.

وقال له هاشم: وأما قولك إن صاحبنا لا يصلي، فهو أول من صلى مع رسول الله، وأفقهه في دين الله، وأولاه برسول الله.

وأما من ترى معه، فكلهم قارئ الكتاب، لا ينامون الليل تهجداً. فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون.

[وحسب نص ابن أعثم: أما قولك: إننا لا نصلي، فوالله ما فينا أحد يؤخر الصلاة عن وقتها طرفة عين.

وأما قولك عن صاحبنا: أنه لا يصلي، فوالله إنه لأول ذكر صلى من هذه الأمة بعد رسول الله، وإنه لأفقه خلق الله في دين الله، وأولاهم

برسول الله «صلى الله عليه وآله». وليس معه أحد، إلا وهو قارئ لكتاب الله، عالم بحدود الله، فلا يغرنك إلخ..].

قال الفتى: يا عبد الله، إني لأظنك امرأً صالحاً، [وأظنني مخطئا آثما]، أخبرني هل تجد لي من توبة؟!

قال: نعم، تب إلى الله يتب عليك، فإنه يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين.

[قال ابن أعثم: فقنع الشامي فرسه، وركض، فصار إلى علي «عليه السلام»، فكان معه]

وقال المنقري:

قال: فذهب الفتى بين الناس راجعاً، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي!

قال: لا، ولكن نصحني العراقي[1].

ونقول:

الحرب عند المساء:

ذكر النص المتقدم: أن هاشم المرقال دعا في الناس عند المساء، فأقبلوا إليه، فشد فيهم على أهل الشام.. فهل من المعقول أن يكون هاشم قد بدأ هجومه عند المساء؟! والحال أن المساء هو وقت الراحة،

---

(1) صفين للمنقري ص353 - 355 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص118 - 120.

ووقت عودة المقاتلين من الجيشين إلى رحالهما؟!

ونجيب:

أولاً: إن وقت العشاء لا يعني دخول الليل..

ثانياً: قد يكون العدو لم يرض بالعودة عن الحرب عند المساء، لحقد يجيش في صدره، أو لأي سبب آخر، فاضطر هاشم «رحمه الله» إلى متابعة الحرب معه رغماً عنه، كما جرى في ليلة الهرير في صفين.

صبر المحارب لا يعني أنه محق:

يبدو: أن هاشماً حين رأى صبر أهل الشام، قد لاحظ على أصحابه أنهم توهموا أن ذلك لاعتقاد أهل الشام بأن الحق معهم، وإلى جانبهم. إذ لا يظن بمن يقاتل من أجل الدنيا، أن يعرض نفسه للخطر إلى هذا الحد. وربما توهموا أن الحجة لم تقم على هؤلاء بعد، ولا يصح قتالهم قبل توضيح الأمور لهم..

فبادر «رحمه الله» إلى دفع هذا الوهم، بقوله: «لا يهولنكم ما ترون من صبرهم إلخ..» ثم أكد لهم أن قتالهم الشديد هذا ليس لاعتقادهم بأنهم محقون، بل هو قتال يعتمد على مفاهيم صنعتها الجاهلية، وصبر يعتمد على العصبية والحمية، انطلاقاً من أن عليهم أن يصبروا عند المراكز والرايات..

حماس الفتى:

وقد لاحظ هاشم المرقال: أن الفتى الذي خرج عليهم، لم يكن حاله حال غيره ممن يواجهونهم، فهو يصرح بأنه يعتمد في قتاله على ما قاله له قومه، وهو يقاتل بحماس شديد، يدل على أنه مقتنع بما قيل له.. كما أن إسهابه في شتم وذم أمير المؤمنين «عليه السلام» يدل على اقتناعه بأنه «عليه السلام» قد فعل ما يستحق به ذلك..

فأدرك هاشم ذلك كله، وتبين له أن هذا الشاب مضلل، فلم يبادر إلى البطش به جزاء على مبالغته في شتم إمامه، أو انتقاماً منه على شدته في حربه، وضربه لأهل الحق بسيفه.. بل بادر إلى توضيح الأمور له..

فتدرج في الحديث معه، مشيراً في البداية إلى أن كلامه في حق أمير المؤمنين «عليه السلام» بمثابة عدوان منه على الآخرين يجر إلى الخصام، مع أنه لم يكن لهم خصومة معه، فكان عليه أن يتأكد، إن كان يحق له أن يبتدئهم بهذا السب والشتم، قبل أن يسألهم عما عندهم فيما قيل له؟!.

كما أنه هو الذي بدأ بالقتال.. وهذا يدل على أنه هو الذي سيسأله الله تعالى يوم القيامة عن المبرر والسبب الذي استند إليه فيما أقدم عليه..

فعاد الفتى إلى نفسه، ورأى ما عنده فيه أمران:

الأول: أن علياً «عليه السلام» قتل الخليفة عثمان، وأن أصحابه

أعانوه على ذلك.

الثاني: أن علياً «عليه السلام» ومن معه لا يصلون..

جواب المرقال:

ففاجأه المرقال بجوابه الصاعق الذي أخذ عليه السبل، وهو كما يلي:

1 ـ بالنسبة لقتل عثمان، قال له «رحمه الله» ما يلي:

أولاً: ما أنت وقتل عثمان؟! فإنك لست ولي دمه، لأن ولي دمه هم أبناؤه.

ثانياً: إن الذين قتلوه هم الذين نصبوه، ومن تعتقد أنت أنهم هم الذين يحق لهم النصب والعزل، والمحاسبة، والمطالبة.

ثالثاً: إن الذين قتلوه، هم أقرب الناس إلى نبي الله، وأعلمهم بشرعه، وأحرصهم على دينه، وهم الأبرار الأتقياء الذين لا يحتمل في حقهم ميل إلى هوى، أو طمع بحطام الدنيا. وهم:

ألف: أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله». الذين هم أصحاب الدين، وأولى من غيرهم بالنظر في أمور المسلمين..

ب: قراء الأمة، العارفون بكتاب الله..

رابعاً: إنهم لم يقتلوه بلا سبب، بل لأنه أحدث أحداثاً. وخالف كتاب الله. وقد رأوا أنه يستحق القتل لأجلها، فليس لمن غاب عن هذا الأمر أن يحكم عليهم بالخطأ، لأنهم أعلم منه، وأعرف بالدين

وأحكامه، وقد شهدوا أحداث عثمان ومخالفاته، وليس الشاهد كالغائب.

خامساً: إن كلام هذا الفتى يدل على أنه لا يحارب لأجل هذا الدين، بل حمية لخليفة لا يعرف ماذا صنع، ولماذا قتل، ولا من الذي قتله، وما هو موقعه من هذا الدين.

ولذلك قال له هاشم: «وما أظن أن أمر هذه الأمة، ولا أمر هذا الدين عناك طرفة عين قط».

وقد صدَّق ذلك الفتى هاشماً فيما قال، وأقر بأنه لا علم له بأمر عثمان، فعليه أن يخليه لأهل العلم به.

2 ـ بالنسبة لما زعمه ذلك الفتى من أن علياً «عليه السلام» لا يصلي، قال له هاشم:

ألف: إن علياً «عليه السلام» أول ذكرٍ صلى مع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهذا التعبير يدفع بعض التكلفات والمزاعم الباطلة، كقولهم: لعل غير علي قد صلى في بيته، أو في أماكن أخرى قبل علي، لكن علياً «عليه السلام» أول من صلى مع النبي بحكم كونه معه وفي بيته.

وكقول بعضهم: إن علياً «عليه السلام» أول من صلى من الأطفال، وغيره ـ كأبي بكر ـ أول من صلى من الرجال. وغير ذلك من ترهات.

ب: إن علياً «عليه السلام» أفقه الناس في دين الله، فكيف يترك

الصلاة؟ وكيف يمكن تقديم غيره عليه.

ج: إن علياً «عليه السلام» أولى الناس برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكيف يدعي ذلك غيره لنفسه، ويتقدم عليه في الخلافة أو غيرها؟!

3 ـ أما بالنسبة لمن معه «عليه السلام»، فقد قال له هاشم: إنهم:

1 ـ كلهم قارئ لكتاب الله.

2 ـ وكلهم عالم بحدود الله.

3 ـ إنهم يحيون الليل بالتهجد والعبادة.

4 ـ ما فيهم أحد يؤخر الصلاة عن وقتها طرفة عين.

فكيف يقال عنهم: إنهم لا يصلون؟!

مدى دقة هذا الكلام!:

وقد يقال: لا شك في أن ما قاله هاشم المرقال عن أمير المؤمنين «عليه السلام» صحيح، بل هو رشحة يسيرة من رشحات فضائله «عليه السلام»..

أما ما قاله عن الذين معه «عليه السلام»، ففيه إغراق ومبالغة ظاهرة، بل غير مقبولة.. إذ من البعيد أن يكون هاشم مطلعاً على حال جميع من كان معه «عليه السلام» عارف بعدم تأخيرهم الصلاة عن وقتها طرفة عين، وبأن جميعهم قارئ للكتاب.

ولو قبلنا بذلك، فربما كان المقصود بالقراءة قراءة ألفاظ القرآن،

ولو لمرة واحدة في حياتهم.. وإن كنا نشك كثيراً حتى في استغراق هذه الدعوى لجميعهم..

كما أنه لا ريب في أنه ليس جميع من معه «عليه السلام» كان عالماً بحدود الله، وليس كل من معه كان يقضي ليله بالتهجد والعبادة..

فالشمر «لعنه الله» كان معه، وكذلك العشرون ألفاً الذين هددوا بقتله «عليه السلام»، أو بتسليمه إلى معاوية حين لم يوافقهم في خدعة رفع المصاحف.. ثم أجبروه على القبول بأبي موسى.. ثم صار هؤلاء خوارج، وقاتلوه وقتلهم.

وقد أخبر الله عنهم بأنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، وأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم.

فهل هؤلاء كانوا عالمين بحدود الله؟!

ويمكن أن يجاب بما يلي:

ألف: المراد بأنهم قارئون للكتاب: أنهم يقرأون منه ما تيسر.

كما أن النصوص تقول: كان معه في صفين ثلاثون ألفاً من القراء.

وهذا رقم هائل، لا سيما إذا قلنا: إن عدد جيشه «عليه السلام» كان خمسين ألفاً.

وإذا كان من عدا هؤلاء القراء يهتم أيضاً بالقرآن، فذلك يعني: أن جل جيشه «عليه السلام» مصداق لهذا الوصف الذي أطلقه هاشم على الذين هم مع أمير المؤمنين «عليه السلام».. والقليل الباقي يلحق

بالأكثر أو لا يلتفت إليه.

وإذا كان أيضاً لا يهمل القرآن بالكلية فيصح أيضاً وصفه بأنه قارئ للكتاب.

ب: والمراد بأنهم كلهم عالم بحدود الله: هو تلك الحدود التي هي موضع ابتلاء الناس، فكل أصحاب علي «عليه السلام» يعرفون الذنوب ويجتنبونها، ويعرفون الواجبات عليهم من العبادات، وغيرها..

ج: وكل أصحابه «عليه السلام» لا يؤخرون الصلاة عن وقتها، لأن الجميع يصلون جماعة بإمامة أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي لا يؤخرها عن وقت الفضيلة.

كما أنهم كلهم لا يؤخرون الصلاة عن وقتها الذي يجب أداؤها فيه، ولا يتعمد تركها حتى يخرج وقتها، وتصير قضاء..

د: أما أنهم لا ينامون الليل تهجداً، فقد ورد ذلك في رواية المنقري، لا في رواية ابن أعثم.. ولعل هاشماً أخبر عن مشاهداته، فإنه كان يلاحظ كثرة المتهجدين، أينما سار، وحيثما توجه، ولم ير غيرهم، فقاس من لم يره على من رآه.. والشاذ النادر أسقطه من الحساب، ولم يلتفت إليه..

لا خير في أعور لا يأتي الفزع:

روى نصر، عن عمر، قال: حدثني مالك بن أعين، عن زيد بن

وهب الجهنى أن عمار بن ياسر نادى يومئذ: أين من يبغى رضوان ربه، ولا يؤوب إلى مال ولا ولد؟

قال: فأتته عصابة من الناس فقال: أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان، ويزعمون أنه قتل مظلوماً، والله إن كان إلا ظالماً لنفسه، الحاكم بغير ما أنزل الله(1).

وفي حديث عمرو بن شمر، قال: حمل عمار بن ياسر [ذلك] اليوم، وهو يقول:

كلا ورب البيت لا أبرح أجي حتى أموت أو أرى ما أشتهي
أنا مع الحق أحامي عن علي صهر النبي ذى الأمانات الوفي
نقتل أعداه وينصرنا العلي ونقطع الهام بحد المشرفي
والله ينصرنا على من يبتغي ظلماً علينا جاهداً ما يأتلي

قال: فضربوا أهل الشام حتى اضطروهم إلى الفرار(2).

ودفع علي «عليه السلام» الراية إلى هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، وكانت عليه [ذلك اليوم] درعان، فقال له على «عليه السلام» كهيئة المازح: أيا هاشم، أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جباناً؟!

---

(1) صفين للمنقري ص326.
(2) صفين للمنقري ص343.

قال: ستعلم يا أمير المؤمنين، والله لألفن بين جماجم القوم لف رجل ينوى الآخرة.

فأخذ رمحاً فهزه فانكسر، ثم آخر فوجده جاسياً فألقاه، ثم دعا برمح لين فشد به لواءه.

ولما دفع على «عليه السلام» الراية إلى هاشم، قال له رجل من بكر بن وائل من أصحاب هاشم: أقدم هاشم ـ يكرّرها ـ ثم قال: مالك يا هاشم قد انتفخ سحرك، أعوراً وجبناً؟!

قال: من هذا؟!

قالوا: فلان.

قال: أهلها وخير منها، إذا رأيتنى قد صرعت فخذها.

ثم قال لأصحابه: شدوا شسوع نعالكم، وشدوا أُزُرَكُم، فإذا رأيتموني قد هززت الراية ثلاثاً، فاعلموا أن أحدا منكم لا يسبقنى إليها.

ثم نظر هاشم إلى عسكر معاوية، فرأى جمعاً عظيماً، فقال: من أولئك؟!

[قيل: أصحاب ذي الكلاع.

ثم نظر فرأى جنداً، فقال: من أولئك؟!]

قالوا: جند أهل المدينة وقريش.

قال: قومي لا حاجة لى في قتالهم.

قال: من عند هذه القبة البيضاء؟!

قيل: معاوية وجنده.

قال: فإني أرى دونهم أسودة.

قالوا: ذاك عمرو بن العاص وابناه [ومواليه].

وأخذ الراية، فهزها، فقال له رجل من أصحابه: امكث قليلاً، ولا تعجل.

فقال هاشم:

قد أكثروا لومي وما أقلا ... إني شريت النفس، لن أعتلا
أعور يبغي نفسه محلا ... لا بد أن يفل أو يفلا
قد عالج الحياة حتى ملا ... أشلهم بذي الكعوب شلا
مع ابن عم أحمد المعلى ... فيه الرسول بالهدى استهلا
أول من صدقه وصلى ... فجاهد الكفار حتى أبلى

فحمل يومئذ يرقل إرقالاً. [وجعل يقاتل قتالاً لم ير الناس مثله](1).

وروى نصر، عن عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت قال لما كان قتال صفين والراية مع هاشم بن عتبة ـ قال ـ جعل عمار بن ياسر يتناوله بالرمح ويقول: أقدم يا أعور. لا خير في أعور لا

---

(1) صفين للمنقري ص326 ـ 328 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص85.

يأتي الفزع.

قال: فجعل يستحيى من عمار، وكان عالما بالحرب، فيتقدم فيركز الراية، فإذا تتامت إليه الصفوف، قال عمار: أقدم يا أعور. لا خير في أعور لا يأتي الفزع.

فجعل عمرو بن العاص، يقول: إنى لأرى لصاحب الراية السوداء عملاً، لئن دام على هذا لتفنين العرب اليوم.

فاقتتلوا قتالاً شديداً، وجعل عمار يقول: صبرا عباد الله، الجنة تحت ظلال البيض.

وكان لواء الشام مع أبي الأعور السلمى.

ولم يزل عمار بهاشم ينخسه، حتى أشتد القتال، وزحف هاشم بالراية يرقل بها إرقالا، وكان يسمى المرقال(1).

قال: وزحف الناس بعضهم إلى بعض، والتقى الزحفان، فاقتتل الناس قتالاً شديداً لم يسمع الناس بمثله، وكثرت القتلى في الفريقين كليهما.

ونقول:

---

(1) صفين للمنقري ص328 وبحار الأنوار ج33 ص26 والدرجات الرفيعة ص378 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص12.

إيضاحات:

يأتلي: يبطئ، ويقصر.

جاسياً: أي قاسياً.

انتفخ سحره: السحر الرية. يقال: انتفخ سحره: أي جاوز قدره، وجبن عن الأمر.

شسوع ـ جمع شسع: وهو قبال النعل، وهو زمام بين الإصبع الوسطى، والتي تليها.

أسودة: جمع سواد، وهو الشخص، تقول: رأيت سوادا، أي شخصاً.

الكعوب: العقد التي بين الأنبوبين من الرمح، وذو الكعوب: الرمح.

الفزع: الموضع الذي يكون فيه الخوف، وهو ساحة الحرب.

الإرقال: ضرب من العدو فوق الخبب.

أعوراً جباناً:

1 ـ تقول النصوص: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال للمرقال: «أما تخشى من نفسك أن تكون أعوراً جباناً..».

فقد يتوهم متوهم: أنه «عليه السلام» يحتمل في هاشم أن يجبن في الحرب.. والحقيقة هي غير ذلك، فإنه «عليه السلام» قد صاغ كلامه بصورة السؤال، الذي لا يوصف بصدق ولا بكذب.

ويبدو لنا: أنه «عليه السلام» كان يمازح هاشماً ـ كما ألمحت إليه الرواية..

ولو كان يظن، أو يحتمل في حقه الجبن فلا يمكن أن يدفع إليه الراية، لا سيما وأن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي كان يأمر جيوشه، فيقول: «ورايتكم، فلا تميلوها، ولا تخلوها. ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم، والمانعين الذمار منكم»[1].

وإما أنه كان يريد أن يحفز هاشماً على بذل كل ما في وسعه، ويعرفه بأن المطلوب هو هجوم ساحق وماحق، لا يبالي بالأخطار، لأن الأمر لم يعد يحتمل المطاولة. فقد بدأ الملل يتسلل إلى قلوب أهل العراق. بسبب طول الإقامة، والبعد عن الأهل والأوطان.. ولم يكن أصحاب معاوية يواجهون مشكلة كهذه..

كما أن معاوية كان يرغب بهذه المطاولة ويرى أنها تكرسه حاكماً لأهل الشام، وسواها من البلاد التابعة لها، وكلما طالت المدة

---

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص3 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص17 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص11 والفتوح لابن أعثم ج3 ص73 وصفين للمنقري ص235 والكافي ج5 ص39 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص3 وبحار الأنوار ج33 ص455 وج97 ص40 وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراني ص233 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص60 و 61 و (الإسلامية) ج11 ص45 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج7 ص10.

كلما ثبتت قدمه وقويت شوكته، إلى أن تصبح الحرب بلا معنى. ولا مبرر..

وستكون هذه النهاية أعظم ضرراً على الإسلام وأهله من استشهاد عمار، وهاشم، وابن بديل، وغيرهم من عيون الصحابة، وخيارهم. لأن معاوية سينال ما يريد دون أن يفتضح أمره، وتبقى الشبهات في أمره، وفي ما يحكم به الإسلام في أمثاله تنمو وتتكاثر حتى يصبح الإنحراف ديناً، والضلال هدى، وتزداد الأمور سوءاً، وبعداً عن المسار الصحيح، ويتوارث الناس هذا الضلال، ويتداولونه جيلاً بعد جيل، وتنسد أبواب الهداية عليهم، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

أما إذا حشر معاوية في الزاوية، فإما أن يستسلم، وإما أن يلجأ إلى المكر والخداع، ولو برفع المصاحف. وكلتا الحالتين ستكون أفضل من المطاولة في الحرب، لأن الخديعة يمكن فضحها، والمكر يمكن أن يبور ويسقط، بالتدبر الحكيم، والعمل الصحيح والسليم، حتى لو قتل عمار، والمرقال، وابن بديل وسواهم، ولو تعرض «عليه السلام» لأعظم الخيانات والجنايات من قبل عشرين ألفاً من جيشه.. وهذا ما حصل بالفعل..

فكان علي «عليه السلام» يريد حسم الأمر قبل أن تحل بالدين وأهله مصيبة لا دافع لها. فكان يريد من هاشم وأمثاله أن يكونوا كبش فداء للدين وأهله، وهكذا كان.

2 ـ أما قول احد أصحاب هاشم له: يا هاشم قد انتفخ سحرك، أعوراً وجبناً.

فقد جاء على سبيل التحريض على الجهاد، ولزوم بذل كل ما في الوسع.. وكانت النية سليمة بلا ريب، ولذا نلاحظ: أن هاشماً لم ينزعج من كلام صاحبه، بل استحسنه، واعتبره دليل شجاعة وإخلاص، واستدل به على أهليته لحمل الراية، فأوصاه بأخذها حين يصرع..

فيكون هاشم بنفس وصيته هذه قد أخبر صديقه الذي يحرضه على الجهاد بأنه سيكون عند حسن ظنه، وبأنه سيقاتل العدو إلى آخر رمق، وسيقاتله قتال من يطلب الآخرة. وهكذا كان.

قومي لا حاجة لي في قتالهم:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن المرقال: رأى جنداً فسأل عنهم، قالوا: جند أهل المدينة وقريش. فقال: قومي، لا حاجة لي في قتالهم..

فقد يتوهم متوهم: أن هاشماً قد تصرف هنا إنطلاقاً من عصبيته القبلية، حيث آثر صرف النظر عن قتال قومه، ليتفرغ لقتال غيرهم..

وهذا توهم باطل. فقد كان «رحمه الله» يعلم أن قتال قريش وأهل المدينة لا يقدم ولا يؤخر، لأنهم مجرد أفراد غرباء يعيشون في غير بلدهم، بل هم مجرد مرتزقة عند معاوية. وليس لهم نفوذ في أهل ذلك البلد، ولا توجد لهم عشائر تتعصب لهم، وتندفع وتجمع المال والرجال، وتأتي بالبعيد والقريب والصديق والحبيب لنصرتهم والدفع

عنهم، ولتحقق لهم أغراضهم وتوصلهم إلى ما يريدون.. ولماذا يشغل هاشم نفسه بقتالهم، فهناك ما هو أهم وأوجب، وهو إسقاط معاومة، وتقويض قوته المتمثلة بجحافل جمعها من بلاد الشام. الذين ينافسون أهل العراق، وتتعصب لهم البلاد والعباد..

فهاشم المرقال ـ قد اثبت بموقفه هذا ـ أنه يعرف ما يريد، وأنه رجل بعيد النظر، نافذ البصيرة، لا يشذ عن الهدف الذي يسعى إليه، ولا يتلهى بصغائر الأمور عن عظائمها..

الرايةالسوداء:

وقد صرح عمرو بن العاص بأن الراية التي كانت مع هاشم المرقال كانت سوداء، وقد أشرنا إلى أن هذه الراية، هي التي كان يرفعها رسول الله «صلى الله عليه وآله» في وجه المشركين وأهل الضلال. وكان علي «عليه السلام» يقتدي برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكانت رايته سوداء أيضاً على أهل الضلال..

الفصل الثاني:

الفصل الثاني:

المرقال شهيداً..

استشهاد هاشم المرقال:

ثم إن علياً «عليه السلام» دعا في هذا اليوم هاشم بن عتبة ومعه لواؤه، [فأعطاه الراية، وقال: تقدم إلى أعداء القرآن، وحزب الشيطان، فأخذ هاشم الراية بيده، وتقدم] وكان أعور، [وذلك أنه أصيب بعينه يوم اليرموك في جيش عمر بن الخطاب].

فقال له: يا هاشم، حتى متى تأكل الخبز، وتشرب الماء؟!

فقال هاشم: لأجهدن على ألا أرجع إليك أبداً.

قال على «عليه السلام»: إن بإزائك ذا الكلاع، وعنده الموت الأحمر؟!

فتقدم هاشم، [وعليه درع سابغ، وعلى رأسه قلنسوة ديباج]، فلما أقبل قال معاوية: من هذا المقبل؟!

فقيل: هاشم المرقال.

فقال: أعور بنى زهرة قاتله الله! وقال: إن حماة اللواء ربيعة، فأجيلوا القداح فمن خرج سهمه عبيته لهم.

فخرج سهم ذى الكلاع لبكر بن وائل، فقال: ترحك الله من سهم

كرهت الضراب.

وإنما كان جل أصحاب علي أهل اللواء من ربيعة، لأنه أمر حماة منهم أن يحاموا عن اللواء.

فأقبل هاشم، وهو يقول:

أعـور يبغى نفسـه خلاصـاً مثـل الفنيـق لابسـاً دلاصـا
[يـريـد قـومـاً رُذَّلاً أنكاصاً لا جنـة يرجـو ولا قصاصـا
قـد جـرب الحرب ولا أناصاً لا ديـة يخشـى ولا قصاصـا
كـل امـرئ وإن كبا وحاصاً [أقـدامـه مـقمصة قماصا]
ليـس يرى مـن موته مناصا(1)

قال المنقري:

وحمل صاحب لواء ذى الكلاع ـ وهو رجل من عذرة ـ وهاشم حاسر وهو يقول:

يـا أعور العين وما بى من عور أثبـت فـإنى لسـت مـن فرعـى مضـر
نـحـن اليـمانون وما فينا خور كيف ترى وقع غلام من عذر
يـنعى ابن عفان ويلحى من غدر سـيان عندي من سعى ومن أمر

(1) صفين للمنقري ص346 و 347 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص118 والدرجات الرفيعة ص38 وبحار الأنوار ج33 ص34 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص28 ومروج الذهب ج2 ص393.

فاختلفا طعنتين، فطعنه هاشم فقتله، [وقتل بعده تسعة عشر رجلاًٍ] وكثرت القتلى، وحمل ذو الكلاع، [ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا ألا يرجعوا أو يفتحوا، أو يقتلوا]، فاجتلد الناس، فقتلا جميعاً، (هاشم المرقال وذو الكلاع)، وأخذ ابن هاشم اللواء، وهو يقول:

أهاشم بن عتبة بن مالك أعزز بشيخ من قريش هالك
تخبطه الخيلات بالسنابك في أسود من نقعهن حالك
أبشر بحور العين في الأرائك والروح والريحان عند ذلك(1).

لكن ابن أعثم ذكر: أنه لما تقدم هاشم المرقال، وارتجز بقوله:

أعور يبغي أهله خلاصاً..

كانت قصته مع ذلك الشامي، الذي ذكر أنه يقاتل علياً «عليه السلام» لأنه لا يصلي.. وقد ذكرناها في موضع آخر من هذا الكتاب.

أعوراً وجبناً؟!:

عن عبد الرحمن السلمي، قال: رأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب محمد «صلى الله

---

(1) صفين للمنقري ص347 و 348 والدرجات الرفيعة ص38 وبحار الأنوار ج33 ص34 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص28 وراجع الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص120.

عليه وآله»، ورأيته جاء إلى المرقال هاشم بن عتبة ـ وهو صاحب راية على «عليه السلام» ـ فقال: يا هاشم، أعَوراً وجبناً! لاخير في أعور لا يغشى البأس.

فإذا رجل بين الصفين، قال: هذا والله ليخلفن إمامه، وليخذلن جنده، وليصبرن جهده، اركب يا هاشم، فركب ومضى هاشم يقول:

أعـور يبــغــي أهــله مـحلا قــد عـــالــج الحياة حتى ملا

لابـــــد أن يـفـــل أو يــفــلا

وعمار يقول: تقدم يا هاشم، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل. وقد فتحت أبواب السماء، وتزينت الحور العين

اليـوم ألـقـــى الأحـبـــــه مـــحــمـــــداً وحـــزبــــــه

فلم يرجعا وقتلا.

قال: وتقدم هاشم بالراية نحو القوم، وهو يقول:

يـــا لك يـــوماً مثل يوم اليرموك يــا لــك مــن طحــن رحــا دمـوك

يـــــا لك منـها مـــن دم مسفوك بالســـيد الضـــخم وبالصـــعلوك

أمـشـــي وســيفي مشبه الفلوك حـتـى أحــل مـنـــزل الملوك

إن الـمــلــوك تـرحم المملوك(1)

ثم حمل على صفوف أهل الشام، فجرح منهم خلق كثير، وقتل

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص40 والبداية والنهاية ج7 ص270 وراجع: شرح الأخبار ج1 ص408 و 460.

منهم جماعة.

ثم وقف ساعة ليستريح، وهو في ذلك يقول شعراً، فحمل عليه رجل من أصحاب معاوية يقال له: حمزة بن مالك الهمذاني، وهو يقول شعراً يمدح فيه نفسه، فحمل عليه هاشم بن عتبة، فطعنه طعنة فقتله.

وحملت جماعة من أهل الشام، فأحاطوا به، فلم يزل يطاعن بالراية حتى استشهد «رحمه الله».

قال: وحمل رجل من أصحاب علي «عليه السلام» يقال له شقيق بن ثور العبدي على أهل الشام، فكشفهم عن هاشم بن عتبة لكيلا يسلبوه، ثم أخذ الراية فرفعها، وجعل يرتجز، ويقول:

لا بأس قد قام بها شقيق إن شقيقا في اللقا خليق
ودرعه فإنه فتيق بالطعن في يوم الوغى حقيق

ثم حمل فقاتل حتى قتل(1).

لا يهولنكم مسقطي:

وروى عمرو بن شمر، عن السدي عن عبد الخير الهمداني، قال: قال هاشم بن عتبة: أيها الناس، إني رجل ضخم، فلا يهولنكم مسقطي

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص119 و 120.

إن أنا سقطت، فإنه لا يفرغ مني أقل من نحر جزور، حتى يفرغ الجزار من جزرها.

ثم حمل فصرع، فمر عليه رجل، وهو صريع بين القتلى، فقال له: اقرأ [على] أمير المؤمنين السلام ورحمة الله، وقل له: أنشدك بالله إلا أصبحت وقد ربطت مقاود خيلك بأرجل القتلى، فإن الدبرة تصبح غداً لمن غلب على القتلى.

فأخبر الرجل علياً بذلك، فسار على «عليه السلام» في بعض الليل، حتى جعل القتلى خلف ظهره، وكانت الدبرة له عليهم(1).

قال المنقري:

وقاتل هاشم، هو وأصحابه قتالاً شديداً، حتى أتت كتيبة، لتنوخ فشدوا على الناس، فقاتلهم، وهو يقول:

أعـور يبغي أهلـه محـلا لا بـد أن يـفـل أو يفلا

قـد عـالـج الحياة حتى ملا

حتى قتل تسعة نفر أو عشرة، وحمل عليه الحارث بن المنذر التنوخي، فطعنه فسقط(2).

ويقول في نص آخر:

ودفع رايته العظمى إلى هاشم بن عتبة، فقاتل بها نهاره كله، فلما كان العشي انكشف أصحابه انكشافة، وثبت هاشم في أهل الحفاظ

---

(1) صفين للمنقري ص353.

(2) صفين للمنقري ص355.

منهم والنجدة، فحمل عليهم الحارث بن المنذر التنوخي، فطعنه طعنة جائفة، فلم ينته عن القتال.

ووافاه رسول علي «عليه السلام» يأمره أن يقدم رايته، فقال للرسول: انظر إلى ما بي، فنظر إلى بطنه، فرآه منشقاً، فرجع إلى علي «عليه السلام»، فأخبره، ولم يلبث هاشم أن سقط(1).

هاشم وابن عمر:

وذكروا: أن الذي أخذ الراية (بعد هاشم) رجل من بكر بن وائل، ورفع هاشم رأسه [وهو يجود بنفسه] فإذا هو بعبيد الله بن عمر بن الخطاب قتيلاً [جريحاً] إلى جانبه، فحبا حتى دنا منه، فعض على ثديه، حتى نيبت فيه أنيابه. ثم مات هاشم، وهو على صدر عبيد الله بن عمر.

وضرب البكري فوقع، فرفع رأسه، فأبصر عبيد الله بن عمر قريباً منه، فحبا إليه، حتى عض على ثديه الآخر، حتى نيبت أنيابه فيه، [لعدم السلاح والقوة]. ومات أيضاً.

فوجدا جميعاً على صدر عبيد الله بن عمر، هاشم والبكري قد ماتا جميعاً(2).

---

(1) الأخبار الطوال ص183 وراجع: صفين للمنقري ص355.

(2) الأخبار الطوال ص183 وصفين للمنقري ص355 ومروج الذهب ج2 ص387 وبحار الأنوار ج32 ص37 و 38 والدرجات الرفيعة ص387.

علي يرثي المرقال: ويؤبن القتلى:

قالوا: ولما قتل هاشم جزع الناس عليه جزعاً شديداً، وأصيب معه عصابة من أسلم من القراء، فمر عليهم علي «عليه السلام»، وهم قتلى حول أصحابه الذين قتلوا معه، فوقف علي «عليه السلام» عند مصرع المرقال ومن صرع حوله من الاسلميين وغيرهم، فدعا لهم، وترحم عليهم، وقال من أبيات:

جـــزى الله خيــراً عصبة أسلمية صــباح الوجـوه صـرعوا حـول هاشـــــــــــــــــــــــــــــــــــــم

يـــزيــد وعبـد الله بشر بن معبد وســــفيان وابنــــا هاشـــــم ذي المكـــــــــــــــــــــــــــــــــــــارم

وعــروة لا ينفــد ثنــاه وذكره إذا اخترطـــــت يومـــــاً خفـــــاف الصوارم(1)

ولكن ابن أعثم نسب هذه الأبيات إلى غير أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال:

وتقدم عمرو بن الحمق الخزاعي، حتى وقف في ميدان الحرب، وهو يقول:

جــزى الله خيراً عصبة أي عصبة حســان وجــوه صــرعت نحــو

---

(1) مروج الذهب ج2 ص383 وصفين للمنقري ص356 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص5 والدرجات الرفيعة ص381.

هاشم

شقيق وعبد الله فيهم ومعبد ونبهان وابنا هاشم والمكارم

وعروة لا تبعد فقد كان فارساً إذا الحرب هاجت بالقنا والصوارم

إذا اختلف الابطال واشتبك القنا وكان حديث القوم ضرب الجماجم

ثم حمل فقاتل أشد القتال ورجع إلى موقفه(1).

قال: وفي قتل هاشم بن عتبة، يقول أبو الطفيل عامر بن واثلة، وهو من الصحابة، وقيل إنه آخر من بقي من صحب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وشهد مع علي «عليه السلام» صفين، وكان من مخلصي الشيعة:

يا هاشم الخير جزيت الجنة قاتلت في الله عدو السنة

والتاركي الحق وأهل الظنة أعظم بما فزت به من منة

صيرني الدهر كأني شنة يا ليت أهلي قد علوني رنة

من حوبة وعمة وكنة

قال نصر: والحوبة: القرابة، يقال لي في بني فلان حوبة، أي قربى(2).

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص121.

(2) صفين للمنقري ص359 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3

[**قال المنقري**: وأخذ ابن هاشم اللواء، وهو يقول:]

وقال ابن أعثم:

وتقدم عتبة بن هاشم المقتول، فرفع الراية، وجعل يقول:

يا هاشم بن عتبة بن مالك أعزز بشيخ من قريش هالك

تخبطه الخيلان بالسنابك في أسود من نقعهن حالك

أبشر بحور العين في الأرائك والروح والريحان عند ذلك

قال: ثم حمل فقاتل حتى قتل «رحمه الله»(1).

ثم قام عبد الله بن هاشم، وأخذ الراية فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

يا أيها الناس، إن هاشماً كان عبداً من عباد الله الذين قدَّر أرزاقهم، وكتب آثارهم، وأحصى أعمالهم، وقضى آجالهم، فدعاه ربه الذي لا يعصى فأجابه، وسلم الأمر لله، وجاهد في طاعة ابن عم رسول الله، وأول من آمن به، وأفقههم في دين الله، المخالف لأعداء الله المستحلين ما حرم الله، الذين عملوا في البلاد بالجور والفساد، واستحوذ عليهم الشيطان، فزين لهم الإثم والعدوان.

ص120.

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص120 وصفين للمنقري ص348.

فحق عليكم جهاد من خالف سنة رسول الله، وعطل حدود الله، وخالف أولياء الله. فجودوا بمهج أنفسكم في طاعة الله في هذه الدنيا، تصيبوا الآخرة والمنزل الأعلى، والملك الذي لا يبلى. فلو لم يكن ثواب، ولا عقاب، ولا جنة، ولا نار، لكان القتال مع علي «عليه السلام» أفضل من القتال مع معاوية ابن أكالة الأكباد. فكيف وأنتم ترجون ما ترجون؟![1].

إيضاحات:

الأسل: كل عود لا عوج فيه. ويراد به هنا الرمح.

دموك: دمك الشيء طحنه. ورحا دموك: أي كثيرة الطحن.

الفلوك: لعله شبه سيفه وهو يجرُّه ويتحرك خلفه بموج البحر المضطرب، وبالماء الذي حركته الريح.

اخترط سيفه: استله.

نبهان: لعل الصحيح تيهان، في إشارة منه إلى الشهيد السعيد أبي الهيثم ابن التيهان.

المشنة: القربة الصغيرة البالية.

الفنيق: الفحل المكرم، الذي لا يؤذى، ولا يركب.

دلاص: لين. درع.

---

(1) صفين للمنقري ص355 و 356.

أناص: أراد.

قماص: من قمص الفرس رفع يديه معاً، ووضعهما معاً.

عبد الله بن هاشم على خطى أبيه:

إن الخطبة التي أوردها عبد الله بن هاشم حين أخذ الراية بعد استشهاد أبيه تدل على أنه كان كأبيه في صحة معرفته، وقوة إيمانه، ووفور عقله. وصلابته في دينه.

وحقد معاوية عليه وتوعده بالقتل، كما أظهرته النصوص المشار إليه آنفاً، دليل على ما نقول. وسيأتي ما يؤكد ذلك عن قريب إن شاء الله تعالى.

هل يرغب علي × بقتل المرقال؟!:

إن أول ما يواجهنا في حديث استشهاد المرقال قول علي أمير المؤمنين «عليه السلام» له: «حتى متى تأكل الخبز وتشرب الماء»، فقال المرقال: «لأجهدن على ألا أرجع إليك أبداً».

والسؤال هو: لماذا يخاطب علي «عليه السلام» هذا البطل العظيم بهذا الخطاب، الذي قد يفسر على أنه تعبير عن الرغبة في رؤية هذا الرجل قتيلاً، قد انقطع رزقه من هذه الدنيا؟! أتراه «عليه السلام» كان راغباً في أن ينيله درجة الشهادة، أم أنه كان يريد التخلص من ظله الثقيل؟! وهل كان ظله ثقيلاً حقاً؟! فإن لم يكن كذلك، فلماذا يريد ذلك؟!

ولماذا أيضاً لم يعترض هاشم على هذا الكلام؟! بل أعلن موافقته عليه، ووعد ببذل جهده في تحقيق رغبة أمير المؤمنين «عليه السلام» هذه؟! أترى أن سبب ذلك هو يأس المرقال من هذه الحياة؟! مع أن اليأس من دلائل خروج الإنسان من دائرة الإيمان إلى الكفر، فقد قال تعالى: (**..إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**)[1].

أم أن السبب هو شدة حبه للشهادة؟!

إلى آخر ما هنالك من أسئلة يمكن سوقها في مثل هذه الحالات..

ونجيب:

لاحظ ما يلي:

1 ـ لقد كان هاشم المرقال بطلاً نادراً، ومن الطراز الأول، وقد شهد له بذلك أعداؤه، فضلاً عن أوليائه.. وقد دلت النصوص الكثيرة على مدى الرعب الذي كان ينتاب معاوية وسائر قادة القاسطين منه، حين تفرض عليهم الحرب مواجهته. ولهؤلاء الأعداء اعترافات كثيرة بهذا المقام العظيم له..

2 ـ إن ظروف الحرب قد تفرض اللجوء إلى تقديم تضحيات كبرى، ومواجهة أخطار جسام، من أجل حل بعض العقد المستعصية، أو من أجل إيصال رسالة للطرف الآخر أو للأمة، لا يمكن أن تستقيم الأمور بدون إيصالها..

---

(1) الآية 87 من سورة يوسف.

فمثلاً وجدنا أن علياً «عليه السلام» في حربي الجمل وصفين احتاج إلى من يحمل القرآن إلى أعدائه ليدعوهم إلى الإلتزام به، والرجوع إليه، والعمل بما فيه. وكان يعلم أن من سيحمل لهم هذا القرآن سوف يقتل لا محالة..

وكان هذا الإجراء ضرورياً جداً، ولا يجوز التخلي عنه، مهما كلف من تضحيات، لأنه يريد أن يفهم الناس كل الناس، ممن كانوا معه، أو كانوا في صفوف أعدائه، والأجيال كل الأجيال عبر العصور، والدهور أن هؤلاء القوم لا يمكن أن يرضوا بحكم القرآن، بل هم يقتلون من يعرضه عليهم، ولو كان حامله مؤمناً، صادقاً، وتقياً صالحاً..

وليظهر ولو بعد حين مدى زيف هؤلاء الناس وقلة دينهم، ولا سيما حين يلجأون إلى رفع المصاحف، ليخدعو بها الناس، وليعبثوا بهم، توصلاً إلى مآربهم وأهدافهم الشريرة.. وفق ما حصل في حرب صفين..

3 - وعلي «عليه السلام» الذي كان يفدي أصحابه بروحه رأى أن الأمور إذا سارت على النحو الذي يراه، فقد تمتد هذه الحرب إلى سنوات، ثم تنتهي الأمور بفشل ذريع حين يمل الناس المقام، ويرون أن الحرب تسير نحو العبثية، وتكون المراهنة على فقدان الثقة بجدواها.. ويفوز القاسطون بما يريدون بأيسر طريق.. وينتهي الأمر إلى التشكيك بالإمام والإمامة، من خلال التشكيك بحكمة أمير

المؤمنين، وزعزعة علاقة الناس، ووضع علامات استفهام حول صحة تدبيره، وعصمته، وقداسته، وقدراته، وما إلى ذلك.

وهذه هي الكارثة التي تصيب الأمة في صميم عقيدتها، والتي تستمر سلبياتها عبر العصور والدهور، فكان لا بد من هجوم ساحق، وماحق يحرك الأمور باتجاه الحسم، ويحفظ مقام الإمامة الهادية، ويحشر أهل الباطل في الزاوية، ولو بقيمة باهظة الثمن، فإن الإمامة والدين أثمن منها، فإن المطلوب هو ظهور الحق، وفضح زيف الباطل وأهله، وصيانة العقيدة والدين من أي ريب، أو شبهة.

فإن كان لا بد من التعايش مع الباطل، فليكن ذلك مع باطل مفضوح، ومعلن، لا مع باطل مقنع ومشتبه الحال..

وهذا بالذات ما حصل بالفعل. وانتهت إليه الأمور في صفين.. كما كانت هذه هي التي أسدل عليها الستار في مسار الأحداث بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واغتصاب الخلافة من أهلها في فترات سابقة أيضاً..

فكان المجاهد الشهيد هاشم المرقال، هو ذلك الفدائي الذي رباه الإسلام، وأعده الإمام لمثل هذه اللحظات الحاسمة، والصعبة..

وكذلك كان عمار بن ياسر «رضوان الله تعالى عليه»، بالإضافة إلى ثلة آخرين اختارهم الله لنصرة هذا الدين، والإمام الحق في صفين.

4 - إن قول هاشم لأمير المؤمنين «عليه السلام»: «لأجهدن على

ألا أرجع إليك أبداً» يحمل في طياته معنى التعرض للقتل، ورمي نفسه بالمهالك بهدف نيل درجة الشهادة، ولم نجد أمير المؤمنين «عليه السلام» نهاه عن ذلك، ولا أبدى أسفه، أو انزعاجه منه، فكأنه «عليه السلام» كان راضياً بهذا الأمر منه..

بل لعل قوله «عليه السلام» له: «إن بإزائك ذا الكلاع، وعنده الموت الأحمر» لا يخلو من دلالة على الموضع الذي يحقق هاشم فيه مبتغاه هذا..

إلا أن يقال: إن من الجائز أن تكون العقدة المستعصية التي يريد «عليه السلام» حلها هي عقدة ذي الكلاع بالذات، ولذلك أرشد هاشماً إليه، لكي يتولى هو أمره.

وكان هاشم بحكم تمرسه في الحرب، وخبرته فيها، وشدة إخلاصه وإيمانه، وبحكم زهده بالدنيا، وشدة رغبته بالآخرة، ولأنه من بني زهرة أيضاً إن هاشماً بمواصفاته هذه وسواها هو المؤهل لحل هذه العقدة.

وهذا ما حصل بالفعل في ذلك اليوم بالذات، فقد قتل فيه حوشب ذي ظلم، وهو من أهم وأعظم قادة اليمانيين، وقتل ذو الكلاع، وهو أعظم قائد في أهل الشام عند معاوية. واستشهد في هذا اليوم أيضاً من أصحاب علي «عليه السلام» هاشم المرقال، وعبد الله بن بديل، وعمار بن ياسر.

فهذا اليوم كان من أعظم أيام صفين..

ربيعة أصحاب اللواء:

إن قبيلة ربيعة كانت مخلصة لعلي «عليه السلام». وكان «عليه السلام» يحب ربيعة، ويعتمد عليها في الحرب. وكان حملة اللواء منها، ولأن اللواء هو الرمز الذي يلتف الناس حوله، ويراقبون حاله، ومآله، فإنه يكون مستهدفاً بشدة من قبل العدو..

وهذا الإستهداف يحتم الإهتمام بحفظه، وحراسته، وصد الهجمات التي تستهدفه باستمرار، وهذا يدعو إلى حشد أكبر قدر ممكن من الفرسان الأشداء، والمجربين حوله لحمايته.

ولأجل ذلك يصرح النص المتقدم: بأنه «عليه السلام» أمر حماة من ربيعة أن يحاموا عن اللواء. وإنما كان جل أصحاب علي «عليه السلام» أهل اللواء من ربيعة.

وأما استهداف الأعداء للواء، فلأنهم يدركون أن هذا اللواء وثباته ظاهراً ومرفوعاً، هو الذي يحفظ تماسك الجيش.. ووحدته، ويمنحه السكينة والطمأنينة.

ولذلك قال معاوية لأصحابه ـ كما تقدم ـ: «..إن حماة اللواء ربيعة، فأجيلو القداح، فمن خرج سهمه عبيته لهم».

فخرج سهم ذي الكلاع لبكر بن وائل.. فقال: «ترحك الله من سهم كرهت الضراب».

وإنما قال ذو الكلاع هذا لأنه كان يعلم: أن حماة اللواء هم نخبة من خيرة الأبطال الذين يكون عندهم الموت الأحمر، والخطر الأكبر.

وحيث تكون النجاة من الموت عندهم غنيمة.

فخروج السهم على ذي الكلاع هنا يحمل معه خطر الموت، أو وقوع الهزيمة عليه. وكلاهما كارثة بالنسبة إليه، وتعني انتهاء الحرب وتوقفه عن الطعن والضرب. وقد ذكرنا هذا المعنى في مورد سابق يشبه هذا المورد.

أعداء القرآن:

وقد يقال: كيف نفسر قول علي «عليه السلام» لهاشم المرقال حين أعطاه الراية: تقدم إلى أعداء القرآن. مع أن أهل الشام يدَّعون الإسلام، والإعتقاد بالقرآن؟!

ونجيب:

بأن عداوتهم للقرآن ظاهرة، فإنهم قد رفضوا أن يحكِّموا القرآن حين عرضه «عليه السلام» عليهم، وقتلو ذلك الرجل الذي حمله إليهم.. تماماً كما حصل في حرب الجمل، وقد تقدم ذكر ذلك في بعض فصول هذا الكتاب..

كما أنهم قد نبذوا كثيراً من أحكام القرآن وراء ظهورهم. وخالفوا جميع الآيات التي ذكرت لهم إمامة أمير المؤمنين «عليه السلام» والتي نزلت فيه وفي ذوي القربى، وأهل البيت «عليه السلام».. كما خالفوا الكثير من أحكام الدين. هذا فضلاً عن مخالفاتهم لأحكام القرآن التي تمنع من الخروج على الإمام، وتحكم على الخارج عليه بالكفر، فضلاً عما يقومون به من اتهام للأبرياء، وقتل الأخيار والأبرار،

والعدوان على الناس، واتخاذ مال الله دولاً وعباده خولاً، ثم إنهم قد سخروا بإمامهم، واتهموا نبيهم، وحملوا الناس على أكتاف آل محمد «صلى الله عليه وآله»..

وحتى حين خدعو الناس برفع المصاحف، وأعطوا عهداً بأن يحكموا كتاب الله قد نكثوا عهدهم هذا جهاراً نهاراً، وحكموا بحكم الشيطان..

حزب الشيطان:

وعن قول أمير المؤمنين «عليه السلام» عن القاسطين بأنهم حزب الشيطان، فلا نرى أنه بحاجة إلى توضيح، أو بيان.

ونكتفي هنا بذكر الآيات التي ذكرت حزب الشيطان وأوصافهم، فقد قال تعالى في سورة المجادلة: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ**

هُمُ الْخَاسِرُونَ)[1].

يعالج آثار موته قبل أن يموت:

وقد أدرك المرقال: أن قتله قد يتسبب بشيء من الرعب لدى أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام». باعتبار أنه «رحمه الله» كان ضخم الجثة، فقتله وسقوطه إلى الأرض يحدث نوعاً من الفزع غير المألوف عند الناس.. لأن للأشكال والأحجام آثارها، فسقوط صغير الجثة قتيلاً قد يوجب بعض الخوف، أو الحزن، ولكن سقوط رجل ضخم، يحدث فزعاً أكبر في الناس..

فأراد المرقال أن يهون هذا الأمر على من يرون سقوطه. بالقول لهم: إن قتله أمر هين، وضخامة جثته يجب أن لا تؤثر على معنوياتهم حين سقوطها، فإنما هو رجل كسائر الناس لا يفتقر موته عن موتهم. فإن نحر الجمل رغم ضخامته لا يستغرق وقتاً، ولا جهداً، وليس فيه صعوبة تختلف عن ذبح شاة مثلاً..

وبذلك يكون «رحمه الله» قد أسهم في صيانة روحيات أهل الحق من أن تتأثر حتى بهذا المقدار..

وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على بعد نظر، ودقة في الملاحظة، وشعور بالمسؤولية، ورغبة في الجهاد قبل الإستشهاد، وبعده.. والسعي لتلافي أية سلبية مهما كانت في كلا الحالتين.

---

(1) الآيات 14 - 19 من سورة المجادلة.

وصية المرقال:

وقد أمعن المرقال «رحمه الله» في إعطاء الدروس في الإخلاص والوفاء، والشعور بالمسؤولية، وفي النصيحة للإمام وللأمة، حين سما في تفكيره ليتجاوز به حدود الموت، وحدود نفسه أيضاً، ففكر بمآل الأمور بعد قتله، وعرف أن هذا القتل سياتي في لحظات حساسة تفرض تحولاً في السياسة الحربية، وتكتيكاً جديداً يمكن أن يستثمر في انتزاع النصر على العدو، وإلحاق الهزيمة به.

ولذلك وجدنا أنه في اللحظات الأخيرة من حياته، وهو صريع بين القتلى، ينتظر لحظة فراق روحه جسده منَّ الله تعالى عليه برجل يمر بالقرب منه، فلم يشغله ما هو فيه عن اغتنام الفرصة لإرسال رسالة إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» يبلغه فيها باقتراحه الذي يحول حالة الضعف إلى قوة، ويدفع بالعدو إلى الهزيمة. ويأتي بالنصر عليه.. وهو أن يبادر «عليه السلام» إلى الإنتقال من موضعه الذي هو فيه، فيتجاوز ساحة المعركة، وحيث هم القتلى اليوم، وينزل في مواجهة العدو مباشرة ليستفيق العدو، فيجد أن علياً «عليه السلام» قد اقتحم عليه حريمه، ونزل في ساحته. فإن هذا سوف يهزم العدو روحياً، ويهيؤه للهزيمة الميدانية، وهكذا كان..

غير أن ذلك لا يعني أن يكون أمير المؤمنين «عليه السلام» غافلاً عن هذا الإجراء الذي حمله إليه رسول المرقال.. ولم يكن بصدد تنفيذه، فإن أحداً ـ باستثناء رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ

لا يمكن أن يلحق علياً «عليه السلام» في علم الحرب، وما تحتاج إليه من تخطيط وتدبير دقيق ومتقن.. ولا يحتاج هذا إلى مزيد بيان، وإقامة برهان، فتاريخ علي «عليه السلام» يشهد له بالإبداع في كل شيء، ومنها سياسة الحروب.

ولكن المقصود هو لفت النظر إلى عظمة المرقال في نفسه، وإلى سمو تفكيره، وبعد نظره، ومدى إخلاصه للحق وأهله.

هل تكرر الحدث بتفاصيله؟!:

روى نصر، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي يحيى، عن عبد الرحمن بن حاطب قال: خرجت ألتمس أخي في القتلى بصفين، سويداً، فإذا برجل قد أخذ بثوبي، صريع في القتلى، فالتفت فإذا بعبد الرحمن بن كَلَدَة، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، هل لك في الماء؟!

قال: لا حاجة لي في الماء قد أنفذ في السلاح وخرقني، ولست أقدر على الشرب، هل أنت مبلغ عني أمير المؤمنين رسالة فأرسلك بها؟!

قلت: نعم.

قال: فإذا رأيته فاقرأ عليه مني السلام، وقل: «يا أمير المؤمنين، احمل جرحاك إلى عسكرك، حتى تجعلهم من وراء القتلى، فإن الغلبة لمن فعل ذلك».

ثم لم أبرح حتى مات، فخرجت حتى أتيت عليا، فدخلت عليه فقلت: إن عبد الرحمن بن كلدة يقرأ عليك السلام.

قال: وعليه، أين هو؟!

قلت: قد والله يا أمير المؤمنين أنفذه السلاح وخرقه، فلم أبرح حتى توفى. فاسترجع.

قلت: قد أرسلني إليك برسالة.

قال: وما هي؟!

قلت: قال: «يا أمير المؤمنين، احمل جرحاك إلى عسكرك حتى تجعلهم من وراء القتلى، فإن الغلبة لمن فعل ذلك».

قال: صدق والذي نفسي بيده.

فنادى منادي العسكر: أن احملوا جرحاكم إلى عسكركم.

ففعلوا ذلك، فلما أصبح نظر إلى أهل الشام وقد ملوا من الحرب(1).

قد يقال: إن هذه القصة بعينها تقريباً قد تقدم أنها حصلت مع هاشم المرقال.. فأيهما هو الصحيح؟!

ونقول:

---

(1) صفين للمنقري ص394.

إن حديث عبد الرحمن بن كلدة غير دقيق، فإن نقل الجرحى إلى المعسكر، وجعلهم في موضع آمن أمر طبيعي، ولا يحتاج إلى وصية.. كما أنه لا يأتي بالنصر لمن فعل ذلك..

والصحيح: هو قضية هاشم المرقال التي تقدمت في فصل: «المرقال شهيداً».

وقد ذكرنا: أن هاشماً قد أصاب كبد الحقيقة، فإن تقدم عسكر علي «عليه السلام» في الميدان حتى يتجاوز القتلى، ويصبحون خلفه هو الذي يخيف العدو. ويبدو أن البعض قد سمع قصة ابن هاشم، ولم يكن دقيقاً في روايته لها، فنسبها إلى غيره بعد أن حرَّفها قليلاً، بسبب عدم ضبطه لها، أو لحاجة في نفسه قضاها.

ونرجح هذا الأخير.. لأننا نستبعد أن تحصل هذه القصة أكثر من مرة. لا سيما مع هذا التقارب الشديد بين الأحداث.

ويؤيد ذلك: أننا قد وجدنا ابن عساكر يذكر: أن نائلة بنت الفرافضة قد بعثت بقميص عثمان مع عبد الرحمن بن حاطب والنعمان بن بشير إلى معاوية(1).. فكيف صار هذا الرجل مع علي أمير المؤمنين «عليه السلام»؟! وكيف يمكن الإطمينان إلى روايته؟!

كما أن من المعلوم: أن هاشم المرقال كان شوكة في عيون

(1) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج14 ص228 وتاريخ مدينة دمشق ج34 ص279 والأغاني ج16 ص325.

مناوئي علي «عليه السلام»، وكانت هناك سياسة تقضي بطمس ذكره، وتصغير قدره.. فلعل الصحيح هو: أن القضية قد حصلت معه، ثم منحت لغيره.. مع بعض تحريف أو تزييف مفضوح.

يقاتل رغم الجراح:

وتتأكد لنا هذه الحقيقة ونحن نرى المرقال لا تشغله جراحته البالغة عن مواصلة القتال، وبذل أقصى جهده في محاربة الأعداء إلى أن أسقطته جراحته تلك، فقد شقت بطنه، ووصلت الطعنة إلى جوفه..

وإذ برسول أمير المؤمنين «عليه السلام»، يطالبه بالمزيد من التقدم بالراية نحو العدو، الأمر الذي يدل على أنه «رحمه الله» كان قد اكتسح الساحة، ودمر قوات الأعداء، ولم يبق إلا أن يتقدم بالراية لتحقيق المزيد..

ولنا أن نتصور هنا كم كانت حسرة هاشم كبيرة، وهو يرى نفسه عاجزاً عن تلبية طلب أمير المؤمنين «عليه السلام» هذا بسبب جراحته التي استنفدت كل قوته.. ولم يلبث أن سقط.

غير أننا لا نشك في أنه «رحمه الله» قد استشهد، وهو يحمل شعوراً لذيذاً بعد هذا الطلب الذي تلقاه من أمير المؤمنين «عليه السلام»، وإن عجز عن إجابته بسبب جراحته.. لأن هذا الطلب قد دله على أن العدو كان في حالة ضعف، وتقهقر، ويوشك ان يواجه الهزيمة..

فأحب أن يساهم في هذا النصر، فارسل باقتراحه إلى أمير

المؤمنين «عليه السلام» مع ذلك الرجل الذي مر عليه وهو في القتلى، لينال شرف الجهاد بالنفس، والمال والولد في الحياة، وبالتخطيط لما بعد الموت أيضاً.

فرحم الله هاشماً المرقال.. وحشرنا الله تعالى مع محبيه، وجمعنا الله معه، ومع سادته، ومواليه, علي وآله الطاهرين.

قصة أخرى لابن حنبل:

وقد زعم البلاذري: أن هذه القضية قد حصلت مع عبد الرحمان بن حنبل, فيما روي عن عياض بن خليفة، حيث زعم أن ابن حنبل قال: قولوا له ـ أي لعلي «عليه السلام» ـ: الغلبة لمن جعل القتلى منه بظهر، أي غيبهم.. وأن علياً «عليه السلام» صدقه، وغيب قتلاه حتى لا يرى رجل منهم(1).

ونقول:

إن هذه القضية أيضاً موضع ريب..

فأولاً: إن الناس من الفريقين كانوا يدفنون قتلاهم ولا يتركونهم مكشوفين ظاهرين أمام أعين الناس.

ثانياً: ما الربط بين دفن القتلى وإبعادهم عن الأنظار، وبين

---

(1) راجع: أنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ ـ بتحقيق المحمودي) ج2 ص239 و 240 و (ط الأعلمي سنة 1394 هـ) ص332.

تحقيق الغلبة على العدو؟!

وقصة رابعة أيضاً:

بل ذكر المنقري والطبري: أن الذي أرسل إلى علي «عليه السلام» بذلك هو عبد الله بن كعب المرادي، وأنه قال ذلك للأسود بن قيس المرادي، وأنه قال: قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك(1).

قال الطبري: «وروى أبو مخنف: أن عبد الرحمان بن حنبل الجمحي هو الذي أشار على علي «عليه السلام» بهذا الرأي يوم صفين(2).

وكل ذلك يظهر: أن ثمة يداً تتعمد تمييع هذه القضية, وتضييعها, والتلاعب بها بنحو يؤدي إلى الإشتباه حتى في أصل حصولها.

واللافت هنا: أن الطبري قد وصف عبد الرحمان بن حنبل

---

(1) صفين للمنقري ص456 و 457 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص46 و (ط الأعلمي) ج4 ص32 وبحار الأنوار ج32 ص519 والغدير ج2 ص365 والمعيار والموازنة ص157 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص93 والدرجات الرفيعة ص422 والكامل في التاريخ ج3 ص314 و 315 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص174.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص46 و (ط الأعلمي) ج4 ص32.

بالجمحي[1].. في حين أن البلاذري يقول: إنه حليف لبني جمح، وهو رجل من أهل اليمن[2]. وجمح كانوا من قريش. إلا إن كان يصح نسبة الحليف إلى القبيلة التي يحالفها.

الصحابة وراء عمار:

تقدم: أن الصحابة كانوا في صفين وراء عمار بن ياسر، يتبعونه أينما توجه، والمقصود باتباعه هو أنهم يرونه أمان من الضلالة، ولهذا كانوا يلاحقونه ويكونون معه أينما توجه، وعلم للهداية، لا لمجرد الأنس بمجلسه، فلاحظ ما يلي:

1 - لماذا اختاروا عماراً، دون سائر الصحابة؟!

2 - إن هذا يدل على عدم صحة قولهم: إن ما يروى عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[3]، شامل لجميع الصحابة، لأن ما جرى في صفين يدل على أن فريقاً كبيراً من الصحابة يحتاجون إلى من يهديهم. وقد روي عن

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص46 و (ط الأعلمي) ج4 ص32.

(2) أنساب الأشراف ج2 ص239 و (ط الأعلمي سنة 1394 هـ) ص332.

(3) راجع: عمدة القاري ج10 ص202 وتحفة الأحوذي ج10 ص155 و 196 وجامع بيان العلم وفضله ج2 ص78 وتخريج الأحاديث والآثار ج2 ص229 و 230 وتذكرة الموضوعات للفتني ص98 وشرح مسند أبي حنيفة ص328 وفيض القدير ج1 ص271 وكشف الخفاء ج1 ص132.

الرضا «عليه السلام»: بأنه «صلى الله عليه وآله» يريد من لم يغير بعده ولم يبدل[1].

وأما الحديث الذي يقول: أهل بيتي كالنجوم[2]، فهو شامل لجميع أهل البيت الذين نص عليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم الأئمة الاثني عشر والزهراء «عليهم السلام»..

3 - إن أقوال الرسول «صلى الله عليه وآله» في حق أمير المؤمنين «عليه السلام»، وفي علمه، والإهتداء به، أصرح، وأوضح، وأكثر، وأوفر من تلك التي وردت في حق عمار، وغيره من الصحابة.. فلماذا لا يهتدون به «عليه السلام»؟!

إلا أن تكون سياسات إقصاء علي وأهل البيت «عليهم السلام»، وإخماد ذكرهم قد أثرت على الكثيرين من الناس. وربما بعض الناس كانوا يتهمون علياً «عليه السلام» في أمانته على الحقيقة، وفي صدقه، وبأنه يجر النار إلى قرصه.. أعاذنا الله من الخذلان، ومن وساوس الشيطان.

إلا أن مما لا شك فيه: أن الكثيرين من هؤلاء كانت نواياهم حسنة.. نسأل الله تعالى أن يعفو عنا وعنهم.. إنه ولي قدير.

---

(1) راجع: عيون أخبار الرضا ج1 ص93.

(2) دعائم الإسلام ج1 ص86 وخلاصة عبقات الأنوار ج4 ص309.

المرقال.. وعبيد الله بن عمر:

وقد رأينا أن المرقال حين سقط مثخناً بالجراح، ورأى عبيد الله بن عمر قتيلاً قريباً منه، حبا حتى دنا منه، فعض على ثديه حتى انغرست أنيابه فيه. ثم مات هاشم على صدر عبيد الله.

وكذلك فعل ذلك البكري أيضاً.

ونقول:

إن هذا الذي فعله هاشم لم يكن ـ فيما نرى ـ نتيجة حقد شخصي على عبيد الله، فإننا نجل هاشماً عن هذا، بل هو ـ فيما يبدو ـ انطلاقاً من الشعور بأن ما يتعرض له الإسلام وأهله على يد معاوية ما هو إلا نتيجة السياسات العمرية العجيبة الغريبة التي كرست معاوية منافساً في الخلافة حتى لأخي الرسول ووصيه.. هذه السياسة التي خص بها عمر بن الخطاب معاوية دون سواه، فكرسته حاكماً بلا منازع على عرش الشام.

وقد مهد عمر له الأمور بطريقة ذكية، بالرغم من أنه كان من الطلقاء، الذين لا تحل لهم الخلافة.

فلاحظ ما يلي:

1 ـ ذم معاوية مرة عند عمر، فقال: دعونا من ذم فتى قريش من يضحك في الغضب[1] إلخ..

---

(1) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج3 ص397 ودلائل الصدق ج3 ق1

2 - وكان عمر إذا دخل الشام ونظر إلى معاوية، يقول: هذا كسرى العرب[1].

3 - وقال مرة لجلسائه: تذكرون كسرى وقيصر، ودهاءهما، وعندكم معاوية؟![2].

4 - وقال: «احذروا آدم قريش، وابن كريمها، من لا ينام إلا على الرضا، ويضحك في الغضب، ويأخذ ما فوقه من تحته..»[3]. يعني معاوية.

ولا أدري لماذا كان أبو سفيان كريم قريش، ولم يكن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، أو عبد المطلب، أو أبو طالب..

5 - وقال: «إياكم والفرقة بعدي، فإن فعلتم فاعلموا: أن معاوية بالشام، فإذا وكلتم إلى رأيكم (يعرف) كيف يستبزها منكم». أو قال: «وستعلمن إذا وكلتم إلى رايكم كيف يستبزها منكم»[4].

ص211.

(1) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج3 ص396 و 397 والإصابة ج3 ص434 وأسد الغابة ج4 ص386 وسير أعلام النبلاء ج3 ص134 والبداية والنهاية ج8 ص125.

(2) الفخري في الآداب السلطانية ص105.

(3) راجع: عيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص9.

(4) الإصابة ج3 ص434 و (ط دار الكتب العلمية) ج6 ص122 والبداية والنهاية ج8 ص136.

6 - ويقول لأهل الشورى: «إن تحاسدتم، وتقاعدتم، أو تدابرتم، وتباغضتم، غلبكم على هذا الأمر معاوية بن أبي سفيان. وكان معاوية يومئذ أمير أهل الشام من قبل عمر»(1).

7 - وقال لأهل الشورى أيضاً: «إن اختلفتم دخل عليكم معاوية بن أبي سفيان من الشام، وبعده عبد الله بن أبي ربيعة من اليمن، فلا يريان لكم فضلاً إلا بسابقتكم»(2).

8 - وكان عمر يجري على معاوية في كل شهر ألف دينار(3). وفي رواية أخرى: يجري عليه في السنة عشرة آلاف دينار(4).

ومع ذلك يروون: أن عمر حج سنة عشر من خلافته، فكانت نفقته سبعة عشر ديناراً، فقال: أسرفنا في هذا المال!!(5).

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص187 والنص والإجتهاد ص281 عنه، وكتاب الأربعين للشيرازي ص568.

(2) الإصابة ج2 ص305 و (ط دار الكتب العلمية) ج4 ص70 وكنز العمال ج5 ص436 و (ط مؤسسة الرسالة) ج5 ص735 عن ابن سعد، والغدير ج10 ص30 وتاريخ مدينة دمشق ج59 ص124.

(3) الإستيعاب ج3 ص471 و (ط دار الجيل) ج3 ص1416 وإمتاع الأسماع ج6 ص151.

(4) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1422.

(5) دلائل الصدق ج3 ق1 ص212 وعن تاريخ الخلفاء للسيوطي ص141 والصواعق المحرقة في سيرة عمر. وراجع: كنز العمال (ط مؤسسة

9 - ومع أن عمر كان لا يولي أحداً أكثر من عامين(1)، فإنه أبقى معاوية على الشام سنوات عديدة، دون أن يحاسبه، مع أنه كان في كل عام يحاسب عماله في سائر الأقطار، بصورة فردية ومهينة، ويقاسمهم أموالهم(2).

10 - وحين طلب معاوية من عمر أن يزوده بأوامره لكي ينتهي إليها، قال له: لا آمرك ولا أنهاك(3).

11 - كما أن معاوية كان يتعامل بالربا، ويتظاهر بالقبائح. وكان عمر يتغاضى عنه(4).

الرسالة) ج12 ص569 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص308 وراجع: الجرح والتعديل للرازي ج1 ص111.

(1) التراتيب الإدارية ج1 ص269.

(2) راجع: النص والإجتهاد ص271 ودلائل الصدق ج3 ق1 ص209 و 211.

(3) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1417 وسير أعلام النبلاء ج3 ص133 وتاريخ مدينة دمشق ج59 ص112 و 113 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص133 ودلائل الصدق ج3 ق1 ص212 عن الطبري ج6 ص184 وعن الإستيعاب.

وراجع: العقد الفريد ج1 ص14. وراجع: شيخ المضيرة أبو هريرة ص86 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص244 و 245 وشرح الأخبار ج2 ص115.

(4) مسند أحمد ج5 ص347 و 319 ودلائل الصدق ج3 ق1 ص212 و 213

12 - بل إن كعب الأحبار اليهودي قد لوح بالخلافة لمعاوية في عهد عثمان[1].

13 - كما أن معاوية نفسه قد صرح بأنه قد دبر الأمر من زمن عمر[2].

14 - كما أنه احتج على علي «عليه السلام» إذ أراد عزله بقوله: هذا موضع وضعني به عمر بن الخطاب، ولم يعزلني منه مذ ولاني

عنه، وعن المعتزلي ج4 ص60 وراجع: المجموع للنووي ج10 ص30 ومستدرك الوسائل ج13 ص353 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص230 والتمهيد لابن عبد البر ج4 ص70 وأضواء البيان للشنقيطي ج1 ص180.

وراجع: الغدير ج10 ص184 عن: موطأ مالك ج2 ص59 واختلاف الحديث للشافعي (هامش كتابه الأم) ج7 ص23 وسنن النسائي ج7 ص279 و 277 وسنن البيهقي ج5 ص277 و 278 و 280 وصحيح مسلم ج5 ص43 والجامع لأحكام القرآن ج3 ص349 وتاريخ مدينة دمشق ج7 ص206 و 212 وكنز العمال ج7 ص78 والإستيعاب ج2 ص412 وأسد الغابة ج3 ص106.

(1) راجع: نسخة وكيع (ط الدار السلفية ـ الكويت) ص91 والبداية والنهاية ج8 ص127 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص135 و 136 وتاريخ مدينة دمشق ج59 ص123 وسير أعلام النبلاء ج3 ص135 و 136 والنزاع والتخاصم للمقريزي ص81 و 82.

(2) الأذكياء ص28 وراجع: تقوية الإيمان لابن عقيل ص101.

إياه(1).

15 - واحتج معاوية على صلحاء الكوفة بأن عمر هو الذي ولاه(2).

16 - وحين طلب أمير المؤمنين «عليه السلام» من عثمان أن يعزل معاوية، رفض عثمان ذلك استناداً إلى أن عمر هو الذي استعمله(3).

وذلك كله يؤكد على أن البيت العمري والسياسة العمرية هي التي أوصلت معاوية إلى ما وصل إليه، فابتليت الأمة بهذا البلاء العظيم.

ويبدو: أن هذا هو ما دعا هاشماً إلى أن يعض ثدي عبيد الله بن عمر، حتى نيبت فيه أنيابه..

وهذا ما حصل أيضاً للبكري الذي أخذ الراية من هاشم.. كما

---

(1) شرح الأخبار ج2 ص115.

(2) الغدير ج9 ص35 عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص88 - 90 والكامل في التاريخ ج3 ص57 - 60 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص158 - 160 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ص387 - 389 وتاريخ أبي الفداء ج1 ص168.

(3) النصائح الكافية ص174 والغدير ج9 ص160 عن أنساب الأشراف ج5 ص60 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص17 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص143 والكامل في التاريخ ج3 ص63 وتاريخ أبي الفداء ص168 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص247.

تقدم.

لمن الرثاء؟!:

وسواء أكان الشعر المتقدم في رثاء هاشم والشهداء لعلي «عليه السلام»، ثم ردده عمرو بن الحمق الخزاعي رضوان الله تعالى عليه، أو كان لعمرو بن الحمق، وقد أعاده أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإنه يدل على ما كان لهؤلاء الشهداء الأبرار من قيمة وأثر في نفس علي «عليه السلام».

ويلاحظ: أن هذه الأبيات قد تضمنت وصف هؤلاء الشهداء بأوصاف، مثل:

1 - إنه حسان أو صباح الوجوه.. وهذه الصفة تكررت في أهل البيت وشيعتهم ومحبيهم.

2 - وأن هاشماً ذو مكارم.

3 - أن بعضهم كعروة، كان موضع ثناء وذكر بالفروسية والبطولة عند امتشاق السيوف.

الفصل الثالث:

الأنصار قتلت ذا الكلاع..

قتل حوشب ذي ظليم:

قالوا: وحميت أهل الشام، وعزموا على الموت، وتقدم سيد من ساداتهم يقال له: حوشب ذو ظليم، وهو يقول:

[وعند المنقري: وهو يومئذ سيد أهل اليمن، أقبل في جمعه وصاحب لوائه يقول]:

أهــل العــراق ناسبوا وانتسبوا نحـن اليمـانيون ومنـا حوشـب
أنـــا الظــليـم أين أين المهرب فينــا الصـفيح والقنــا المغلــب
والـخـيـل أمثال الوشيح شزب إن العـــراق خيلهـــا مذبـــذب
قــي قتــل عثمـان وكل مذنب هـــذا عــــلي فـيكم محبب

قال: فخرج إليه سليمان بن صرد الخزاعي، وهو يقول:

يــا لـك يومـا كاسفا عصبصبا يـا لـك يومـا لا يـواري كوكبـا
يـــا أيــها الحي الذي تذبذبا لسـنا نخـاف ذا الظلـيم حوشـبا
لان فـيـنـا بـطـلا مجــربا ابــن بــديل كــالهزبر مغضــبا
أمســى عــلي عــندنـا محببا نـفديــه بــالام ولا نــبقي أبــا

قال: ثم حمل عليه سليمان بن صرد، فطعنه في بطنه طعنة أنفذ السنان من ظهره، فسقط حوشب قتيلا.

قال: ودخل على معاوية من قتل حوشب مصيبة عظيمة.

وقتل حوشب وابن بديل، وصبر بعضهم لبعض، وفرح أهل الشام بمقتل هاشم(1).

قتل ذي الكلاع:

قالوا: واشتد القتال بين الفريقين.

وحملت خيل الأنصار على أهل الشام، فهزموهم، حتى ألحقوهم بحريم معاوية، وقتلوا منهم بشرا كثيرا، وقتل ذو الكلاع الحميري فيمن قتل، واغتم أهل الشام على ذي الكلاع أشد من غمهم على حوشب.

وحملت أهل العراق على القلب، وفيه معاوية وسادات قريش، فكشفوهم عن مواضعهم.

وعثرت بمعاوية فرس كانت تحته، فسقط إلى الأرض، وهمَّ به أهل العراق، فحمله أهل الشام، فأفلت سليب القلب لم يملك عقله، فأنشأ رجل من الأنصار يقول:

مـــعـاوي مـا أفلت إلا بجرعة

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص121 و 122 وصفين للمنقري ص400 و 401.

من الموت حتى تحسب الشمس كوكبا

نـجـوت فـقـد أدميت بالسوط حية

أزوما على فأس اللجـام مـشـذبـا

فـلا تـكـفـرنه واعلمن أن مثلها

إلى مثلها غالـى بـك الـجـري أوكبا

فـإن تفخروا بابني بـديـل وهـاشم

فـنـحـن قـتلنا ذا الكلاع وحوشبا

ولـمـا رأيــت الامر قد جــد جـده

وقــد كان يوما يترك الطفل أشيـبـا

صبرنــا لــكم تحت العجاج نفوسنا

وكان خلاف الــصـبر جدعا مُوَعَّبا

ولــم نـلــف فيها خاشعين أذلة

ولم تك منا في الــوغــاء مـذبـذبا

كســرنا القنا حتى إذا فـنـي القنا

صـبــرنـا وقلبنا الصفيح المجربـا

ولم يسر في الـجـمعين صارف وجهه

ولا ثانيا في رهبة الـمـوت منـكـبـا

ولــم تـر إلا قحف رأس وســاعد

وســاقـا طـنـيـنـا أو ذراعا مخضبا

كـأنـا وأهل الشـام أســد مشيحة

لخفان لا ينبين نابا ومخلبا

قال: وانصرفت الفريقان يومئذ، وقد نال أهل العراق من أهل الشام منالا قبيحا، فأنشأ أبو حية الأنصاري عاقر الجمل يوم البصرة، يقول في ذلك:

سائل حبيبة معبد عن بعلها وحليلة اللخمي وابن كلاع
واسأل عدو الله عن أرماحنا لما ثوى متجدلا بالقاع
واسأل معاوية المولي هاربا والخيل تعدو وهي جد سراع
ماذا يخبرك المخبر صادقا عنا وعنهم عند كل دفاع
إن يصدقوك يخبروك بأننا أهل الندى مستسمعوا[1] للداعي
ندعو إلى التقوى ونرعى أهلها برعاية المأمون لا المضياع
ونسن للأعداء كل مثقف لدن وكل مهند قطاع

معاوية يتوعد عبد الله بن هاشم:

قال: وجعل معاوية يسأل عن رجل بعد رجل من فرسان أهل الشام، فليس يسأل عن أحد إلا قيل قتل، حتى سأل عن الحارث بن المؤمل ـ وكان الحارث سيدا في أهل الشام ـ فقيل له قتل.

قال: ومن قتله؟!

فقيل له: عبد الله بن هاشم.

(1) كذا في المصدر.

فقال معاوية: أليس قد جرح عبد الله جراحات كثيرة؟!

قالوا: بلى! ولكنه قاتل على ما به من الجراحات، هو الذي قتل الحارث بن المؤمل.

فقال معاوية: لئن أمكنني الله من عبد الله بن هاشم، لأفعلن به ولأصنعن(1).

ابن المرقال.. ومعاوية:

قال: فلما كان بعد ذلك، وأفضى الامر إلى معاوية، سأل عن عبد الله بن هاشم.

فقيل: إنه بالبصرة في بني ناجية، عند عجوز تداويه من جراحاته، فكتب إلى عامله بالبصرة: أن اطلب عبد الله بن هاشم في بني ناجية، فإذا قدرت عليه، فاحمله إلي في أسرع ما تقدر عليه.

فلما ورد الكتاب على عامل البصرة، بعث إلى بني ناجية، فطلب عبد الله بن هاشم حتى ظفر به، فحمله إلى معاوية (فدخل) وسلم، فرد عليه السلام، ونظر إليه، فإذا هو عليل مدنف سقيم، قد تغير عن حالته التي كان عليها، فأمره بالجلوس، فجلس.

قال: ونظر عمرو فقال: يا أمير المؤمنين! هذا المحتال بن المرقال.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص122 - 124.

قال معاوية: نعم هذا المحتال بن المرقال، فهات ما الذي ترى فيه!

فقال: دونك الضب المضب، المغتر المفتون، فإن العصا من العصية، وإنما تلد الحية حية، وجزاء السيئة سيئة مثلها.

فقال له ابن هاشم: ما أنا بأول رجل خذله قومه، وأدركه يومه.

فقال معاوية: تلك ضغائن صفين، وما جنى عليك أبوك.

فقال عمرو: أمكني منه فأشخب أو داجه على أثباحه.[فلبئس ما فعل هذا بنا، وأبوه، وأخوه في صفين].

فقال له ابن هاشم: فهلا كانت هذه الشجاعة منك يابن العاص أيام صفين حين ندعوك إلى النزال، وقد ابتلت أقدام [هام] الرجال، من نقيع الجريال، وقد تضايقت بك المسالك، وأشرفت فيها على المهالك.

وأيم الله لولا مكانك منه لنشبت لك مني خافية أرميك من خلالها بأحد من وقع الأشافى [الأسل]، فإنك لا تزال تكثر في هوسك، وتخبط في دهشك، وتنشب في مرسك، تخبط العشواء، في الليلة الحندس الظلماء.

قال: فأعجب معاوية ما سمع من كلام ابن هاشم، فأمر به إلى السجن، وكف عن قتله، فبعث إليه عمرو بأبيات يقولها له:

أمرتك أمراً حازما فعصيتني وكان من التوفيق قتل ابن هاشم

[أليس أبوه يا ابن هند هو الذي رماك علي يوم حزّ الغلاصم]

وكـــان أبـــوه يـــا معاوية الذى رمـاك علـى جـد بحـز الغلاصـم

فمـا برحوا حتى جرت من دمائنا بصفين أمثال البحور الخضارم

وهــذا ابــنــه والمرء يشبه أصله ســتــقـــرع إن أبـــقيته سـن نـادم

فبلغ ذلك ابن هاشم وهو في محبسه، فكتب إلى معاوية:

مــعـــاوي إن المرء عمرا أبت له ضـغينة صـدر ودهـا غيـر سـالم

يـــرى لك قتلى يا ابن حرب وإنما يــرى مــا يــرى عمــرو ملــوك الأعـــاجم

على أنــهـــم لا يـقتلون أسيرهم إذا كــان مــنهم منعـة للمســالم

وقــد كـــان منا يوم صفين نفرة عليك جناها هاشم وابن هاشم

قضى الله فيها ما قضى ثمت انقضى وما ما مضى إلا كأضغاث حـالم

هي الوقعة العظمى التى تعرفونها وكل على ما قد مضى غير نــادم

فإن تعف عنى تعف عن ذى قرابة وإن تــــر قتلـــى تســـتحل محارمي[1].

قال: فاستحيا معاوية من شعره، ثم أنشأ يقول:

أرى العفـو عن عليا قريش وسيلة إلـــى الله فـــي اليــوم العبــوس القمـــــاطر

---

(1) صفين للمنقري ص348 و 349 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص124 - 127.

ولست أرى قتلي الغداة ابن هاشم بـإدراك ذحـل فـي تمـيم وعـامر
بــل العفــو منـه بعد ما بان ريشه وزلت به إحدى الحدود العواثر
وكـــان أبــوه يــوم صفين جمرة عــلــيــنـــا فأردتنـــا ســـوف المجابر

قال: ثم أخرجه معاوية من محبسه ذلك، وكساه وأحسن إليه، ووصله بعشرة آلاف درهم، ورده إلى البصرة مكرماً(1).

ونقول:

إيضاحات:

مستوسقين: مجتمعين.

المعلَّب: الذي حزم مقبضه بعلباء البعير، وهي العصبة الممتدة في عنق البعير.

الوسن: النعاس.

الوشيج: شجر الرماح.

الشزّب: ضوامر الخيل. وهو جمع شازب.

الكاسف: العبوس.

مذبذب: متردد بين أمرين.

العصبصب: من الأيام الشديد الحر. أو الشديد مطلقاً.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص126 و 127.

الأزوم: الناب. والملازم للشيء.

فأس اللجام: الحديدة القائمة في الحنك.

المشذّب: شذب اللحاء: قشره، والشجر ألقى ما عليه من الأغصان.

موعّب: الشيء الذي أدخل كله في شيء آخر.

مُشيحة: المشيح: المانع لما وراء ظهره. وكذلك الأسُود.

خفان: ارض كثيرة الأسود قرب الكوفة.

ساقاً طنيناً: الساق المقطوعة.

اللدن: اللين من كل شيء.

الجريال: صبغ أحمر. وما خلص من لون أحمر.

المرس: الحبال.

العشواء: الناقة التي لا تبصر أمامها، فهي تخبط بيديها كل شيء. والظلمة.

الغلاصم: العجرة وهي العقدة على ملتقى اللهاة والمريء. أو رأس الحلقوم. أو أصل اللسان.

الخضارم: البحار الواسعة الكثيرة الماء.

القماطر: الشديد.

الذحل: الثار، أو طلب مكافأة بجناية جنيت عليك.

ريشه: لعله إشارة إلى ظهور ضعفه.

المجابر: الجبار من الحروب ما لا قود فيه.

الهزبر: الأسد.

الثبج: ما بين الكاهل إلى الظهر. ووسط الشيء ومعظمه.

الأنصار قتلت ذا الكلاع:

وقد دلت رواية ابن أعثم على:

1 - أن الأنصار في جيش أمير المؤمنين «عليه السلام» كانوا من الكثرة والقوة والبسالة، بحيث أن خيلهم حملت على أهل الشام، فهزموهم..

2 - أن هذه الهزيمة لأهل الشام كانت مؤلمة لمعاوية، لأنها كانت تحت سمعه وبصره، فقد ألحقت أهل الشام بحريمه..

3 - لقد قتل الأنصار من أهل الشام في هذا الهجوم بشراً كثيراً.

4 - أنه قتل ذا الكلاع، وهو أعظم قائد عند معاوية، وأهم شخصية في تلك البلاد على الإطلاق، وأعظم الناس أثراً في جمع عشرات ألوف المقاتلين لمعاوية.

5 - أن قتل هذا الرجل كان مدوياً، لأن قتله قد أدخل على أهل الشام غماً عظيماً.

6 - لا ريب في أن معاوية سوف لا ينسى للأنصار هذا الذي فعلوه، وسوف يسعى للإنتقام منهم بكل ما يقدر عليه..

أفلت معاوية سليب القلب:

ولم يكتف الأنصار، ومن معهم من أهل العراق بهذا، بل هاجموا قلب الجيش الشامي، وهو رمز القوة، وفيه نخبة الأبطال والفرسان. وهو عماد الجيش كله، وهو الموضع الذي كان معاوية ينعم فيه بالأمن..

وكان هجومهم ساحقاً، وماحقاً، هز أركان الجيش، وكشفه عن مواضعه، وقوض دعائمه، ومعاوية يعاين ذلك عن كثب، ولا يجد حيلة، ولا سبيلاً إلى رد ذلك. بل هو يرى نفسه مضطراً للتحرك مع جيشه، ليبتعدوا عن تلك المواضع المشتعلة، وإذ به تعثر به فرسه، ويسقط إلى الأرض، ويتحفز أهل العراق للإنقضاض عليه، ويطير عقله من راسه، ويصبح سليب القلب، طائش اللب، لا يستطييع ان يميز بين الشمس وبين الكواكب.

فأي قائد هذا الذي يخشى الموت إلى هذا الحد، ويظهر خوره، ويتجلى جبنه، لكل أتباعه، ومن هم حوله؟! وهل يقاس معاوية الخائف والهارب والفاقد لعقله بهاشم المرقال: الذي يخطط، لتلافي حصول أية ذرة خوف في نفوس أصحابه، إذا رأوا سقوطه قتيلاً، وبدمه جديلاً؟!

بل هو يرسل في لحظات احتضاره إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» بخطة تأتي بالنصر لأهل الحق، وبالهزيمة النكراء لأهل الباطل.. وهي هذه الهزيمة بالذات التي أظهرت معاوية على حقيقته.

حتى قال فيه الشعراء، وعيروه بهذا الهرب الذليل، كما تقدم في أبيات عاقر جمل عائشة، ورجل آخر من الأنصار.

معاوية لا يقتل عبد الله بن هاشم:

ويبقى أمامنا سؤال، وهو لماذا لم يقتل معاوية عبد الله بن هاشم المرقال؟! ولم يستجب لطلب عمرو بن العاص الذي اظهر حدة وشدة غير معتادة تجاه عبد الله؟!

ولماذا هذا الحرص من ابن العاص على قتل ابن هاشم؟! ولماذا هذه السماحة والأريحية من معاوية؟! أم أنها كانت مسرحية أخرجها معاوية وعمرو بن العاص على هذا النحو، ليعطيا عفو معاوية عن عبد الله قيمة وزخماً إعلامياً وحيوية وأثراً؟!

ونجيب على هذه الأسئلة ضمن النقاط التالية:

1 ـ إننا وإن كنا لا نستبعد اصطناع المسرحيات بين عمرو ومعاوية، ولكن الإنصاف يقضي بعدم إهمال سائر الإحتمالات والفرضيات في فهم هذا الذي حدث..

2 ـ إن معاوية الذي كان قد أوعد عبد الله بن هاشم بالشر، قد باشر العمل على تنفيذ هذا الوعيد بكتابته إلى عامله يأمره بالبحث عنه، وبحمله إليه على الفور إن قدر عليه، فلما قدر عليه أرسله إليه، وجرى ما جرى..

3 ـ إننا لم نعهد معاوية حليماً على أعدائه إلى هذا الحد، وما صنعه بحجر بن عدي وأصحابه خير شاهد على ما نقول..

4 - إن حلم معاوية، يتجلى في موارد معينة، يكتشف الباحث بعد التأمل فيها أن المنافع التي جناها بعفوه، وما تظاهر به من حلم وتسامح أعظم بكثير جداً مما كان يتوخاه من انتقامه.

وإنما كان يحلم ويعفو عن بعض النساء المسنات اللواتي لو انتقم منهن لجلب على نفسه سبة وعاراً، وربما أسس قتلهن لعداوات مع قبائل كان في غنى عن عداوتها..

وهو يحلم ويعفو، ويعطي ويهب الألوف حين يرى أن ذلك سيجلب له المدح والثناء، ويمنع من تداول عيوبه، والتحدث بمساوئه وجرائمه، وارتكاباته المختلفة..

5 - وهو يعفو أيضاً حين يكون الطرف الآخر على حافة قبره، ولم يبق منه الدهر ما يعول عليه، أو يلتفت إليه، وربما يمنحه حلمه وعفوه عن أمثال هؤلاء مسحة من التقوى التي يحتاج، ولو إلى مجرد توهمها فيه، بعد أن شاع وذاع عنه ما يناقضها، وهذا ما حصل بالفعل له مع عبد الله بن هاشم.

فأولاً: لقد حاول أن يدعي لنفسه أنه قد جعل العفو عن عبد الله بن هاشم وغيره، وسيلته إلى الله، فقد قال:

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة إلى الله في اليوم العبوس القماطر

ثانياً: صرح بأن قتل عبد الله بن هاشم لا يؤدي إلى ادراك ثأر يطلبه عند أي من القبائل التي حاربته.

ثالثاً: صرح بأنه إنما يعفو عنه بعدما ضعف وبان ريشه، وأصبح حظه عاثراً بسبب علته ومرضه الشديد وسقمه، وتغير احواله..

رابعاً: لقد ذكره عبد الله بن هاشم في شعره الذي ارسله إليه من محبسه، بأن قتله ليس فقط سوف لا ينفعه، بل هو سيجر عليه العار، ويجعله شبيهاً بملوك الكفر الذين يقتلون أسيرهم.. وسينظر إليه الناس بعين النقص، على قاعدة:

أسد علي وفي الحروب نعامة نكراء تنفر من صفير الصافر

وهذا غاية الضعف، والضعة.

بل إن حاله سيكون أسوأ من حال ملوك الكفر، لأن أولئك الملوك، لا يقتلون أسيرهم في حال ظهور قوتهم.. ومعاوية يقتل أسيره، حتى بعد ظهور أمره واستقرار ملكه. وهذا غاية الرذالة والخسة، واللؤم.

وهذا بالذات ما فعله معاوية بحجر بن عدي ورفاقه.. وهو يكذب دعواه أنه إنما يعفو عن هاشم، وغيره من عليا قريش رغبة بما عند الله، ووسيلة ليوم تشخص فيه الأبصار..

كما أنه قتله لخيار الصحابة في صفين بما فيهم هاشم، وعمار، وذو الشهادتين، وابن التيهان، وسواهم، بالإضافة إلى عشرات الألوف الآخرين. خير شاهد على أنه يريد التدليس على الناس بشعره

هذا..

وخلاصة الأمر: إن معاوية يرى أن قتل هذا الرجل لا يفيده شيئاً، بل هو يضره إذا كان قد يثير الكثيرين ضده، مع أنه يرى إنه في غنى عن قتله، لأن أمره إلى زوال بسبب مرضه الشديد، وتغير حاله.

يضاف إلى ذلك: أن العفو عنه يكسبه حمداً، ويقطع ألسنة الكثيرين عن اللهج بعيوبه، والتحدث بموبقاته. وغير ذلك من منافع ومضار أخذها معاوية بعين الإعتبار.

6 ـ وأما عمرو بن العاص، فكما أننا لا نستطيع أن نبرئه من تهمة التآمر مع معاوية ـ كذلك لا نستطيع أن نبرئه من أن يكون ما يدفعه إلى اتخاذ هذا الموقف هو شدة حقده على هاشم، وكل من يلوذ به.

بل لعله كان يريد بمشورته هذه، وموقفه هذا أن يكيد معاوية، ويدفعه للإنزلاق في هاوية أعدها له, ربما تضعف أمره، وتفسح المجال لإبن العاص للإستطالة عليه.. وقد رأينا نظائر لهذه التصرفات من عمرو ضد معاوية.

7 ـ وعلينا أن لا ننسى أيضاً: أن معاوية نفسه كان يكايد عمرواً في أمثال هذه الأمور، ويرصد عثراته، ويعيره بها.. وقد قال تعالى عن أمثال معاوية وعمرو بن العاص: **(لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا**

وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّـهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ)(1).

جزع أهل الشام على حوشب وذي الكلاع:

قالوا: وجزع أهل الشام على قتلاهم جزعاً شديداً، فقال معاوية بن حديج الكندي: يا أهل الشام! قبح الله العيش بعد حوشب وذي الكلاع، والله لو ظفرنا بأهل العراق بعد هلاكهما بغير مؤنة لما كان ظفرا.

فقال يزيد بن أنس: صدقت يا بن حديج، أو تبكي على قتيل إلى أن تنجلي هذه الفتنة(2)، فإن يكن الأمر لنا فأوينا وبكينا، وإن كان لغيرنا فأحرى أن لا نبكي على أحد.

قال: وبلغ ذلك معاوية، فأرسل إلى وجوه أهل الشام، فجمعهم ثم قال: يا أهل الشام! إنكم لستم أحق بالجزع على قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم، والله ما ذو الكلاع فيكم بأجلّ من عمار بن ياسر فيهم، ولا حوشب ذو الظليم فيكم بأعظم من هاشم بن عتبة، ولا عبيد الله بن عمر بن الخطاب فيكم بأعظم من عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فيهم، وما الرجال إلا أشباه، وما التمحيص إلا من عند الله، فأبشروا فإن الله تبارك وتعالى قد قتل من القوم ثلاثة وبقي ثلاثة، قتل عمار بن ياسر وكان فارسهم، وقتل هاشم بن عتبة وكان جمرتهم، وقتل عبد الله

---

(1) الآية 14 من سورة الحشر.

(2) هذا تحذير من البكاء على القتلى.

بن بديل وكان فاعل الأفاعيل.

وبقي الأشتر، والأشعث، وعدي بن حاتم، والله قاتِلُهم غداً إن شاء الله.

قال: فقال معاوية بن حديج: يا معاوية! إن تكن الرجال عندك أشباهاً فليست عندنا كذلك.

قال وغضب معاوية [من] ابن حديج من ذلك، فأنشأ بعض أصحابه (أي بعض أصحاب ابن خديج) يقول في ذلك (وفي صفين للمنقري: إن قائل الأبيات هو الحضرمي):

معاوي قد نلنا ونيلت سراتنا ... وجدع أحياء الكلاع ويحصب

بذي كلع لا يبعد الله داره ... وكل يمان قد أصيب بحوشب

وما علقت أرماحنا بفوارس ... من القوم إلا جدع أنف مرعب

هما ما هما كانا لكل عظيمة ... متى ما أقولن فيهما لا أكذب

وليس ابن قيس أو عدي بن حاتم ... ولا أشتر أندادهم في التجرب

ولو قبلت من هالك قبل فدية ... فديتهما بالنفس والأم والأب(1)

ونقول:

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص161 - 163 وصفين للمنقري ص454 و 455.

ليس هذا جزعاً، بل خوف:

زعم النص المتقدم: أن أهل الشام قد جزعوا على حوشب ذي ظليم، وذي الكلاع.

ونظن: أن الراوي لم يعط هذا الأمر حقه من التروي والتدقيق، وإلا لكان قد أدرك من سياق الأحداث، ومن الكلام الذي يطفح على الشفاه أحياناً: أن الأمر لم يكن مجرد جزعٍ على قتيل عزيز عند أهله، محبوب عند قومه، بل كان أبعد من ذلك..

فإن الله تعالى يقول عن أهل الباطل: **(تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى)(1)**. وقد بينت الأحداث والتجارب: أنهم لا يدفعون عن بعضهم البعض، ولا يخاطرون بأنفسهم إلا بالمقدار الذي يرون فيه حفظ نفوسهم. بل إن كلاً منهم يريد أن يدفع عن نفسه بغيره، إن استطاع.

وإن دفعتهم الحمية أو العصبية إلى نصرة بعضهم، فذلك، لا يبلغ حد التضحية بالنفس لحفظ الغير، بل هو ـ في أحسن الأحوال ـ لحفظ الغير والنفس معاً.

من أجل ذلك نقول:

إن جزع أهل الشام كان خوفاً على أنفسهم، وترقباً لسوء ما ينالهم، وما ربما تؤول إليه الأمور، فإن من كانوا يرون فيهم ضمانة، وحماية، وملاذاً لهم قد قتلوا، ولا يرون أن ثمة من يقوم

(1) الآية 14 من سورة الحشر.

مقامهم. ويكون بحيث تنقاد الناس له، وتطيعه في التحشّد للقتال، وتكون له مثل سطوتهم، وقوة شوكتهم..

أما أهل الحق، فلهم سجية أخرى، فهم يرون أن الله هو الحافظ والناصر، وهم يرون أن الحرب ليست مجرد دفاع عن النفس، بل هي عمل بالواجب، ونصرة للحق، ودفاع عن أهله، ولا يرون أن الأمور تدور مدار الأشخاص، بل مدارها على إنجاز الواجب والتكليف الإلهي. فهو الذي يحدد المسار، وهومعيار الإنتصار، او الإنكسار.

ولكن ذلك لا يعني أنهم لا يحزنون على الأصحاب، ولا يتألمون لفراق الأحباب!! فإنهم يملكون من العواطف الجياشة والإحساسيس الواقعية والصادقة، ما يفوق حد الوصف. إنهم يحزنون على الأشخاص حزناً حقيقياً وعميقاً، لأنهم يحبونهم في الله. ولا يحبونهم لأجل أنفسهم.

لا توازن في فكر أهل الباطل:

والنقطة التي تجدر الإشارة إليها هنا هي: أن الضلال حين يضرب أطنابه في الناس، فإن الأمر لا يبقى مجرد خطأ قد عرض لشخص في نقطة معينة، بل هو يتحول ليصبح وباءً عاماً يستأصل كل معالم الشخصية الإنسانية، وينتشر في مختلف حناياها وخلاياها، كالنار في الهشيم.

وينتهي به الأمر إلى أن يفسد النفوس والأرواح، ويستبد بالعقول والمشاعر. ويجتاح الأخلاق والقيم، فيستأصلها، أو يحولها إلى وسائل

اختلاس وابتزاز، وتزوير وخداع.

بل هو يحدث اختلالات عميقة حتى في الفكر، والفهم والإدراك للأمور.. إلى أن يخرج ذلك الشخص عن دائرة الصلاحية لحمل اسم الإنسان، ويصير كالأنعام بل أضل سبيلاً. أو يحوله إلى شيطان له صورة إنسان.

ولو أردنا جمع الدلائل والشواهد على ذلك من القرآن، ومن الحديث الشريف، لوجدنا الشيء الكثير، والوفير.. ويكفي أن نتذكر الآيات التالية:

1 ـ قوله تعالى: **(خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**(1).

2 ـ وقوله تعالى: **(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ..)**(2).

3 ـ وقال سبحانه: **(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)**(3).

4 ـ وقال تبارك وتعالى: **(..لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ**

---

(1) الآية 7 من سورة البقرة.

(2) الآية 5 من سورة الصف.

(3) الآية 74 من سورة البقرة.

لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)[1].

5 - وفي النص المتقدم شاهد على هذا الأمر أيضاً، فإن ابن حديج قال: إن ظفرهم بأهل العراق، بدون تعب لا يوازي قتل حوشب وذي الكلاع. مع أن هذين الرجلين ليسا من العلماء، ولا من الأتقياء الأبرار، ولا من أهل الشيم الكريمة، والسجايا القويمة، وليس لهما أثر في الإسلام والإيمان، ولا هما من أهل العدل في العباد، ولا قدّما خدمة تذكر لأهل البلاد.. وليسا من أهل الحكمة والدراية، وكما أنه ليس ثمة ما يؤثر عنهما في الكياسة والسياسة.

بل كانا من أعوان الظالمين، ومن رؤوس المعتدين على أهل الحق والدين، ومن المساهمين بقتل عشرات الألوف من المسلمين. والأبرار والمتقين. وكانا خارجين على إمام زمانهم، ومن المفترين عليه. ومن أئمة الكفر وزعماء أهل الضلال. فأية خسارة للأمة وللناس في قتلهما؟! وهل كانت حياتهما إلا وبالاً على الدين، وعلى الحق وأهله، ومن موجبات سرور الشيطان وحزبه؟!

فأي ميزان هذا الذي يعتمده ابن حديج في تقويم الخسارة والربح، والسقوط والنجح؟! فهل خسر بهما نبياً، أو وصياً، أو ولياً، أوعالماً، أومجاهداً في سبيل الله، أو مصلحاً لحال عباد الله؟! إلى غير ذلك مما

---

(1) الآية 179 من سورة الأعراف.

ذكرناه؟!

6 - إن الأعجب من ذلك قول يزيد بن أنس لحديج عن الحرب التي يخوضانها: إنها فتنة.. فإذا كانت فتنة، فلماذا دخلتما فيها، وسعّرتم نارها؟!

وهل أثار هذه الحرب إلا أنتم؟! فلماذا لم ترضوا بالتخلي عنها؟!

ولماذا رفضتم الإستجابة لدعوات علي «عليه السلام» وأصحابه لكم بالرجوع إلى القرآن والعمل بما فيه، لينقذكم من براثن الفتنة، ويعرفكم بالصواب لكي تتبعوه، وبالخطأ لكي تجتنبوه؟!

ألم يقم أهل الحق الحجج القاطعة عليكم، ورفضتم الإنصياع لها، والقبول بها؟! ولم تقدموا أي عذر يبرر لكم إصراركم على الحرب.

7 - والأغرب من ذلك، والأعجب: قول يزيد بن أنس: «فإن يكن الأمر لنا، فأوينا وبكينا، وإن كان لغيرنا فأحرى أن لا نبكي على أحد».

فقد أوضح: أن المهم عند هؤلاء ليس هو قتل ذي الكلاع، وإنما الذي يهمهم هو السلطة، فإن حصلوا عليها بكوا على ذي الكلاع وحوشب، وغيرهما.. وإن لم يحصلوا عليها، فلماذا يبكون عليهم؟!

أي أن دم ذي الكلاع وحوشب إن جاءهم بالسلطة كانت له قيمة عندهم، ويستحق كل منهما أن يبكى عليه، وإن لم يأتهم بشيء فلا قيمة له، ولماذا يبكون على شيء بلا قيمة؟!

فهم يتاجرون بدماء غيرهم، فلنا بعد هذا أن نسأل: إنهم حين

يبكون على هؤلاء هل يبكون حزناً عليهم؟! أم يبكون رياءً وسمعة، وإمعاناً بالمتاجرة بالدماء، لأنهم قد يحتاجون إلى تلك الدماء لحماية سلطتهم، أو لتوسعتها، لأنهم يظنون أن بكاءهم على دماء هؤلاء قد يشجع بعض السذج على بذل المزيد أيضاً حين يطلبون منهم ذلك، إنسياقاً مع الأوهام التي تراود مخيلتهم، التي صنعها البكاء الريائي على حوشب وذي الكلاع.

وهذا المورد يمكن أن يعتبر من أوضح الموارد التي يتجلى فيها اختلال الموازين، وسقم التفكير، وضلال المشاعر، وفقدان القيم، وبوار الأخلاق.

ما بني على باطل فهو باطل:

وقد حاول معاوية أن يتلافى سلبيات الأجواء المثارة، ويعيد إلى أهل الشام بعض ما فقدوه من ثبات، ويزيل عنهم سحابة الخوف التي أظلتهم بقتل حوشب وذي الكلاع. فحاول أن يدعي: أن الأمور ليس فقط لم تتغير عما كانت عليه، بل هي قد تغيرت لصالح أهل الشام.

فقد قتل ثلاثة من كبار قادة أهل الشام، وهم:

1 ـ ذو الكلاع.

2 ـ حوشب ذو الظليم.

3 ـ عبيد الله بن عمر بن الخطاب.

وقتل في مقابلهم ثلاثة من كبار قادة أهل العراق، وهم:

1 - عمار بن ياسر.

2 - هاشم بن عتبة المرقال.

3 - عبد الله بن بديل.

فهؤلاء الثلاثة هم - بنظر معاوية - أشباه الثلاثة المقتولين من أهل الشام!!

وقتل هؤلاء الثلاثة معناه - حسب منطق معاوية - أنهم قد قطعوا نصف الطريق، بل أكثر من النصف، لأنه لم يبق من قادة أهل العراق سوى ثلاثة، وهم:

1 - مالك بن الحارث الأشتر.

2 - الأشعث بن قيس.

3 - عدي بن حاتم.

والثلاثة الأول، وهم: عمار، والمرقال، وابن بديل كانوا هم الأقوى شكيمة، والأبعد أثراً. وبقي الثلاثة الأقل قيمة، والأضعف أثراً.

ونريد أن نوضح للقارئ الكريم: أن هذه المعالجة ليست بذات قيمة.. وذلك لما يلي:

أولاً: إن معاوية بن حديج قد رفض ما زعمه معاوية، من أن الرجال أشباه.. زاعماً: أن القادة المقتولين من أهل الشام مقدمون على القادة الشهداء من أهل العراق.

ونحن نوافقه على رفض مقولة معاوية، فإن الرجال ليسوا أشباهاً، فهناك التقي والولي، وهناك المجرم الشقي، وفي الرجال العالم والجاهل، والذكي والغبي، والمؤمن، والكافر، والمهتدي والضال.

ولكننا نخالف ابن حديج في تقديمه ذا الكلاع وحوشباً، وسواهما على أمثال عمار، والمرقال، وابن بديل.

فهل يقاس القاسط والباغي، والظالم، والضال، والمجرم، والأعرابي، والجاهل، والخارج على إمام زمانه، والساعي في قتله، والمشارك في قتل عشرات الألوف من أهل القبلة ـ هل يقاس ـ بعمار بن ياسر، الذي ملئ إيماناً إلى مشاشه، والذي نص الرسول «صلى الله عليه وآله» على أنه تقتله الفئة الباغية. وهو أيضاً علم هداية ورائد سلامة ونجاة بنص من الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»؟!

يضاف إلى ذلك: علمه، ودينه، وتقواه، ودفاعه عن دينه، وعن إمامه، وجهاده في سبيل الله؟!

ألا ساء ما يحكمون.

ثانياً: قد عرفنا أن معاوية أراد بمنطقه هذا تضليل أهل الشام وخداعهم، فإن من يحارب من اجل الدنيا وزخرفها، ويسعى للإستئثار بكل شيء فيها، لا يقاس بمن يدافع عن دينه، وعن إمامه، وعن المؤمنين والمستضعفين، ويحارب الناكثين والقاسطين.. ولا يريد بجهاده هذا إلا رضا الله تعالى والدار الآخرة.. كما أن من يحارب من

أجل الدنيا إنما يريد البقاء لنفسه، وأن تحل المصيبة بغيره بخلاف من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله، فإنه يبذل مهجته لنيل ما يتمناه، ولا يمكن أن يرضى أبداً بأن يقتل في سبيل الله أحد سواه.

وعلى هذا، فإذا أصيب أهل العراق بقادتهم.. فهم يحزنون لفراق أجسادهم، ويفرحون لهم، لأنهم نالوا أغلى أمنياتهم، وحققوا أعز آمالهم بالحصول على الشهادة.

أما أهل الشام فقد تقدم أن ما اسموه جزعاً على قادتهم إنما هو في الحقيقة خوف على أنفسهم، وشعور بالفشل والهزيمة كما بيناه.

فلا معنى لمقايسة هذا بذاك.. ولا كرامة.

الفصل الرابع:

قبل استتشهاد عمار..

وشاحان من در.. ووشاحان من نار:

1 - روى الخطيب: عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول لعمار بن ياسر: يا عمار، تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك.

يا عمار بن ياسر، إذا رأيت علياً سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي ودع الناس، إنه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من الهدى.

يا عمار، إنه من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله تعالى يوم القيامة وشاحين من در.

ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي، قلده الله تعالى يوم القيامة وشاحين من نار(1).

---

(1) راجع: تاريخ بغداد ج13 ص187و 188 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص472 والبداية والنهاية ج7 ص307 و (ط دار إحياء التراث العربي)

ونقول:

قد يدَّعي البعض: أن إخبار إنسان بأنه سيموت قتلاً، قد لا يناسب الرأفة الإنسانية، لما فيه من جرح للشعور، ومخالفة لما يقتضيه الرفق بالناس، حيث سيتخيل ذلك الشخص نفسه حين تقصده الآلات الحادة بشفارها، لتنغرس في لحمه، وتهشم عظمه، وسيتخيل نفسه وهو يواجه الآلام الحادة، وتنصب عليه لذعاتها، التي تجعله في حالةٍ تثير الشفقة، وتؤلم الصديق، وتشمت العدو.

غير أننا نقول:

إن ذلك غير دقيق، لأن الناس يختلفون كثيراً في مواجهة هذه الحالات، فأهل الله سبحانه يسعدون بهذه الآلام، لأنها تزيد في محبة الله تعالى لهم، وهي من وسائل رضاه عنهم، وقربهم منه.. وقد سمعنا وقرأنا أن الإمام الحسين «عليه السلام» يسأل القاسم بن الحسن «عليه السلام» عن كيفية مواجهته لآلام الشهادة، ومدى تحمله لأعبائها، فيقول له: يا بني كيف الموت عندك؟!

فيقول: يا عم أحلى من العسل(1).

ج7 ص340 والصراط المستقيم ج1 ص274 و 275 وبحار الأنوار ج38 ص38 و 39 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص11 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص472 و 473 ونهج الإيمان ص191 و 192 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص133.

(1) راجع: وسيلة الدارين في أنصار الحسين ص253 ومدينة المعاجز ج4

كما أن الإمام علياً «عليه السلام» حين تلقى ضربة ابن ملجم «لعنه الله» قال: فزت ورب الكعبة(1).

وعمار بن ياسر حين يسمع قول النبي «صلى الله عليه وآله»: تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك. لا بد أن يطير فرحاً بهذه البشارة، لأنها تطمئنه إلى أنه على طريق الهدى، ويسلك سبيل سلامة ونجاة.

وبذلك تصبح هذه البشارة من أعظم مفردات الإحسان للإنسان، وليس العكس.

ص215 و 228 والهداية الكبرى ص204.

(1) راجع: خصائص الأئمة ص63 وشرح الأخبار ج2 ص442 والمسترشد ص4 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص385 وج3 ص95 والطرائف لابن طاووس ص519 وحلية الأبرار ج2 ص63 و 391 ومدينة المعاجز ج3 ص40 وبحار الأنوار ج41 ص2 وج42 ص239 وشجرة طوبى ج1 ص64 ونهج السعادة ج7 ص111 و 124 و 125 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1125 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص207 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص561 وأسد الغابة ج4 ص38 وأنساب الأشراف ص488 و 499 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص114 والوافي بالوفيات ج18 ص173 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص138 و (تحقيق الشيري) ج1 ص180 والدر النظيم ص271 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص96 و 97 وقصص الأنبياء للجزائري ص396 وينابيع المودة ج1 ص203 وج2 ص32 وج3 ص145.

إذا سلك علي × وادياً فاسلكه معه:

1 - ولكي يعرف عمار أولاً، ويعرف الناس ثانياً: أن الهداية لعمار ليست نابعة من عمق ذاته، بل هي مكتسبة من غيره.. فكونه مع الحق، لا يعني أنه هو الذي يحدد الحق لنفسه ولغيره، بل هو قد عرف الحق من غيره فاتبعه، ولذلك أوضح رسول الله «صلى الله عليه وآله» هذه الخصوصية وبيَّنها بقوله لعمار: «إذا رأيت علياً سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي ودع الناس، إنه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من الهدى».

فعمار إذن يحتاج إلى من يهديه، ويرشده، وليست هدايته ذاتية له..

2 - إن تحديد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعمار من يهديه.. يشير إلى أنه حتى من يكون مثل عمار في استقامته، وفي عقله وهديه غير قادر على معرفة الهادي والإمام بنفسه.. فاحتاج إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليحدده له..

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يترك الخيار لعمار ليختار هو الأصلح، كما أنه لم يقل له: حسبك كتاب الله، بل بادر «صلى الله عليه وآله» إلى تحديد من يهدي عمار بالاسم.. فما يزعمه بعضهم من أن الإنسان يستطيع أن يختار الأصلح، ولا يحتاج إلى تعيين من الله غير دقيق، ولا صحيح.

كما لا يصح قول عمر بن الخطاب هنا: إنه مستغن بكتاب الله عن

الهادي بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد قال: حسبنا كتاب الله، رداً لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إيتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده..

3 ـ والأمر الأكثر دقة، وأطرف وأوفى في الدلالة على ما نقول: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل لعمار: إذا لم تعرف الحق من الباطل، أو الواجب من الحرام، فاسأل علياً «عليه السلام».. بل اختار الكلام عن المتابعة والإقتداء والإهتداء حتى في المباحات التي قد لا تستبطن حقاً أو باطلاً، أو خطأً أو صواباً.. فقال له: إذا رأيت علياً سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي الخ.. فإن سلوك الوادي قد يكون للنزهة، أو لطلب حاجة تعنيه «عليه السلام» كشخص، ولا تدخل في الحق والباطل، أو الصواب والخطأ.

ثم أكد «صلى الله عليه وآله» هذه الخصوصية بالتعليل الذي أورده، حيث قال: «إنه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من الهدى».. فأوضح: أن سلوك الطريق حتى لو لم تطلب أنت فيه شيئاً، فإنه يحتمل على الأقل أن يكون سلوكك إياه من موجبات البعد عن الأمور الواضحة لك لتصل إلى أمور مشتبهة، لا تعرف حقيقتها.

وهذا خروج من الهدى والوضوح على أقل تقدير.

وبعد هذا الخروج إلى المجهول، فإنه يتوقع من التائه في الظلمات أن يتردى في المهالك.

أما السلوك مع علي «عليه السلام» في أي واد سلك، فإنه يبقى

في دائرة الهداية والوضوح، ولايخرج منها، ونتيجة ذلك: أنه لا يدليه في المهالك..

أي أن الإنسان حين يكون موجوداً في مكان بعينه يكون الوضوح لديه متوفراً، والأمور من حوله تكون معلومة له، ولكن خارج موضع حضوره تكون الأمور مجهولة له، فالإنتقال إلى ذلك الخارج إنتقال من المعلوم إلى المجهول. ولكن من يكون مع علي «عليه السلام» ينتقل من معلوم إلى معلوم، بل يكون المعلوم ممتداً عبر الوادي كله حتى قبل سلوكه. ولذلك قال «عليه السلام»: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»**(1)**.

(1) راجع: مناقب آل أبي طالب ج1 ص317 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج7 ص253 وج10 ص142 وج11 ص202 وج13 ص8 والوافي بالوفيات ج8 ص77 والمناقب للخوارزمي ص375 ومطالب السؤول ص175 وكشف الغمة ج1 ص169 و 289 ونهج الإيمان ص269 و 300 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص150 وينابيع المودة ج1 ص203 و 413 وبحار الأنوار ج40 ص153 وج46 ص135 وج66 ص209 وج84 ص304 والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص235 وتفسير أبي السعود ج1 ص56 وج4 ص4 والفضائل لابن شاذان ص137 والطرائف ص512 والصراط المستقيم ج1 ص230 وحلية الأبرار ج2 ص62 ونور البراهين ج1 ص36 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص163 وج9 ص119 وج10 ص600 والإمام علي بن أبي طالب

لماذا وشاحان؟!:

وقد أخبر «صلى الله عليه وآله»: أن من تقلد سيفآ أعان به علياً على عدوه قلده الله تعالى يوم القيامة وشاحين من در.

فلماذا اختار الوشاح على سائر القلائد؟!

ولماذا يقلده وشاحين، لا وشاحاً واحداً؟!

ولماذا كان الوشاحان من در أيضاً؟!

وهذه الأسئلة ذاتها تأتي في من تقلد سيفاً أعان به عدو علي «عليه السلام»، قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار.. فلماذا الوشاح؟! ولماذا وشاحان؟! ولماذا من نار؟!

ويمكن أن يجاب:

ألف: بأن اختيار الوشاح على غيره من سائر القلائد ظاهر الوجه، فان شكل السيف في امتداده الطولي، وطبيعة الوضع الذي يتخذ، على جسد الشخص الذي يتقلده أقرب شبهاً بالوشاح منه بغيره..

وكما أن تقلد السيف للدفاع عن الحق وأهله هو سمة الحر المجاهد في سبيل الله، وسمة الأباة، وأهل العز، والمنعة والكفاة.

«عليه السلام» للهمداني ص238 والأصول الأصيلة للفيض القاساني ص150 وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص81 وكتاب الألفين ص126 ومشارق أنوار اليقين ص279 والإثنا عشرية ص90 وغاية المرام ج5 ص195.

كذلك الحال في الوشاح إذا كان من در، فإنه سمة شرف وكرامة ومجد، وسؤدد وشهامة، ووسام عز، ودليل رياسة وزعامة.. ولا سيما إذا كان مكافأة من الله تعالى في يوم القيامة.

ب: واختيار كون الوشاح من در لعله لأن الدر حجر كريم يمتاز بأمور عديدة هي:

1 ـ صفاؤه ونقاؤه.

2 ـ جماله، وجاذبيته.

3 ـ صلابته وقوته.

4 ـ تلألؤه ولمعانه باستمرار.

ولسنا بحاجة إلى بيان أن الإشارة إلى هذه الخصوصيات متوفرة في سيف المجاهد. فهو سيف صقيل قاطع، وهو أيضاً تتلألأ صفحته، ويتماوج لمعانها كلما تحرك السيف ولامسها النور بنحو أو بآخر.

وهو صلب وقوي، وقاطع أيضاً.

وللسيف جاذبيته وجماله ولمعانه الأخاذ الذي لا يقل عن جمال وجاذبية الدر.

وله أيضاً صفاؤه ونقاؤه بسبب جودة صقله حين إعداده.

ج: وأما لماذا كانت المكافأة بوشاحين، لا بوشاح واحد. أو بما هو أكثر من وشاحين.. فلعل سببه الإشارة إلى أن هذا المجاهد قد وضع نفسه في موقع العداوة لأهل الباطل، وصار هدفاً لهم ولسيوفهم.

فلا بد أن يحمل وشاح المجاهد المعادي للباطل.

وهو أيضاً قد جعل نفسه بين علي «عليه السلام»، وبين أعدائه، فهم يريدون التخلص منه للوصول إلى علي «عليه السلام»، فاستحق وسام المدافع عن إمامه الحق.

وبعبارة أخرى: إن المدافع عن علي «عليه السلام» يستهدف لعداوته بشخصه لهم ولباطلهم، ومستهدف أيضاً، لأنه يحمل قضية عدوهم الآخر، ويدافع عنها.

فشخصه مستهدف. ويريدون التخلص منه، وإمامه مستهدف، فلا بد من أن يزيلوه من طريقهم للوصول إلى الإمام «عليه السلام».

د: وبذلك يتضح أيضاً لماذا استحق المقاتلون مع أعداء علي «عليه السلام» وشاحين من نار، فإنهم جعلوا من أنفسهم أعداء للحق. كما أنهم حموا بأنفسهم الباطل وأهله، فلا بد من إحراقهم في أنفسهم، ثم إحراقهم مقدمة للوصول إلى الباطل لإحراقه أيضاً.

عمار يقضي صلوات فاتته:

روى نصر، عن عمرو بن شمر قال: حدثني إسماعيل السدي، عن عبد خير الهمداني قال: نظرت إلى عمار بن ياسر يوماً من أيام صفين رمي رمية فأغمي عليه ولم يصل الظهر، و [لا] العصر، و [لا] المغرب، ولا العشاء، ولا الفجر، ثم أفاق فقضاهن جميعاً، يبدأ

بأول شيء فاته، ثم بالتي تليها(1).

هل يقضي المغمى عليه؟!:

تقدم أن عبد خير قال: إن صلوات عديدة قد فاتت عماراً وهو مغمى عليه «فقضاهن جميعاً، يبدأ بأول شيء فاته، ثم بالتي تليها».. مع أن المغمى عليه لا يقضي ما فاته من صلوات إلا الصلاة التي أغمي عليه بعد دخول وقتها.. فكيف نفسر ما نسب إلى عمار؟!

فهل كان عمار لا يعرف هذا الحكم الشرعي؟! أم أن هناك من كذب عليه في هذا الأمر؟! أم ماذا؟!

ونجيب:

بأن المقتضي للقضاء ـ وهو فوت الصلاة عمن هو أهل لتعلق الخطاب ـ متحقق، لأن حال الإغماء حال النوم، فإنه لا يسلب الأهلية للتكليف، غاية الأمر أنه يمنع من فعلية الخطاب وتنجزه.. وإن الرجوع إلى الروايات التي تحدثت عن حكم قضاء المغمى عليه يحسم الموضوع، فقد اختلفت الروايات في هذا الموضوع، فلاحظ ما يلي:

ألف: هناك روايات تقول:

لا يقضي المغمى عليه ما فاته إلا الصلاة التي أدرك وقتها..

---

(1) صفين للمنقري ص342 وكتاب الأربعين للشيرازي ص600 و 601 وبحار الأنوار ج33 ص32 وج85 ص303 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص25 والدرجات الرفيعة ص277.

وهي روايات كثيرة، وفيها ما هو صحيح. كصحيحة الحلبي عن أبي عبد الله «عليه السلام»، وصحيح أبي بصير عن أحدهما، وصحيح علي بن مهزيار، وصحيح أيوب بن نوح.. وغير ذلك.

وقد ذُكر طائفة كبيرة منها في كتاب وسائل الشيعة[1] عن مصادر كثيرة.

ب: هناك روايات أخرى صرحت بالأمر بالقضاء مطلقاً، مثل:

1 ـ صحيحة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: كل شيء (ما) تركته من صلاتك لمرض أغمي عليك فيه فاقضه إذا أفقت[2].

2 ـ صحيح محمد بن مسلم، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: سألته عن الرجل يغمى عليه ثم يفيق.

قال: يقضي ما فاته، يؤذن في الأولى ويقيم في البقية[3].

3 ـ خبر صفوان، عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله «عليه

(1) راجع: وسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص258 ـ 264 و (الإسلامية) ج5 ص352 ـ 356.

(2) راجع: الإستبصار ج1 ص459 وتهذيب الأحكام ج3 ص304 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص264 و (الإسلامية) ج5 ص356.

(3) راجع: الإستبصار ج1 ص459 وتهذيب الأحكام ج3 ص305 وج4 ص244 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص265 و 270 و (الإسلامية) ج5 ص356 و 361.

السلام» في المغمى عليه قال: يقضي كلما فاته[1].

4 ـ صحيح رفاعة، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: سألته عن المغمى عليه شهراً ما يقضي من الصلاة؟!

قال: يقضيها كلها. إن أمر الصلاة شديد[2].

5 ـ وراجع صحيح حفص عن أبي عبد الله «عليه السلام»[3].

6 ـ ما رواه إسماعيل بن جابر عنه، وفيه قال: اقض مع كل صلاة صلاة[4].

ج: هناك روايات حددت القضاء بثلاثة أيام، مثل:

1 ـ موثق زرعة، عن سماعة قال: سألته عن المريض يغمى عليه.

قال: إذا جاز عليه ثلاثة أيام فليس عليه قضاء، وإذا أغمي عليه

---

(1) راجع: الإستبصار ج1 ص459 وتهذيب الأحكام ج3 ص305 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص265 و (الإسلامية) ج5 ص356.

(2) راجع: الإستبصار ج1 ص459 وتهذيب الأحكام ج3 ص305 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص265 و (الإسلامية) ج5 ص356.

(3) راجع: تهذيب الأحكام ج4 ص243 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص266 وج10 ص277 و (الإسلامية) ج5 ص357 وج7 ص162.

(4) راجع: الذكرى للشهيد الأول ص134 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص267 و (الإسلامية) ج5 ص358 وبحار الأنوار ج85 ص295.

ثلاثة أيام فعليه قضاء الصلاة فيهن[1].

2 ـ ما روي عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: في المغمى عليه يقضي صلاته ثلاثة أيام[2].

3 ـ صحيح أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر «عليه السلام»: رجل أغمي عليه شهراً أيقضي شيئاً من صلاته؟!

قال: يقضي منها ثلاثة أيام[3].

د: وطائفة من الروايات ذكرت قضاء صلاة يوم واحد، مثل:

1 ـ ما روي عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: يقضي صلاة يوم[4].

2 ـ صحيح ابن أبي عمير، عن حفص، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: سألته عن المغمى عليه؟!

---

(1) راجع: تهذيب الأحكام ج3 ص303 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص265 و (الإسلامية) ج5 ص357.
(2) راجع: تهذيب الأحكام ج4 ص243 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص266 و (الإسلامية) ج5 ص357.
(3) راجع: تهذيب الأحكام ج4 ص244 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص266 و (الإسلامية) ج5 ص357.
(4) راجع: تهذيب الأحكام ج4 ص244 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص266 و (الإسلامية) ج5 ص358.

قال: فقال: يقضي صلاة يوم(1).

هـ: وهناك طائفة أخرى، وأخيرة يخبر فيها الإمام عن نفسه وولده بما يفعله، مثل:

1 ـ ما روي عن أبي كهمس قال: سمعت أبا عبد الله «عليه السلام»، وسئل عن المغمى عليه: أيقضي ما ترك من الصلاة؟!

فقال: أما أنا وولدي وأهلي، فنفعل ذلك(2).

2 ـ ما روي عن إبراهيم بن هاشم، عن غير واحد، عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أنه سأله عن المغمى عليه شهراً، أو أربعين ليلة.

قال: فقال: إن شئت أخبرتك بما آمر به نفسي وولدي: أن تقضي كلما فاتك(3).

وبعدما تقدم نقول:

لاحظ ما يلي:

---

(1) راجع: الإستبصار ج1 ص458 وتهذيب الأحكام ج3 ص303 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص267 و (الإسلامية) ج5 ص358.

(2) راجع: تهذيب الأحكام ج4 ص245 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص266 و (الإسلامية) ج5 ص357.

(3) راجع: تهذيب الأحكام ج4 ص245 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص267 وج10 ص227 و (الإسلامية) ج5 ص358 وج7 ص162.

1 ـ قال الصدوق «رحمه الله»: «فأما الأخبار التي رويت في المغمى عليه: أنه يقضي جميع ما فاته. وما روي: أنه يقضي صلاة شهر. وما روي: أنه يقضي صلاة ثلاثة أيام. فهي صحيحة، ولكنها على الإستحباب لا على الإيجاب، والأصل أنه لا قضاء عليه»(1).

2 ـ قد يقال: إن صحيحة عبد الله بن سنان ظاهرة في وجوب قضاء كل ما فاته حال الإغماء. وهي تشمل ما أدرك وقتها فيه أيضاً، وغيره.

ونجيب:

أولاً: إن روايات عدم وجوب قضاء غير الصلاة التي كان في بعض وقتها مفيقاً أخص منها، فتخصص فيها.

ثانياً: إن الروايات التي ذكرت عدم وجوب القضاء، إنما أريد بها رفع الإلزام به. لا بيان عدم مشروعيته، وعدم استحبابه، ورفع المثوبة عليه، فجاءت الروايات التي تحدثت عن القضاء لتبين بقاء المشروعية والإستحباب والمثوبة.. وربما يؤيَد هذا المعنى برواية منصور بن حازم عن أبي عبد الله «عليه السلام»: إن شئت أخبرتك بما آمر به نفسي وولدي: أن تقضي كلما فاتك. ورواية أبي كهمس عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أما أنا وولدي وأهلي، فنفعل ذلك.

---

(1) راجع: من لا يحضره الفقيه ج1 ص363 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص259 و (الإسلامية) ج5 ص352.

إذ لو كان ثابتاً على نحو الوجوب، لم يكن وجه لتخصيصه بنفسه وولده..

ثالثاً: بالنسبة للروايات التي ذكرت: أنه يقضي ثلاثة أيام، أو يوماً واحداً نقول:

قال بعض العلماء: «وتُحمل الإختلافات على تفاوت مراتب الفضيلة، فأعلاها قضاء الجميع، ثم الشهر خاصة كما حكاه في السرائر رواية(1)، ثم ثلاثة أيام، ثم يوم»(2).

رابعاً: لا وجه لحمل الروايات النافية لوجوب القضاء على التقية، لموافقتها لمذهب العامة.. لأن الجمع الدلالي ممكن، فإن الحمل على الإستحباب من أنحاء الجمع العرفي بين الدليلين، فلا تصل النوبة إلى التصرف في جهة الصدور بالحمل على التقية.

فظهر مما تقدم: أن عبد خير أخبر بأنه قد رأى عماراً قضى الصلوات التي فاتته.. وفِعْل عمار مجمل لا يمكن الجزم بطبيعة نية الوجه الذي قصده.. هل قصد الوجوب، أو الإستحباب؟! أو قصد فعل ما في الذمة؟! فلعله قضاها احتياطاً.. ولعله قضاها لاعتقاده استحبابها.. ولعله كان يعيد صلاته الحاضرة لسبب أو لآخر.. ولعله.. ولعله..

---

(1) راجع: مستند الشيعة للنراقي ج7 ص274 والسرائر ج1 ص276.

(2) راجع: مستند الشيعة للنراقي ج7 ص274.

الفصل

استشهاد عمار..

الرواح إلى الجنة:

[قال نصر: فحدثنا عمرو بن شمر قال]: وخرج إلى القتال، وصفت الخيول بعضها لبعض، وزحف الناس، وعلى عمار درع [بيضاء] وهو يقول: أيها الناس، الرواح إلى الجنة.

فاقتتل الناس قتالاً شديداً لم يسمع الناس بمثله، وكثرت القتلى حتى إن كان الرجل ليشد طنب فسطاطه بيد الرجل أو برجله.

فقال الأشعث: لقد رأيت أخبية فلسطين وأروقتهم وما منها خباء ولا رواق، ولا بناء ولا فسطاط إلا مربوطاً بيد رجل أو رجله[1].

أبو سماك المخضخض:

وجعل أبو سماك الأسدي يأخذ إداوة من ماء وشفرة حديد، فإذا رأى رجلاً جريحاً وبه رمق أقعده، فيقول: من أمير المؤمنين؟!

---

(1) صفين للمنقري ص339 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص22 وبحار الأنوار ج33 ص30.

فإن قال: علي، غسل عنه الدم، وسقاه من الماء. وإن سكت وجأه بالسكين حتى يموت [ولا يسقيه].

قال: فكان يسمى المخضخض(1).

وقال ابن أعثم:

وزحف الناس بعضهم إلى بعض، فاقتتلوا بالسهام والنبل، والرماح والسيوف، وعمد الحديد، فلم يسمع إلا وقع الحديد بعضه على بعض، وهوله في صدور الرجال أشد هولاً من الصواعق(2).

إخلاص عمار:

قال: ورفع عمار بن ياسر رأسه نحو السماء، فجعل يقول:

اللهم! إنك تعلم أني لو كنت أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا الفرات فأغرقها لفعلت.

اللهم! وإنك لتعلم أني لو كنت أعلم أن رضاك في أن أضع سيفي هذا في بطني وأتكئ عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت.

اللهم! وإني لا أعلم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء

---

(1) صفين للمنقري ص339 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص98 وبحار الأنوار ج33 ص30 و 31 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص356.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص158.

القوم[1].

وصية عمار:

قال: ثم أقبل عمار بن ياسر على الناس فقال: أيها الناس! إن هذه الرايات التي ترونها مع معاوية قد قابلناها مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث مرات وهذه الرابعة، والله ما هي بأبرهن ولا أتقاهن.

ألا! وإني مقتول في يومي هذا، فإذا قتلت فحطوا عني سلاحي، وكفنوني في ثيابي، وزملوني بدمي، وصلوا علي وواروني في حفرتي، ودعوني وربي، فإن صاحبكم مخاصم، وإنما تختصم الأخيار، فمن فلج فلجت شيعته[2].

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص158 وتاريخ الأمم والملوك ج6 ص21 و (ط الأعلمي) ج4 ص26 وحديث قتال عمار لراية عمرو بن العاص ثلاث مرات يوجد أيضاً في صفين للمنقري ص340 و 341 وراجع ص320. وراجع: بحار الأنوار ج32 ص490 وج33 ص13 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص44 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص150 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص253 والدرجات الرفيعة ص270 والكامل في التاريخ ج3 ص308 وكشف الغمة ج1 ص261.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص158 و 159.

هل من رائح إلى الله؟!:

قال: ثم جعل يقول: أيها الناس! هل من رائح إلى الله يطلب الجنة تحت ظلال السيوف والأسنة؟! اليوم لقاء الأحبة، محمداً وحزبه.

قال: ثم تقدم إلى القوم وجعل يقول:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

قال: ثم جعل يكابدهم حملة بعد حملة وهو يقول: يا أهل الشام! والله لو هزمتمونا حتى تبلغوا بنا إلى سعفات هجر، لعلمنا أننا على الحق وأنكم على الباطل(1).

وروى الطبري عن حبة بن جوين العرني قال: انطلقت أنا وأبو مسعود إلى حذيفة ـ بالمدائن ـ فدخلنا عليه، فقال: مرحباً بكما ما خلفتما من قبائل العرب أحداً أحب إلي منكما.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص159 وقال في هامشه: الأرجاز في مروج الذهب ج2 ص423 ووقعة صفين ص340 و 341. وراجع: الإختصاص للشيخ المفيد ص13 و 14 وبحار الأنوار ج33 ص20 و 21 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1138 و 1139 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص104 و 105 والوافي بالوفيات ج22 ص233 والدر النظيم ص362.

فأسندته إلى أبى مسعود، فقلنا: يا أبا عبد الله، حدثنا؛ فإنا نخاف الفتن.

فقال: عليكما بالفئة التي فيها ابن سمية؛ إنى سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: تقتله الفئة الباغية، الناكبة عن الطريق، وإنَّ آخر رزقه ضياح من لبن.

قال حبة: فشهدته يوم صفين وهو يقول: ائتوني بآخر رزق لي من الدنيا. فأُتى بضياح من لبن، في قدح أروح، له حلقة حمراء، فما أخطأ حذيفة مقياس شعرة، فقال:

اليـــوم ألقـــى الأحـــبـــــه محـمـــــــداً وحــــــزبــــه

والله، لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنَّا على الحق، وأنهم على الباطل، وجعل يقول: الموت تحت الأسل، والجنة تحت البارقة(1).

قال ابن أعثم:

فاختلط به أصحاب معاوية وحملوا عليه، وحمل عليه ابن الجون السكوني فطعنة طعنة في شراسيفه(2).

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص38 و (ط الأعلمي) ج4 ص27 والكامل في التاريخ ج2 ص381 وكشف الغمة ج1 ص259 كلاهما نحوه، وراجع: المناقب للخوارزمي ص233 / 240.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص159 وقال في هامشه: في مروج الذهب ج2 ص423 قتله أبو العادية العاملي، وابن جون السكسكي.

[وعند المنقري: حمل عليه ابن جون السكوني، وأبو العادية الفزاري، فأما أبو العادية فطعنه، وأما ابن جون فإنه احتز رأسه][1].

ورجع إلى أصحابه وهو لما به. فقال: اسقوني شربة من ماء!

قال: فأتاه غلام له يقال له راشد بضياح من لبن، فقال: أبا اليقظان! اشرب هذا اللبن بدل الماء.

فلما نظر عمار إلى اللبن كبَّر وقال: بهذا أخبرني [سمعت خليلي] رسول الله «صلى الله عليه وآله» [يقول] بأن آخر زادي اللبن من الدنيا[2].

قال: ثم شرب، فخرج اللبن من جراحته، فسقط عمار على قفاه، ثم تشهد وقضى نحبه «رحمه الله»[3].

---

(1) صفين للمنقري ص341 وراجع: الإختصاص للشيخ المفيد ص14 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص24 والمناقب للخوارزمي ص233 وكتاب الأربعين للشيرازي ص600 وبحار الأنوار ج33 ص31 والدرجات الرفيعة ص278 وشجرة طوبى ج2 ص335.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص159 وصفين للمنقري ص342 و 341 وراجع: البيهقي في الدلائل ج6 ص420 والإمام أحمد في مسنده ج4 ص319 والحاكم في المستدرك ج3 ص389.

(3) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص159 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج43 ص468.

قتل عماراً من جاء به:

ولما قتل عمار قال عمرو بن العاص لمعاوية: قد قتل عمار بن ياسر!

فقال معاوية: قتل عمار فكان ماذا؟!

فقال: ألا تعلم أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية، وإن آخر زادك من الدنيا اللبن»[1].

فقال معاوية: إنما قتله من جاء به إلى الحرب.

فقال عبد الله بن عمرو: وكذلك حمزة بن عبد المطلب يوم أحد إنما قتله النبي «صلى الله عليه وآله» ولم يقتله وحشي؟!

فقال معاوية لعمرو: نح عنا ابنك هذا الموسوس الذي لا يدري ما يقول[2].

وقال السدي: فبلغني أن معاوية قال: إنما قتله من أخرجه، يخدع

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص159 وقال في هامشه: رواه البيهقي في الدلائل ج2 ص552 والأحاديث بذلك مختلفة الأسانيد والطرق نقلها أيضاً في الدلائل ج2 ص546 وما بعدها في باب ما أخبر به المصطفى «صلى الله عليه وآله» عند بناء مسجده ثم ظهر صدقه بعد وفاته. وانظر البداية والنهاية ج7 ص297 وما بعدها.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص159 و 160.

بذاك طغام أهل الشام(1).

وفي نص آخر: قال معاوية لما قتل عمار واضطرب أهل الشام لرواية عمرو بن العاص كانت لهم: «تقتله الفئة الباغية»: إنما قتله من أخرجه إلى الحرب، وعرضه للقتل!

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: فرسول الله «صلى الله عليه وآله» إذن قاتل حمزة! أو نحوذلك(2).

عن أبي عبد الرحمن السلمي: قال عبد الله لأبيه [عمرو بن العاص]: يا أبي، قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا. وقد قال فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما قال.

قال: وما قال؟!

قال: ألم يكن المسلمون والناس ينقلون في بناء مسجد النبي «صلى الله عليه وآله» لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فغشى عليه، فأتاه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: ويحك يا ابن سمية! الناس ينقلون لبنة لبنة، وأنت تنقل

---

(1) صفين للمنقري ص343 وكتاب الأربعين للشيرازي ص601 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص26.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص334 وراجع: العقد الفريد ج3 ص337 وبحار الأنوار ج33 ص16 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص62.

لبنتين لبنتين رغبة في الأجر! وأنت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية.

فقال عمرو لمعاوية: أما تسمع ما يقول عبد الله!

قال: وما يقول؟!

فأخبره، فقال معاوية: أنحن قتلناه؟! إنما قتله من جاء به.

فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: إنما قتل عماراً من جاء به، فلا أدري من كان أعجب، هو أو هم!![(1)].

علي × يؤبِّن عماراً:

قال ابن أعثم:

وجاء علي بن أبي طالب حتى وقف على عمار وهو مزمل بدمه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن امرؤ لم يدخل عليه مصيبة من قتل عمار فما هو من الإسلام في شيء.

---

(1) الكامل في التاريخ ج2 ص382 و (ط دار صادر) ج3 ص311 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص45 و 46 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص41 و (ط الأعلمي) 4 ص29 والبداية والنهاية ج7 ص270 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص299 كلاهما نحوه، وزاد فيهما: «فقال معاوية: إنك شيخ أخرق، ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بولك»؟! وقد وردت قضية عمار وبناء المسجد في صحيح البخاري ج1 ص172 / 436 ومسند ابن حنبل ج4 ص11 /11011 والمستدرك على الصحيحين ج2 ص162 /2653.

ثم قال علي: رحم الله عماراً يوم يبعث، ورحم الله عماراً يوم يسأل؛ فوالله لقد رأيت عمار بن ياسر وما يذكر من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» ثلاثة إلا كان رابعاً، ولا أربعة إلا كان خامساً.

إن عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن، ولا موطنين، ولا ثلاث؛ فهنيئاً له الجنة! فقد قتل مع الحق والحق معه، ولقد كان الحق يدور معه حيث ما دار.

فقاتل عمار، وسالب عمار، وشاتم عمار في النار[1].

مراسم الصلاة والدفن:

قال: ثم تقدم علي «رضي الله عنه» فصلى عليه وصلت عليه أصحاب علي بأجمعهم، وأدخل إلى حفرته فدفن، فأنشأ الحجاج بن [عمرو بن] غزية الأنصاري يقول[2]:

يا للرجال لعظم الهول أرقني[3] وهاج حزني أبو اليقظان عمار
أهوى له ابن جون في فوارسه من السكون وللهيجاء إعصار[4]

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص160.

(2) الأبيات في مروج الذهب ج2 ص423.

(3) في مروج الذهب: يا للرجال بعين دمعها جاري.

(4) في مروج الذهب: يدعو السكون وللجيشين إعصار.

فـاختل صدر أبي اليقظان معترضا بـالرمح قـد أوجبـت[1] فيـه لـه النـــــــــــــــــار
كـــانـــت علامة بغي القوم مقتله ما فيه شك ولا مـا فيـه إنكـار[2]
قـــال النبي لـــــه تقتلك شـــرذمة شـيطت لحـومهم بـالبغي فُجَّـارُ
فـــاليـوم يـعلم[3] أهل الشام أنـهم أصـــحاب تلـــك وفيهـــا النـــار والعار[4]

من قتل عماراً؟!:

قال المنقري:

فكان لا يزال رجل يجيء فيقول لمعاوية وعمرو: أنا قتلت عماراً.

فيقول له عمرو: فما سمعته يقول: فيخلط.

حتى أقبل [ابن] جون فقال: أنا قتلت عماراً.

فقال له عمرو: فما كان آخر منطقه؟!

قال سمعته يقول:

الـــيــوم ألـــقـــى الأحـبـــة مــحـــمـــداً وحـــزبــــــه

---

(1) في مروج الذهب: للرمح، قد وجبت فينا.
(2) البيت ليس في مروج الذهب.
(3) مروج الذهب: يعرف.
(4) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص160.

فقال له عمرو: صدقت، أنت صاحبه، أما والله ما ظفرت يداك، ولكن أسخطت ربك(1).

سلب عمَّار:

روى نصر، عن عمرو بن شمر، عن السدي، عن يعقوب بن الأوسط قال: احتج رجلان بصفين في سلب عمار بن ياسر، وفي قتله، فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما: ويحكما، اخرجا عني فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال ـ [و] ولعت قريش بعمار ـ: «ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قاتله وسالبه في النار»(2).

سيرجع إلينا:

وقد كان ذو الكلاع يسمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله

---

(1) صفين للمنقري ص341 و 342 وراجع: الكامل في التاريخ ج3 ص310 والبداية والنهاية ج7 ص268 والمناقب للخوارزمي ص234 وكتاب الأربعين للشيرازي ص600 وبحار الأنوار ج33 ص32 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص24 و 25 وتاريخ مدينة دمشق ج68 ص28.

(2) صفين للمنقري ص342 و 343 وكتاب الأربعين للشيرازي ص601 وبحار الأنوار ج33 ص32 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص25 والدرجات الرفيعة ص279 وراجع: البداية والنهاية (دار إحياء التراث العربي) ج7 ص298 والدر النظيم ص362.

«صلى الله عليه وآله» لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربة تشربها ضياح من لبن».

فقال ذو الكلاع لعمرو: ويحك ما هذا؟!

قال عمرو: إنه سيرجع إلينا [ويفارق أبا تراب].

وذلك قبل أن يصاب عمار.

فأصيب عمار مع علي، وأصيب ذو الكلاع مع معاوية.

فقال عمرو: والله يا معاوية ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً [بقتل عمار، أو بقتل ذي الكلاع].

والله لو بقي ذو الكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامة قومه إلى علي، ولأفسد علينا جندنا(1).

ونقول:

المخضخض يجهز على الجرحى:

1 - تقدم: أن أبا سماك الأسدي كان يجهز على جرحى القاسطين بسكين كانت معه.. ولم يتبين لنا إن كان أمير المؤمنين «عليه السلام» قد علم أو أعلم بذلك. لنستدل على رأيه بموقفه من ذلك.

---

(1) صفين للمنقري ص341 وتاريخ مدينة دمشق ج68 ص27 و 28 وراجع: الكامل في التاريخ ج3 ص310 والبداية والنهاية ج7 ص268 والمناقب للخوارزمي ص233. وراجع: بحار الأنوار ج33 ص31 و 32 والدرجات الرفيعة ص279.

إلا أن شهرة أبي سماك بهذا الفعل تبعّد احتمال أن لا يصل خبر ما يفعله إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، مع ملاحظة غرابة هذا الفعل ورغبة الناس في تداول خبره وتناقله بينهم.

غير أن من المعلوم: أن أبا سماك لم يرتكب في فعله هذا جريمة يحاسب عليها، لأن من الأحكام الثابتة في دين الإسلام: أن الأسير المحارب يقتل إن كان يرجع إلى فئة تنصره، وتقويه على أهل الحق. فلعل أبا سماك كان عارفاً بهذا الحكم الشرعي، وقد ارتأى أن يستفيد من الرخصة التي تبيح له هذا العمل.

وقد كنا نفضل لأبي سماك أن يأخذ موافقة أمير المؤمنين «عليه السلام» على عمله قبل الإقدام عليه.. ولسوف نبحث هذا الأمر فيما يأتي من فصول الكتاب إن شاء الله تعالى..

وقبل أن نختم الكلام هنا نود تسجيل ملاحظة على فعل أبي سماك هذا، وهي: أن قتله لمن كان يسكت عن إجابة سؤاله على اعتبار أن سكوته يدل على أنه من الأعداء غير ظاهر الوجه، فإن السكوت عن الجواب قد يكون من الموالي لعلي «عليه السلام» كما يكون من المعادي له، لأن ذلك الجريح الموالي قد يظن أن سائله من أتباع معاوية، وأن إجابته بأن إمامه علي «عليه السلام» تحمل معها أخطار سائله به، فقتل كل ساكت عن الجواب يحمل معه أخطار قتل أهل الحق أيضاً..

إلا إذا فرض أن الرواية قد أجملت في الحديث ولم تحاول

توضيح طريقة أبي سماك في تمييز الموالين من المعادين.

ويبدو: أنه كان قد أزال العلامة التي تدل على أنه من جيش علي «عليه السلام» ليتمكن من امتحانه لهم بنجاح.

أرضى الأعمال إلى الله:

وقد دلت أقوال عمار بن ياسر في مناجاته لربه: على أنه يرى أن قتل الإنسان نفسه ليس في حد ذاته قبيحاً عقلاً، وإنما يصير قبيحاً إذا خالف أمر الله تعالى ونهيه الذي جاء لجلب مصالح ودرء مفاسد لها مساس بالنظام العام، وإعمار الأرض، وإيصال سائر الموجودات إلى كمالها وتحقيقها غاياتها المنشودة..

وربما فرضت الحركة العامة في هذا الإتجاه معالجات مرة هي بمثابة عمليات جراحية في أشد المناطق حساسية وخطورة، إذ لولا تلك العمليات فإن الكيان كله يصبح في معرض الخطر الشديد والأكيد.

من هنا نعرف: أن عماراً «رحمه الله» كان يعرف أن الأمور قد تقتضي أن يصبح رضا الله تعالى مرهوناً، بأن يقتل الإنسان نفسه غرقاً، أو أن يضع سيفه في بطنه حتى يخرج من ظهره.. فأعد نفسه لابتغاء رضا الله حتى حين يصل الأمر الى مثل هذه الحالات، وكان يعرف أن الله سبحانه قد أمر بني إسرائيل بأن يقتلوا أنفسهم، فقد قال تعالى: **(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ**

فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[1].

وكان يعرف أن يعقوب قد بكى على ولده يوسف حتى ابيضّت عيناه من الحزن، وخيف عليه من الموت: **(قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)**[2].. رغم علمه بحياته، لكي يعرف الذين أرادوا بيوسف سوءاً مدى قبح ما أتوه، وشدة سوء ما ارتكبوه في حقه.

2 ـ لقد لاحظنا: أن عماراً بدأ كلامه بالإعلان عن استعداده لقتل نفسه إذا علم أن رضا الله في ذلك، ثم عقّب ذلك بالإعلان عن أنه لا يعلم عملاً هو أرضى لله تعالى من جهاد القاسطين..

فكأنه «رحمه الله» يريد أن يفهم الآخرين: أن قتل المسلم المؤمن ظلماً وعمداً، وإن كان بمثابة قتل الناس جميعاً، ومن موجبات الخلود في النار، ولكن عماراً لا يعلم أن هناك عملاً أفضل من قتل الذين يدَّعون الإسلام، ثم يحاربون إمامهم ويسعون في قتله، ويجعلون أنفسهم مصداقاً للقاسطين الذين أخبر عنهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعهد إلى علي «عليه السلام» بلزوم قتلهم.. وقد قال الله تعالى عنهم: **(وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)**[3].

---

(1) الآية 54 من سورة البقرة.

(2) الآية 85 من سورة يوسف.

(3) الآية 15 من سورة الجن.

ولذلك قال عمار «رحمه الله»: اللهم إني لا أعلم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء القوم. لأن عدم جهادهم يؤدي إلى طمس معالم الدين، وتضييع جهود الأنبياء، وتعطيل أحكام الشريعة؛ فجهادهم أرضى لله تعالى حتى من الصلاة، لأنه هو الذي يحفظ الصلاة ويديمها في الناس.

وفي نفس السياق نرى أمير المؤمنين «عليه السلام» يعبّر عن هذا المعنى بطريقة أخرى، تستبطن الإشارة إلى أن همه كان مصروفاً إلى البحث عن مخارج تتسم بالرفق والرحمة، التي هي شرط رئيس في الإمام والقائد، فيقول «عليه السلام»: إنه قد أعمل فكره في هذا الأمر، فلم يجد إلا قتال القاسطين أو الكفر بما أنزل على محمد «صلى الله عليه وآله».

فإن كان عمار «رحمه الله» يتحدث عن أن قتالهم هو أرضى الأعمال لله تعالى.

فإن علياً «عليه السلام»، يقول: أنه لا يجد مندوحة ومناصاً عن قتالهم إلا بالكفر بما أنزل على محمد «صلى الله عليه وآله»[1].

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص94 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص18 والإيضاح لابن شاذان ص451 والفصول المختارة ص232 والصراط المستقيم ج1 ص150 وبحار الأنوار ج32 ص393 و 448 والمستدرك للحاكم ج3 ص115 ونظم درر السمطين ص117 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص473 و 474 و 457 وأنساب الأشراف ج2 ص236 ومناقب

التاريخ يعيد نفسه:

وقد أعطانا عمار «رحمه الله» درساً في استفادة العبرة من التاريخ، حيث لاحظ: أن راية بعينها قد حاربت رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث مرات وأرادت قتله، واستئصال من معه، وها هي نفسها تظهر في هذه المرة الرابعة من جديد لمحاربة وقتل وصيه ووليه، واستئصال كل من معه أيضاً.. فدله ذلك: على أنها لم تكن لأسباب آنية وعارضة. وإنما كان لها جامع واحد، وهو العداء للنهج والدين، والعقيدة، والاختلاف في النظرة إلى الكون والحياة، وما يجب أن يهيمن عليها، ويحكم مسيرها إلى مصيرها.

ولذلك قال عمار: «أيها الناس، إن هذه الرايات التي ترونها مع معاوية قد قابلناها مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث مرات، وهذه الرابعة. والله ما هي بأبرهن ولا أتقاهن».

المؤمن يخبر قرب موت بموته:

وقد أخبر عمار «رحمه الله»: بأن أجله قد قرب، وبأنه مقتول في ذلك اليوم. ثم أوصى الناس بما أحب..

علي بن أبي طالب لابن مردويه ص166 وشرح الأخبار ج1 ص382 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص349 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص13 وراجع: ذخائر العقبى ص112 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص421 عن الرياض النضرة ج2 ص243.

والسؤال هو: من أين علم عمار بأن أجله قد قرب؟! وبأنه مقتول في ذلك اليوم؟! مع أن الله تعالى يقول: (..**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ..**)(1).

كما أن عماراً نفسه كان قد ألمح إلى أنه لا يعرف إن كان سيموت في هذه الحرب أم لا، فقد ذكر أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان قد أخبره بأمر الناكثين، وقد حضرهم. وكان من أمرهم ما كان. وبأمر القاسطين، وها هو بصدد حربهم. وبالمارقين. ولا يدري إن كان سيدركهم أم لا. فكيف نوفق بين هذا وذاك؟!

ونقول في الجواب:

أولاً: قد يقال: إن الآية المذكورة تنفي أن يكون الناس يعرفون مكان موتهم بقدراتهم الذاتية، وهذا لا يمنع من أن تعلم بعض النفوس بمكان موتها بواسطة النبي «صلى الله عليه وآله»، أو الإمام «عليه السلام».

لعل عماراً لم يكن يعلم بمكان وزمان موته قبل ذلك اليوم، ثم أخبره علي «عليه السلام» في ذلك اليوم بزمان ومكان قتله.. ويكون ذلك من جملة الإخبارات الغيبية التي كانت تصدر عنه «عليه السلام» طيلة فترة حياته، ولا سيما بعد خلافته، حيث كان يخبر الناس كثيراً بما يكون، ثم يقع ما يخبرهم به، كما أخبرهم.

---

(1) الآية 34 من سورة لقمان.

ويلاحظ هنا: أن الآية الكريمة ذكرت المجهول، بل هو مكان الموت، لأن المعرفة بالمكان تدفع إلى تحاشي المرور فيه..

أما الزمان فلا يمكن تحاشيه، سواء علم به، أم لم يعلم، لأنه سوف يمر على الإنسان وبالرغم عنه، وليس لاختيار الإنسان فيه أي أثر.

ثانياً: هناك ما يدل على أن من المؤمنين، من يعرفون بقرب أجلهم، فلعل حكمة الشعور باقتراب أجلهم، هو أن يستعدوا لتلك الساعة، وليكون ذلك من باب الكرامة والتشريف لهم، والرفق بهم، ولعل هذا الذي قاله عمار «رحمه الله» قد جاء وفق هذا السياق.

وقد أجاب الإمام الرضا «عليه السلام» عن تفسير علم أمير المؤمنين «عليه السلام» بمقتله في ليلة قتله: بأنه «عليه السلام» قد خيّر لكي تجري المقادير[1].

كما أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد أخبر بقتله في أرض كربلاء، وبالمكان الذي يقتل فيه[2]. وهذا يدل على أن الآية المتقدمة

---

(1) الكافي ج1 ص259 وبحار الأنوار ج42 ص246 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج1 ص112 وتفسير نور الثقلين ج1 ص180 و 221 وتفسير كنز الدقائق ج1 ص458.

(2) راجع: تفسير نور الثقلين ج4 ص221 وإثبات الهداة ج5 ص202 وكنز الدقائق ج8 ص58 واللهوف في قتلى الطفوف ص49 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص247 وبحار الأنوار ج44 ص383 والعوالم، الإمام

إنما تريد نفي علم الناس بمكان موتهم بصورة ذاتية، فلا ينافي ذلك علم بعضهم بذلك بإخبار من الله تعالى.

كفنوني وزملوني:

وقد يرد على خاطر البعض سؤال عن الفرق بين كفنوني في ثيابي، وزملوني في دمي.

ويجاب:

بأن المقصود: هو أن يصنع به كما يصنع بالشهيد المظلوم، الذي يريد أن يحتفظ بدمه المسفوك، وثيابه الممزقة بالسيوف، والسهام، والرماح ليتخذ من ذلك شاهداً عند الله على العدوان عليه، وعلى مظلوميته.

ويكون ذلك مفتاحاً لسؤال ظالميه عن السبب في عدوانهم عليه، وإلحاق هذا الأذى به.

واعتبار ثوب المجاهد كفناً هو ما جاء به الشرع الشريف، وإبقاء آثار الدم على جسده وثيابه مما سمح به الشرع الشريف أيضاً..

وتزميله بدمه يراد به لف جسده مع الإحتفاظ بالدم عليه، من دون أن يمسح، أو أن يغسل عنه.

الحسين ص234 ولواعج الأشجان ص102 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج5 ص84.

من فلج فلجت شيعته:

وقد ذكر عمار «رحمه الله»: أنه مخاصم عند الله، ثم قرر قاعدتين أساسيتين، هما:

1 ـ إنه إنما تختصم الأخيار.

2 ـ أن من فلج فلجت شيعته.

ونقول:

ألف: أما القاعدة الأولى فهي ظاهرة البداهة، فإن الأشرار تكون خصوماتهم وحروبهم بغي وظلم وعدوان.. ولأن المطلوب لهم هو الحصول على الدنيا. فخصوماتهم وحروبهم باطل في باطل. فلا يوجد حق في البين لكي يطلب تحديده، ومعرفته، ويكون الترافع والتخاصم والإحتجاج مقدمة للوصول إليه..

بل إنه حتى لو كان بين الأشرار المتخاصمين من هو محق، فإن ذلك لا يبرر لجوءه إلى الحرب، بل عليهما أن يرفعا أمرهما إلى الإمام العادل.

فالحرب من أي واحد منهما لا يمكن أن تكون حقاً، بل هي باطل على كل حال.

ب: وأما القاعدة الثانية التي أطلقها عمار «رحمه الله»، فتتضمن الإشارة إلى أن القضية التي سيخاصم «رحمه الله» عليها، ويقدم دمه شاهد إثبات فيها ليست شخصية أو قبائلية، أو فئوية، بل هي قضية عامة ترتبط بأمة من الناس، بل البشر كلهم، حيث تعرضت قضيتهم

للعدوان، والمهانة والإهانة..

ولذلك قال «رحمه الله»: «فمن فلج فلجت شيعته»، فلكمة (شيعته) تشمل كل موافق وملتزم بالنهج وبالقضية التي دافع عنها عمار، سواء أكان من ذوي عمار، أو من عشيرته، أو بلده، أو من منطقته القريبة أو البعيدة، أو ما إلى ذلك.

التنزيل والتأويل:

إن كلمات عمار تحمل لنا الكثير من اللمعات الرائعة، والعظات المؤثرة لو تدبرناها وأحسنَّا فهمها، وكيف لا وهي صادرة عن قلب طاهر زاكٍ، وعن وجدان صافٍ، وضمير حي.

ونحن إن لم نسهب القول في بيان معانيه ومراميه، فليس ذلك زهداً منّا فيه، وإنما لمحدودية الوقت والمجال، ورغبة في صرف الجهد في سائر فصول سيرة سيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين، الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى الأئمة من ولده وعلى نبينا الأعظم، وجميع الأنبياء والمرسلين، وجميع عباد الله الصالحين.

وفي جميع الأحوال نقول باختصار شديد:

قال عمار «رحمه الله»:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله

فقد دل كلامه هذا على ما يلي:

إنه «رحمه الله» يرى أن هؤلاء القوم الذين يحاربون أمير المؤمنين «عليه السلام» هم نفس القوم الذين حاربوا رسول الله «صلى الله عليه وآله». مع أن الذين حاربوا الرسول كانوا مشركين وأهل الشام، يظهرون الإسلام، ويتظاهرون بالعمل بشعائره، ويدعون الإلتزام بأحكامه..

فكيف نفهم ما عناه عمار بكلامه هذا؟!

ونجيب:

أولاً: إن قادة الحرب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمنظِّرين والدعاة لها هم الطلقاء من أهل مكة، وقريش بالذات.. والطلقاء وقريش هم زعماء هذه الحرب التي تجري في صفين، وهم المنظِّرون والدعاة لها أيضاً، وحملة لوائها..

ثانياً: إن المفاهيم التي انطلقت منها الحروب على الرسول، والأهداف التي سعى المحاربون إلى تحقيقها، والغايات التي أرادوا الوصول اليها والعصبيات والأحقاد التي غذتها هي نفسها التي تفرض نفسها على واقع الحرب ضد علي «عليه السلام»..

واختلاف الأشخاص الذين يتولون تنفيذ ذلك لا يغير في الأمر شيئاً، ما دام أن المنطلقات والمسار والأهداف والغايات واحدة..

يضاف إلى ذلك الطرف المستهدف بالحرب هو النبي بشخصه تارة والوصي الذي هو أخو النبي، بل نفسه أيضاً بنص آية المباهلة أخرى.

والمحور الذي تدور الحرب حوله هو الدين والقرآن والإسلام، ومفاهيمه، وشرائعه وتطبيقاته، ورفضه وقبوله، وتفسيره، ونهجه، ومسار الأمور فيه..

ولذلك قال عمار «رحمه الله»: إن الحرب كانت في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» على تنزيل القرآن حيث رفضت قريش والطلقاء القبول بكونه وحياً منزلاً من عند الله سبحانه..

ثم عادت لتحارب وصيه علياً «عليه السلام» على تطبيق القرآن، والإلتزام بمناهجه وأحكامه وشرائعه..

حرب التشكيك بمعاني القرآن:

ويمكن أن نفهم من قول عمار «رحمه الله»: «لو هزمتمونا حتى تبلغوا بنا إلى سعفات هجر لعلمنا أننا على الحق، وأنكم على الباطل..» أن القاسطين يريدون بحربهم تلك ليس مجرد الحصول على الملك، فإن ذلك لا يحل مشكلتهم، لأنهم إنما يخشون من قناعات الناس، ومن فهم الناس لحقائق هذا الدين..

لأنهم حتى لو حصلوا على الملك، فإن وجود هذه القناعات وتكريس فهم حقائق الدين وأحكامه بصورة صحيحة يحمل معه أخطار خسارتهم للملك من جديد..

فالمطلوب إذن، هو تغيير القناعات، والعبث بمفاهيم الناس، والتعمية على فهم حقائق الدين أو على الأقل تشويش هذا الفهم، والإلقاء به في مجاهل الشبهات.

ولأجل ذلك قال عمار لهم: إن الهزيمة في ميدان القتال لا تغير القناعات، بل ربما كانت سببا في تعميقها وترسيخها.. ولا سيما إذا كانت هذه الحرب وما يكون فيها ـ حتى مثل الإخبار عن ضياح اللبن الذي يشربه عمار قبيل استشهاده ـ مما أخبر الله ورسوله عنها مسبقاً، فيكون حصولها من أسباب اليقين بباطل القاسطين، وحقانية نهج أمير المؤمنين «صلوات الله عليه وعلى شيعته أجمعين».

ائتوني بآخر رزق لي:

وقد كان عمار «رحمه الله» يهتم بإظهار وتكرار ما سمعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» على مسامع الناس، حتى إنه يقول قبيل مقتله:

«ائتوني بآخر رزق لي من الدنيا».

فأتي بضياح من لبن..

ليرى الناس أولاً: إنه عالم سوف يستشهد في هذه الساعة.

ثانياً: إنه يريد تطبيق الخبر الغيبي الذي سمعوه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» حيث قال: إن آخر رزقه ضياح من لبن.

ولما نظر عمار إلى اللبن كبّر وقال: بهذا أخبرني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بأن آخر زادي اللبن من الدنيا.

إذا لم تستح فاصنع ما شئت:

وحين نسمع معاوية يقول عن عمار: إنما قتله من جاء به، فإننا لا

نملك إلا أن نقول: إذا لم تستح فاصنع، ثم قل ما شئت..

ولكن المأساة كل المأساة: أن نرى طغام أهل الشام يتلقفون كلمة معاوية هذه، وكأنها تحفة ثمينة، فقد خرجوا من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: إنما قتل عماراً من جاء به.

فأي عقول هذه التي كانت عند كل هؤلاء؟! حتى اضطر أمير المؤمنين «عليه السلام» لأن يقول لهم: فرسول الله «صلى الله عليه وآله» إذن قاتل حمزة!!

بل تقدم: أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ذلك أيضاً.. ولعله أخذه من علي «عليه السلام»..

كما أننا نظن: أن عبد الله بن عمرو لم يكن صادقاً في قوله هذا، بل أراد أن يردد كلام علي «عليه السلام» أمام أبيه لكي يعرف إن كان لدى أبيه عمرو، أو لدى معاوية أي جواب على هذا أم لا.. ولكنه لم يجد عندهما شيئاً..

وشاهدنا على ذلك: أن عبد الله هذا لم يتزحزح عن موقفه في نصرة معاوية، وبقي يحارب معه، وبقي يؤيدهم، ويحث الناس على نصرتهم، كما هو معلوم..

تكفير من لم يحزن على عمار:

إن أول ما يلفت النظر في تأبين علي «عليه السلام» لعمار: هو مبادرته إلى تكفير من لم يحزن لمصيبة عمار، ويمكن أن يفهم هذا

على وجهين:

أولهما: إن عدم الإكتراث لقتل عمار «رحمه الله» ينتهي إلى تكذيب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما أخبر به من قتل القاسطين البغاة له.. فإنه «صلى الله عليه وآله» قد جعله ميزاناً يعرف به الحق من الباطل، والهدى من الضلال.. فقتله «رحمه الله» يدل على مدى السوء الذي وصل إليه حال الناس في التزامهم بالدين وأحكامه، وعلى مدى جرأة أهل الباطل على الدين وأهل الدين، وعدم مبالاتهم بانطباق ما يخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليهم، فمن لا يحزن لوصول الأمور إلى هذا الحال، وانتهائها إلى هذا المآل، لا يكون من الإسلام في شيء..

الثاني: إن عماراً كان يجسد حقائق الإسلام وقيمه، ومحاسنه بصورة عملية ظاهرة، فمن لا يحزن لقتل أمثاله، فإنه لا يهتم للقيم، ولا للشرع، ولا للدين، ولا يدرك محاسنه، ولا يفرق بين الحق والباطل. بل هما بالنسبة إليه سيّان. ومن كان كذلك، فإنه لم يعرف شيئاً من الإسلام، ولا يطبق شيئاً منه على نفسه لكي يلتذ به، ويستفيد من بركاته، فهو عملياً بعيد عن الإسلام، وعن أحكامه وشرائعه. فتسميته باسم الإسلام يصبح بلا معنى ولا جهة.

يوم البعث والسؤال:

وقد اختار «عليه السلام»: أن يترحم على عمار في منزلين من منازل يوم القيامة:

أولهما: يوم يبعث.

والثاني: يوم يسأل.

لأن عماراً سيكون في هذين المنزلين، أو الموطنين له المقام المحمود في فضح أهل الباطل، والمذبذبين، والمنافقين، والمزورين للحقائق. وسيظهر تعمدهم طمس الحق، ونصرة الباطل وأهله، ويكشف غطاء الزيف عنهم، وعن كل من حاول أن يسوِّق ترهاتهم وأباطيلهم بين الناس، ويتستر على بغيهم، ويثير الشبهات بوجه الباحثين عن الحق والحقيقة.

إنه سبحانه سوف يغمر عماراً برحماته وألطافه في هذين الموقفين، بعد أن شملته ألطافه حين ولد وعاش حراً مختاراً، عرف الحق، فاختاره واتبعه، ثم نصره، وجاهد في سبيله، وغمرته الألطاف والرحمات حتى استشهد من أجله «رحمه الله».

عمار بين أصحاب رسول الله ′ :

وقول أمير المؤمنين «عليه السلام» في رثاء عمار: «ما يذكر من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» ثلاثة إلا كان رابعاً، ولا أربعة إلا كان خامساً»، يدل على أنه «رحمه الله» كان جامعاً لمزيا الخير والصلاح على اختلافها، حائزاً على أفضل صفاتها وحالاتها، حتى أصبح يعد في كل أصحاب ميزة على أنه من أفاضلهم وأماثلهم، ومن رؤوسهم وخيارهم..

وهذا ما يندر وجود مثله، ويعز نظيره..

عمار استحق الجنة مرات كثيرة:

1 ـ قد يكون هناك كثيرون يدخلون الجنة بالشفاعة، وبالتفضل والعفو الإلهي، ولكن عماراً يدخل الجنة لأنه أوفى بما عاهد عليه الله، فاستحق دخولها.. بل وجبت له الجنة بالوعد الإلهي للمطيعين، الذين لم يهنوا، ولم ينكلوا في أداء ما عليهم..

وهذا ما ذكره أمير المؤمنين «عليه السلام» هنا، موضحاً أن هذا الإستحقاق قد تكرر وتكرر مرات كثيرة، ولم يكن أمراً عارضاً قد اتفق له «رحمه الله» مرة واحدة أو مرتين أو ثلاث.. بل تواصل ذلك واستمر إلى أن قتل مع الحق والحق معه «رحمه الله» تعالى.

وهذا الاستحقاق المتكرر ميزة أخرى لعمار، لا تكون إلا للنوادر والأفذاذ، من أمثال عمار، وسلمان، وأبي ذر، ونظرائهم..

2 ـ كما أن لعمار ميزة أخرى تفرّد بها، وهي: أنه قتل مع الحق والحق معه. حيث يمكن أن نفهم من هذا: أنه «عليه السلام» يشير إلى أن بعض الناس مستعد لأن ينصر الحق وأهله، إذا وجد من يحمل لواءه ويتبنى قضيته. ولكن عماراً قد نصر الحق، ونصر حامل لوائه وصاحب القضية فيه أعني علياً «عليه السلام»، ثم كان هو أيضاً حاملاً للواء الحق، ملتزماً بقضيته، ماضياً على عزيمته في نصرته، والجهاد في سبيله، حتى لو لم يبق أحد سواه في الساحة.

وهذا فرق كبير يظهر لنا ما يميز عماراً عن سائر المجاهدين والشهداء.

حتى شاتم عمار في النار:

ولا ريب في أن أحداً لم يكن يطلب عماراً بمال، أو بذحل[1] أو بأي حق له عنده، فلماذا يقاتلونه؟! ولماذا يقتلونه؟! ولماذا يسلبونه بعد قتله؟! بل لماذا يتفوهون بأدنى شيء يوهن من شأنه، إذ ليس فيه أي عيب أو نقص يبرر شتمه والإنتقاص منه.

فينحصر سبب توجيه الشتائم له بأنه مجمع فضائل، وقيم، وأخلاق، وميزات وتجسيد للصلاح والكرامة والإستقامة في خط الله، وصاحب مبدأ وقضية يطلب من الناس أن لا يعتدوا عليها، وأن يحترموها له وفيه، وأن يرضوها له.

فقتله، وسلبه، وشتمه يكون في حقيقته قتلاً وعدواناً وسلباً وشتماً، لأخلاقه، وفضائله، وللخير الذي كان فيه، ولمعنى الصلاح والإستقامة على طريق الحق. وللمبدأ الذي يحمله، والقيم التي يدعو إليها..

ولذلك قال «عليه السلام» على سبيل الاستنتاج من الفقرات السابقة: «فقاتل عمار، وسالب عمار، وشاتم عمار في النار».

وقد تكررت كلمة عمار في الفقرات الثلاث، ولم يقل: فقاتل عمار وسالبه، وشاتمه في النار، ليفيد أن كل واحدة من هذه الثلاثة باستقلالها من موجبات دخول النار، فلا يتوهمنّ أحد أن الذي يدخل

---

(1) الذحل: الحقد والعداوة. يقال: طلب بذحله، أي بثأره.

النار هو الذي يجمع بين هذه الثلاثة كلها.

المتسابقون إلى النار:

والأغرب والأعجب هنا: أن نجد أناساً يتسابقون لادعاء قتل عمار بن ياسر أمام معاوية لنيل المنزلة الرفيعة لديه، «فكان لا يزال رجل يجيء، فيقول لمعاوية وعمرو: أنا قتلت عماراً». مع أنهم يعلمون أن عماراً قد ملئ إيماناً إلى مشاشه، وقد سمعوا ولا زالوا يسمعون: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» قال لعمار: تقتلك الفئة الباغية، وأن قاتل وسالب عمار في النار، وأنه يدعوهم إلى الجنة ويدعونه الى النار.

فأي خذلان أصيب به هؤلاء المتسابقين على ادعاء قتله وسلبه؟! وأي عقول وقلوب كانت لديهم؟! وكيف كانوا يفكرون؟! وبماذا كانوا يحلمون؟!

عبد الله بن عمرو مرة أخرى:

وبعد قتل عمار يتخاصم رجلان في قتله وسلبه إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، فيضيق بهما عبد الله ذرعاً، ويطردهما عنه، ويروي لهما قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما لهم ولعمار، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار، قاتله وسالبه في النار».

ولكن عبد الله بن عمرو ـ بالرغم من روايته هذه، وروايته الأخرى التي تقول: إن عماراً تقتله الفئة الباغية ـ لم يتراجع عن

موقفه، وبقي يصر على الكون في الفئة الباغية.. وبقي يحارب علياً أمير المؤمنين «عليه السلام»، استهانة منه بأمر الله، وبقول رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وعدواناً وبغياً على أهل الله..

وما إخراجه للرجلين المتخاصمين عنه إلا تلافياً للإحراج الذي يتعرض له.

ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً؟!:

وقد قال عمرو بن العاص لمعاوية: «ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً، بقتل عمار، أم بقتل ذي الكلاع؟! والله لو بقي ذو الكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامة قومه إلى علي، ولأفسد علينا جندنا..».

ونلاحظ:

1 ـ أن كلمة عمرو بن العاص هذه قد جاءت على نسق قول الرسول «صلى الله عليه وآله» في حق جعفر بن أبي طالب: «لا أدري بأيهما أنا أشد فرحاً (أو أسرّ، أو أشد سروراً) بفتح خيبر؟! أو بقدوم جعفر؟!»**(1)**. ولكن عمرو بن العاص قد طغى وبغي، ونطق

(1) السيرة النبوية لابن هشام ج3 ص818 و (ط مكتبة الخيرية ـ مصر) ج3 ص199 والسيرة الحلبية ج3 ص48 و 49 والخصال ص77 وتهذيب الأحكام ج3 ص186 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص50 و 52 و (الإسلامية) ج5 ص195 و 197 ومستدرك الوسائل ج6 ص227 والمسترشد للطبري ص333 ومقاتل الطالبيين ص6 وشرح الأخبار ج3

بالباطل ليدحض به الحق.

2 ـ لقد خاف ابن العاص من أن يميل ذو الكلاع بعامة قومه إلى علي «عليه السلام»، حين يشهد قتل عمار.. وهذا يدل: على أن الناس

ص204 وذخائر العقبى ص214 والأربعون حديثاً للشهيد الأول ص53 وعمدة الطالب ص35 وبحار الأنوار ج18 ص413 وج21 ص23 و 63 وج39 ص207 وج88 ص206 و 208 و 211 وشجرة طوبى ج2 ص297 والمستدرك للحاكم ج3 ص208 و 211 ومجمع الزوائد ج6 ص30 وج9 ص419 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص516 وشرح معاني الآثار ج4 ص281 والأحاديث الطوال ص45 والمعجم الكبير ج2 ص108 و 111 ونصب الراية ج6 ص152 و 153 وكنز العمال ج11 ص665 و 666 وج13 ص323 وتفسير مجمع البيان ج3 ص401 ومنتقى الجمان ج2 ص272 والدرجات الرفيعة ص69 و 74 وتهذيب المقال ج4 ص187 والطبقات الكبرى لابن سعد ج4 ص35 والثقات ج2 ص18 وتهذيب الكمال ج5 ص53 وسير أعلام النبلاء ج1 ص213 و 437 وتهذيب التهذيب ج2 ص84 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص56 والتنبيه والإشراف ص223 والبداية والنهاية ج3 ص91 و 98 وج4 ص234 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص40 وبشارة المصطفى ص163 وإعلام الورى ج1 ص210 وقصص الأنبياء للراوندي ص345 وكشف الغمة ج1 ص383 والسيرة النبوية لابن كثير ج2 ص16 و 30 وج3 ص390 و 391 وسبل الهدى والرشاد ج5 ص136 وج11 ص106 و 107 وينابيع المودة ج1 ص468 واللمعة البيضاء ص295.

كانوا ألعوبة بأيدي زعمائهم ورؤسائهم، وعلى أنهم لا يملكون من أمرهم شيئاً، ولا خيار لهم، وهو يشهد على مدى جهلهم، وبعدهم عن النظر في الأمور، وعلى أن عصبياتهم ومفاهيمهم الجاهلية هي التي تسيِّرهم، وتهيمن عليهم.

3 - إن كلام عمرو حول ذي الكلاع يشير: إلى أن المهيمن على علاقاتهم هو: مصالحهم الشخصية، وأهواؤهم، وأنه ليس للمبادئ، ولا للشيم العربية دور، كما لا وجود للأخلاق، ولا للقيم والمبادئ، ولا قيمة للإنسان عندهم إلا بقدر ما يخدم أغراضهم وأهوائهم، وأن موته وحياته بالنسبة إليهم سيان، وإذا لم يعد قادراً على تلبية مطالبهم، فقد يبادرون إلى التخلص منه، إذا وجدوا أنه أصبح عبئاً عليهم..

الفصل

من حروب صفين..
وحديث الزرقاء..

الذين يقيدون أنفسهم:

قال ابن أعثم، وقريب منه المنقري:

وجاء الليل فحجز بنى الفريقين، فباتوا ليلتهم تلك، فلما أصبحوا وأذن مؤذن علي، وذلك عند طلوع الفجر قال علي «رضي الله عنه»:

(يـــا) مـرحباً بالقائلين عــدلاً وبـــالصـــلاة مـــرحبـاً وأهلا

فلما صلى الفجر وثب فعبى أصحابه كما كان يعبيهم كل يوم، وعبى معاوية أصحابه، وزحف الفريقان بعضهم إلى بعض. فإذا بصفوف أربعة [خمسة] قد قيدوا أنفسهم بالعمائم عازمين على الموت، وأبو الأعور السلمي أمام الصفوف يحرض على القتال وهو يقول: يا أهل الشام! إياكم والفرار، فإنه سبة وعار، قدموا (كذا) على أهل العراق، فإنهم أهل فتنة ونفاق، ثم جعل يقول:

إذا مـــا فـــررنا كان أسوا فرارنا صـدود خـدود وازوار المناكـب
صـــدود الخدود والقنا متراكب ولا يخـــرج العمـــاء غيـــر

التضارب(1)

قال: فصاح أصحاب الصفوف الذين قيدوا أنفسهم بالعمائم: والله لا برحنا هذه العرصة أو يرضى معاوية.

فتقدم سعيد بن قيس الهمذاني في همذان، وتقدم عدي بن حاتم في طيء، وتقدم الأشتر في مذحج، وتقدم الأشعث في كندة، وجعل كل رئيس من رؤساء العراق يقدم قومه، حتى اجتمع منهم خلق كثير، ثم كبروا وحملوا على تلك الصفوف الأربعة، فقتلوا منها [ثلاثة صفوف] زيادة على ثلاثة آلاف فارس[2] في بقعة واحدة.

ثم حملوا على جمهور أصحاب معاوية حتى علوهم فألجؤوهم إلى تل فصعدوا عليه، وصعدت همذان في إثرهم خاصة، فحدروهم من التل، وأخذت السيوف هام الرجال.

[وعند المنقري: ثم إن الأزد وبجيلة كشفوا همدان غلوة، حتى ألجأوهم إلى التل، فصعدوا، فشدت عليهم الأزد وبجيلة حتى أحدروهم منه، ثم عطفت عليهم همدان حتى ألجأوهم إلى أن تركوا مصافهم].

قال: وجعل معاوية يمد أصحابه وعلي يمد أصحابه، فصار عمار

---

(1) البيتان لقيس بن الخطيم من قصيدة له في ديوانه ص10. ورواية البيت في ديوانه: **صدود الخدود والقنا متشاجر ولا تبرح الأقدام عند التضارب**

(2) وكانوا من الأزد وبجيلة.

بن ياسر يقول: صبراً عباد الله صبراً! فإن الجنة تحت ظلال السيوف والأسنة.

قال: فجعلت كندة تقاتل لكندة، وطئ لطئ، ومذحج لمذحج، والأزد للأزد، وبجيلة لبجيلة، وهمذان لهمذان، وتميم لتميم، وكل قوم يقاتلون عشائرهم.

فلم يزالوا على ذلك من وقت اعتدال الشمس إلى أن حانت المغرب، ما كانت الصلاة إلا بالتكبير[1].

تحريض الزرقاء الهمذانية:

قال: وجعلت الزرقاء بنت عدي بن قيس[2] الهمذانية تحرض قومها على الحرب وهي تقول: أيها الناس! ارعووا وراجعوا فإنكم قد أصبحتم في فتنة غشيتكم كجلابيب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجة، فيا لها من فتنة عمياء صماء، لا تسمع لراعيها، ولا تنساق لقائدها.

أيها الناس! إن المصباح لا يضيء في الشمس، والكوكب لا ينير مع القمر، والبغل لا يسبق الفرس، والزف لا يوزن بالحجر، ولا

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص85 و 86 وصفين للمنقري ص329 و 330.

(2) عن العقد الفريد ج1 ص337 وبالأصل «بشر». (صبح الأعشى ج1 ص252).

يقطع الحديد إلا بالحديد.

ألا! فصبراً صبراً يا معاشر المهاجرين والأنصار، وصبراً يا معاشر العرب على هذا المضض! وإياكم والفرض![1] فكأن قد اندمل شعب الشتات، والتأمت كلمة الحق، ودفع الحق بالباطل، ولا يجهلن أحد فيقول: كيف؟! وأي؟! ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

قال: فجعلت الزرقاء بنت عدي تقول مثل هذا إلى أن اختلط الظلام وجاء الليل فحجز بين الفريقين[2].

الزرقاء الهمذانية مع معاوية:

قال: فبينا معاوية بعد ذلك في مجلسه ذات يوم، وقد صارت إليه الخلافة، وعنده يومئذ عمرو بن العاص، وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، وغيرهم من بني أمية، إذ ذكر الزرقاء بنت عدي الهمذانية وتحريضها عليه بصفين، فقال: أيكم يحفظ كلامها؟!

فقال القوم: فينا من يحفظه يا أمير المؤمنين!

قال: فأشيروا علي في أمرها ما الذي أصنع بها.

فقال مروان: أما أنا فأشير عليك بقتلها، فإنها أهل لذلك.

---

(1) كذا في المصدر.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص85 و 86 وصفين للمنقري ص328 - 330.

فقال معاوية: بئس الرأي أنت يا مروان! أيحسن بمثلي أن يتحدث عنه الناس أني قتلت امرأة؟! لا ولكني أبعث إليها فأدعوها، وأسمع من كلامها الآن.

ثم كتب معاوية إلى عامله بالكوفة أن أوفد إلى الزرقاء بنت عدي الهمذانية مع ثقة من محرمها، وعدة من فرسان قومها، وامهد لها وطاء ليناً، واسترها بستر كثيف ووسع لها في النفقة.. والسلام.

قال: فأرسل إليها عامل الكوفة، فأقرأها الكتاب، وأمرها بالرحيل.

فقالت الزرقاء: إن كان أمير المؤمنين قد جعل الخيار إلي، فأنا لا أحب المصير إليه، وإن كان أمراً حتماً فالطاعة أولى.

قال: فحملها عامل الكوفة في هودج من عصب اليمن مبطناً بالبياض، وفرش لها اللين، وضم إليها جماعة من بني عمها، وأمرهم بالمسير بها إلى الشام.

ودخلت على معاوية فقال: مرحباً مرحباً وحباً، وقرباً! قدمت خير مقدم، قدمة وافد! كيف أنت يا خالة؟!

فقالت: بخير يا أمير المؤمنين! أدام الله لك النعمة.

قال: فكيف كنت؟!

قالت: كنت كأني ربيت في بيت ممهد.

فقال معاوية: بذلك أمرناهم، أتدرين فيما ذا بعثت إليك؟!

قالت الزرقاء: وأنى لي بعلم الغيب!

فقال معاوية: ألست الراكبة الجمل الأحمر، الواقفة بين الصفين في يوم كذا وكذا تحرضين على الحرب، وتقولين كيت وكيت؟!

قالت: بلى، قد كان ذلك.

قال معاوية: فما الذي حملك على ذلك؟!

قالت: حسبك يا أمير المؤمنين! فقد مات الرأس، وبقي الذنب، ولن يعود ما ذهب. والدهور عجب، ولا يعتب من عتب، ومن تفكر أبصر، والزمان ذو غير، والأمر يحدث بعده الأمر.

فقال معاوية: لله أنت يا زرقاء، فهل تحفظين كلامك بصفين؟!

فقالت: لا والله ما أحفظه، وإنما كان ذلك تحريضا نطق به اللسان.

فقال معاوية: لكني والله أحفظه عليك حتى ما يشذ علي منه شيء. ووالله يا زرقاء! لقد شاركت علياً في كل دم سفكه بصفين.

فقالت الزرقاء: أحسن الله بشارتك، وأدام سلامتك، فمثلك بشر بخير.

فقال معاوية: أويسرك ذلك يا زرقاء؟!

فقالت: نعم. والله لقد سرني. وأنى لي بتصديق ذلك!

ثم قال: والله يا زرقاء! إن وفاءكم لعلي بعد موته لأعجب من محبتكم له في حياته، وقد جئنا بك يا زرقاء وجشمناك السفر البعيد. ولكن اذكري حاجتك.

فقالت الزرقاء: هيهات! إني لا أسأل رجلا عتب علي شيئا أبدا،

ومثلك أعطى من غير مسألة، وجاد من غير طلبة.

قال معاوية: صدقت يا زرقاء! وأنا عند ما ذكرت.

ثم أمر لها معاوية ولمن معها بجوائز حسنة، ومال كثير، وردوها إلى الكوفة[1].

ونقول:

إيضاحات:

الإزورار: الإعوجاج والإلتواء، والإنحراف.

متراكب: يركب بعضه بعضاً من شدة الإزدحام.

العماء: الغواية واللجاج.

غلوة سهم: أي بمقدار ما يجري السهم عند إطلاقه عن قوسه.

الزق: صغار الريش.

المضض: شدة الحزن.

الوطاء: الفراش. ويقابله الغطاء.

عصب اليمن: ضرب من البرود.

الترحيب بالصلاة:

تقدم: أنه «عليه السلام» حين سمع المؤذن لصلاة الفجر قال:

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص85 و 86.

(يـــا) مــرحباً بالقائلين عـدلاً وبـــالـصـــلاة مـرحبـاً وأهـلا

وقد تحدثنا عن هذا النص، وأشرنا إلى بعض ما يمكن أن يقال حول هذه الكلمة الميمونة، فلا حاجة إلى الإعادة.

الذين يقيدون أنفسهم:

وتقدم أيضاً: أن ثمة ظاهرة تجلت في فريق القاسطين لم تجد لها ما يماثلها لدى فريق أهل الحق.. وهي أنهم لطالما قيدوا أرجلهم بعمائمهم أو بغيرها. تعبيراً عن التصميم على الثبات مهما كلف الأمر.. وربما وضعوا حجراً، ثم تعهدوا بأن لا يفروا حتى يفر الحجر.. ونحو ذلك.

وقد قلنا: إن لهذه الظاهرة دلالاتها التي لا ينبغي أن تسر قلوب محبيهم، ولا أن تنعش نفوسهم.

1 - لأن من يكون مؤمناً بقضية عادلة، يرى أنها تستحق أن يضحى من أجلها بكل غال ونفيس، ويرى أن ما يحصل عليه مقابل هذه التضحيات هو الأغلى والأعلى، فإنه يندفع لبذل هذا الثمن من أجل الحصول على ذلك المثمن الذي لا يقدر بقدر، وقد يحتاج للحد من اندفاعه هذا إلى تقييد حركته، وإبطاء تقدمه نحو الموت.

أما الذي يقيد نفسه حتى لا يفر، أو يتعهد بأن لا يفر حتى يفر الحجر، فذلك يدل على أنه لا يؤمن بأن هناك ثمناً أغلى، أو مقاماً أعلى سوف يحصل عليه مقابل ما يبذله من جهد، ويقدمه من عطاء.. وإن ادعى ذلك، فلا ريب في انه كاذب فيما يدعيه، فقد قيل:

كل من يدعي بما ليس فيه   كذبته شواهد الإمتحان

2 ـ إذا كانت القناعة العقلية متوفرة، وكان المفقود هو عقد القلب على هذه القناعة وتبنيها، واعتبارها القضية التي يربط مصيره بها. ويمنحها تقديسه، ويعطيها الأولوية القصوى في حياته، فإن القناعة العقلية وحدها لا تكفي لكي يندفع إلى حفظ ما يقتنع به والدفاع عنه، والتضحية في سبيله، وبذل كل ما لديه حتى الروح من أجله.

3 ـ وبذلك ينحصر تفسير اندفاع القاسطين، أو فريق منهم إلى التضحية في سبيل قضية ليست لديهم قناعة بها، أو لا يتخذونها عقيدة لهم ـ ينحصر تفسير هذا الإندفاع ـ باللجاج والمكابرة.

أو الإنسياق مع حالة الحقد التي تتأجج في نفوسهم.

أو استجابة لعصبية تفرض نفسها عليهم.

أو لأنهم يئسوا من الحياة.

أو لأن الشيطان زين لهم أنهم ظاهرون.

أو لأن كل واحد منهم يظن أن اندفاع غيره للموت سوف يحفظ له الحياة، لكي يقطف ثمار موت الآخرين ويستأبه لنفسه، فتكون له حياة ومالاً ونساءً، وجاهاً، ومقاماً، وما إلى ذلك.

وهذا كله أو بعضه هو التفسير المأثور عن أمير المؤمنين «عليه السلام» لاندفاع الخوارج إلى الحرب ـ حتى الموت أحياناً. وقد ذكرنا ذلك في كتابنا: علي «عليه السلام» والخوارج، فراجع.

إياكم والفرار، فإنه سبة وعار:

وتقدم: أن أبا الأعور كان أمام الصفوف يحرِّض على القتال ويقول:

«يا أهل الشام! إياكم والفرار، فإنه سبة وعار».

وهذا يؤيد ما ذكرناه أنفاً، ويظهر: أن الأمنية الأولى لجميع أهل الباطل هي حفظ أرواحهم، ولو بالفرار لولا أنه عار وسبة.

إذن، فهمُّ القاسطين وغيرهم من أهل الباطل مصروف إلى التحرز من فرار أصحابهم ومقاتليهم.. لأن نيل الجنة والحصول على رضا الله تعالى ليس هدفهم.. لعلمهم بأنهم بنفس فعلهم هذا يغضبونه سبحانه، ويستحقون النار.

أما أهل الحق، فهم إنما يحرضون أصحابهم على نيل الجنة، والفوز برضا الله سبحانه بنفس جهادهم هذا، ويبشرونهم بقرب نيل ما يتمنونه، وما يسعون إليه، فهم يحثونهم على تسريع الخطى إلى الأمام، ولا يضعون لهم أية حواجز تمنعهم من التراجع أو الفرار.. ولذلك صار عمار يقول لأصحابه: «صبرا عباد الله صبراً! فإن الجنة تحت ظلال السيوف والأسنة».

وهذا فرق جوهري في الخطاب القتالي بين أهل الحق وأهل الباطل، كما أن هذا يظهر التفاوت بين اهتمامات قادة هؤلاء، واهتمامات قادة أولئك، وهو يحتم على كل فريق البحث عن وسائل

عملية تتناسب مع طبيعة اهتمامته. وقد جاء تحذير أبي الأعور لجماعته من العار، ومن التعرض للسبة والعيب متناسباً مع هذا الذي ذكرناه، فإن أهل الدنيا إنما يؤثرون الحوافز التي تقربهم من الدنيا، ويخشون من كل ما يبعدهم عنها، أو يصعِّب عليهم الوصول إلى ملذاتها.

وجاء خطاب عمار لأصحابه، متناسباً مع نظرتهم ومع طموحاتهم أيضاً، كما أوضحناه.

رضى معاوية:

وقد لفت نظرنا: أن أصحاب الصفوف الذين قيدوا أنفسهم بالعمائم، حين حذرهم أبو الأعور من الفرار صاحوا: «والله لا برحنا هذه العرصة أو يرضى معاوية».

فالمعيار عند هؤلاء هو رضا معاوية، مع أن المفروض هو أن يكون رضا الله هو الغاية، لا رضا طليق ابن طليق، يقود حرباً باغية وظالمة، ولا يؤمن حتى على أصحابه، وأهل بلده. وهو الرجل الذي اتهمه أهل الشام بقتل عقيل بن مالك، والذي كان من النساك وفارس أهل الشام، حين شك في صحة موقفه بسبب ما جرى بين عمرو بن العاص، وعمار بن ياسر في حديث أبي نوح. فلم يلبث قليلاً حتى مات، فقال أهل الشام: «إن معاوية قتله».

صلاة المطاردة:

وقد تقدم: أن المقاتلين من أصحاب علي «عليه السلام» قد صلوا المغرب بالتكبير، بسبب شدة استعار نار الحرب.

والصلاة بهذه الكيفية في مثل هذا الموقف الحساس والحرج.. وعدم الرخصة بتركها يدل على أهمية الصلاة في الإسلام، وأثرها في حفظ معنى الصلاح في نفس الإنسان المسلم، فإن الله تعالى يريد أن يبقى الإنسان إنساناً في كل لحظات حياته.. كما أنه يريد أن لا تنقطع علاقته بالله حتى في مثل هذه اللحظات.

وأن يحتفظ فيها بمتانته وثباته وتوازنه، فلا يتوهم أن ظروفاً صعبة كهذه تسمح له بالتخلي عن إنسانيته، وعن روحياته، وعن قيمه، وعن علاقته بالله ولو للحظة واحدة.

حرب العشائر:

وقد تقدم: أن كل عشيرة كانت تقاتل أختها، وقد بلغت القتلى أعداداً كبيرة لا تطاق، فكيف لو كانت كل عشيرة أخرى لا يربطها بها رابط؟!

وقد أشرنا إلى هذا الأمر أكثر من مرة في هذا الكتاب.

معاوية يرفض مشورة مروان:

تقدم: أن مروان بن الحكم أشار على معاوية بقتل الزرقاء بنت

عدي، فقال معاوية: «بئس الرأي أنت (لعل الصحيح: رأيت) يا مروان! أيحسن بمثلي أن يتحدث عنه الناس أني قتلت امرأة»؟!

ونقول:

قد أشرنا حين الحديث عما جرى للمقطع العامري. إلى بعض ما يرتبط بسياسة معاوية مع الناس، وما ينسب إليه من حلم، وصفح، وقلنا: إن حلمه المزعوم لم يكن ينطلق من مشاعر إنسانية نبيلة. كما أنه لم يكن يتوخى فيه مراعاة أحكام الشريعة، وطلب مرضاة الله تبارك وتعالى.

كما أنه لم يكن انسجاماً مع سجية رضية، أو استجابة لخلق كريم، بل حلم المصلحة، والعفو حين لا يمكنه البطش.

ويشهد لذلك: أننا وجدناه يبطش بالأبرار الأتقياء، ويفتك بالصلحاء والأصفياء حين تسنح له الفرصة للفتك بقلب لا يعرف الرحمة، وهو يقتل الولد والوالد، ولا يرى بأساً بقتل الولد بمرأى ومسمع من أبيه، كما فعل بحجر بن عدي[1]. بل هو لا يزعجه قتل طفلين أمام ناظري أمهما، كما فعل بابني عبيد الله بن العباس[2] حين

---

(1) مختصر أخبار شعراء الشيعة للمرزباني الخراساني ص50 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص34 عن المجالس السنية ج3 ص86.

(2) راجع: مقاتل الطالبيين ص65 والغارات للثقفي ج2 ص611 و 612 و 614 و 65 و 616 وسير أعلام النبلاء ج3 ص837 وتاريخ مدينة دمشق ج10 ص152 وراجع: الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج1

قتلهما بسر بن أبي أرطأة في بلاد اليمن.

وهو يمكر ويفجر، ويغدر ـ كما روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكما أثبتته الوقائع ـ ولا يتحرج ولا يتألم، ولا يمل ولا يسأم.

واسترها بستر كثيف:

وقد لفت نظرنا: أن معاوية قد كتب إلى عامله بالكوفة يأمره بستر الزرقاء «بستر كثيف». فإننا لم نعهد معاوية يهتم بمثل هذا الأمر، إلى حد أنه يأمر عامله به، حتى لو كان يعلم أن في عامله هذا يتهاون في هذا الأمر.

وحتى لو كان الأمر كذلك، فإنه ليس من المتوقع أن يكتب إليه به، لأن الأمر لا يعنيه، ولا يعني عامله، بل هو يعود إليها، وإلى من يرافقها في مسيرها.

والذي نظنه: أن معاوية كان يعلم أن علياً «عليه السلام» قد أثر في أهل العراق، وخصوصاً في القريبين إليه منهم، أثراً بالغاً، وركز فيهم راية الإيمان، وعرفهم حدود الحلال والحرام، ورباهم تربية صالحة، جعلتهم يتشددون في أمور الدين والقيم والأخلاق، ورعاية الأحكام الشرعية بما لا مزيد عليه. حتى أصبح أي تجاوز أو تقصير، أو تهاون في هذا المجال، يثير الصرخة في كل اتجاه.

ص163 عن الدارقطني، والمبرد.

ومعاوية هو القائل لعكرشة بنت الأطرش: «هيهات يا أهل العراق، لقد نبهكم علي بن أبي طالب»[1]. فكان يريد أن يتلافى بهذا الإجراء أية مشكلة قد تنشأ من سوء تصرف عامله وأتباعه في هذا المجال.

وليت معاوية الذي أوصى عامله بذلك بالنسبة للزرقاء الهمذانية، كان قد أوصى ولده يزيد «لعنه الله» بما هو أدنى وأقل من هذا بكثير، في حق بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد واقعةكربلاء. لكي لا تحتاج السيدة زينب بنت علي أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى أن تقف في مجلس يزيد، وتخاطبه بقولها:

«أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، يحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد يتصفح وجوههن القريب والبعيد، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل الخ..»[2].

---

(1) راجع: العقد الفريد ج2 ص108 و 111 وبلاغات النساء ص71 ومحادثة النساء ص81 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص2.

(2) الإحتجاج للطبرسي ج2 ص125 وبحار الأنوار ج45 ص158 و 134 وبلاغات النساء ص21 واللهوف ص127 ومثير الأحزان ص101 وأعلام النساء ج2 ص504 ومقتل الحسين للخوارزمي ج2 ص64 والعوالم، حياة الإمام الحسين ص404 و 434 ولواعج الأشجان ص237 وغير ذلك.

لا أحب المصير إليه:

وقد صرحت الزرقاء الهمذانية: بأن الخيار لوجعل لها، فهي لا تحب المصير (لعل الصحيح: المسير) إلى معاوية.

مع ما نشاهده كثيراً عند الناس، ولا سيما ضعفاء النفوس منهم هو أن القوة والسلطة، والعناوين والمقامات، وتبهرهم وتسقط مقاومتهم أمام إغراءاتها، فترى أن أغلى أمنيات أحدهم، وأقصى طموحاته أن يرى، أو يراه الزعيم الفلاني، أو الوالي أو الحاكم، ولومن بعيد. أما إذا أطال النظر إليه أو ابتسم له، أو صافحه، أو كلمه، أوجالسه، فإنه يصبح عبداً له، يفديه بروحه، وبكل ما لديه، وربما فرّط بكرامته، وربما يفرضه عليه دينه إرضاء له، ونزولاً عند رغبته.

ولكن الإسلام يعلِّم الإنسان الإباء، والشمم، ويضع الأمور في نصابها، ويعطيها حجمها الطبيعي، ويجعل الإنسان يعتز بالله، وبالقرب من أوليائه، وبالكون في مواقع طاعته ورضاه.

ولذلك وجدنا الرزقاء بنت عدي لا تحب المصير إلى معاوية.. لأنها لا ترى العز والكرامة في المصير إليه، بل هي ترى أن حضورها عنده يخل بعزتها، ويذهب من هيبتها، ويفرط بشيء من كرامتها.

ولكن معاوية ملك يقهر بسلطانه. ولا يحجزه عن إيصال الأذى إليها حاجز، ولذلك قالت: «وإن كان أمراً حتماً، فالطاعة أولى». لأن

عدم الطاعة هنا لا يحقق نصراً، وإنما يأتي بالبلاء، ويضيع القوة، ويهدر الطاقة، من دون أي مقابل.

لماذا هذا الترحيب والمحبة؟!:

1 - لقد رحب معاوية بالزرقاء بطريقة غير عادية، عبر فيها عن حبه لها، وفرحه بلقائها، فهل كان صادقاً في أقواله هذه؟! أم أنه كان يريد بهذه الكلمات أن يظهر عظيم حلمه، وبديع صفحه، وفائق إحسانه لمن أساء إليه؟! ليسطر له التاريخ مكرمة جليلة، وسياسة جميلة!!

وترجيح أن هذا الأمر الأخير هو الذي كان محط نظر معاوية، فهو إنما يتعامل مع الزرقاء في وقت لم يعد يرى في التنكيل بهذه المرأة المسنة أية جدوى أوفائدة، بل إن أية إساءة إليها سوف تجلب له العداوات، وتحمل الكثيرين على النفور منه والتفرق عنه.

بينما يكون تعامله مع الزرقاء بهذه الطريقة الرضية والحميمة، من أسباب التفاف الناس حوله، وثقتهم به، والتشدد في تأييدهم له، ومساعدته في مشاريعه التي يضمر الإقدام عليها، ودعوة الناس إليها. ولا سيما منها ذلك المشروع الذي سيواجه فيه أعظم رجالات الإسلام في قضية لا يجرؤ أحد على الإقتراب منها، أوالتفوه بها. ولا سيما في حضور بعض رموز هذا الدين وحماته، ألا وهي قضية حمل الناس على البيعة لولده يزيد «لعنه الله» التي بات انحرافه، وفساده كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار، ولا يمكن أن يخطر على بال

أحد أن يفكر في شباب تافه كهذا كبديل عن رجالات الإسلام، وحماة الدين، وحملة العلم، ورواد التقوى، وعلى رأسهم الإمام الحسن، ثم الحسين «عليهما السلام».

بل لا يمكن أن يكون يزيد «لعنه الله» بديلاً عن أي إنسان فيه شيء من معنى الإنسانية، وأية سمة من سمات الصلاح مهما كانت، بأي معنى فرض هذا الصلاح.

فمعاوية كان بحاجة ماسة إلى هذه السياسة التي تخفي وراءها شراً عظيماً، وخطراً هائلاً وجسيماً يريد أن يرمي به الأمة من بعده..

2 ـ ولكن معاوية لم يترك الأمور تجري على هذا النحو الرضي، والنهي، ولعله لأنه يرى أن هذا الصفح الرضي والهني قد يطمع الناس فيه، ويظنون أن بإمكانهم التصدي لمشاريعه الباطلة، إذا أحرزوا أن صفحه وعفوه قريب المنال.. فبادر بعد هذا الترحيب إلى استدراج الزرقاء للإعتراف بما قالته، ربما لتكرره على مسامعه، ثم يستعظمه منها، ويبالغ تهويل أمره، وبيان خطورته، لتكون المنة عليها بالعفو أعظم، والثمن الذي يحصل عليه أكبر وأدسم.

ولكن الزرقاء أنكرت أن تكون قد حفظت أقوالها في ذاكرتها. فاضطر هو إلى التصريح لها بأنه شديد الإهتمام بحفظ كلامها، وبأنه يحفظه بدقة متناهية، فلا يشذ عنه منه شيء أبداً.. ليعرفها مدى تأثير كلامها في نفسه، وأن صفحه لم يكن عن مجرد كلمات قيلت وتلاشت في الهواء، بل هو يعفو عنها رغم عمق الجراح التي تركتها كلماتها

في قلبه..

3 - ثم زاد في التعظيم والتهويل عليها بأن أقسم لها بالله تعالى: أنها شاركت علياً «عليه السلام» في كل دم سفكه في صفين.

4 - وجاءته الصدمة التي لم يتوقعها، فكانت أشد ألماً له من موقف الزرقاء في أيام صفين، فإن الزرقاء قد أظهرت فرحاً وابتهاجاً عظيماً بما قاله لها، واعتبرته بشارة لا تكاد تصدق، تثلج الصدر، وتنعش الروح.

5 - وأدرك معاوية فشله فيما حفظ له، فقرر إنهاء حواره معها عند هذا الحد، ولكنه أراد أن ينهيه بطريقة تريه ذل السؤال في وجهها، وتعطيه صورة نصر ولو كان موهوماً. دون أن يتعرض لأية ردة فعل منها، من شأنها أن تمعن في تهوين أمره، وتصغير قدره.

فاقترح عليها أن تذكر حاجتها.

6 - فجبهته بشمم وعزة أهل الإيمان، وإباء لا يجارى، وشهامة لا تبارى، فوقف حائراً تائهاً لا يدري ما يصنع، ولا كيف يخرج من الورطة التي أوقع نفسه فيها.

7 - ثم إن الأمر الذي زاد الطين بلة، والأمر سوءاً هو أنها رصدت له خطأ لم يكن يتوقع وقوفها عليه، وهو أن الملوك يعطون من غير مسألة، لأن الجود عندهم سجية. وخصوصاً بالنسبة لذوي النفوس الأبية.

فرحم الله الزرقاء وحشرها مع وليها ووصي نبيها. إنه ولي قدير.

الفصل السابع:

الحرب بعد عمار..
وسودة الهمدانية..

استعار الحرب بعد قتل عمار:

قال ابن أعثم:

قال: وحمل بعضهم على بعض، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وجعل الأشتر يقاتل و هو يقول ـ والنص للمنقري ـ:

نحن قتلنا حوشبا ... لما غدا قد أعلما

وذا الكلاع قبله ... ومعبداً إذ أقدما

إن تقتلوا منا أبا الـ ... يقظان شيخا مسلما

فقد قتلنا منكم ... سبعين رأساً مجرما

أضحوا بصفين وقد ... لاقوا نكالاً مؤثما[1]

ثم قال ابن أعثم:

---

(1) في مروج الذهب: مؤلما. راجع: صفين للمنقري ص364 عن مروج الذهب ج2 ص431 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص160 و 161.

وتقدم قيس بن [سعد بن] عبادة وجماعة من حماة الأنصار، فقاتلوا قتالاً شديداً.

قال: والمغيرة بن الحارث بن عبد المطلب واقف على فرسه، يحرض الناس على القتال، وهو يقول(1):

يــا شــرطة الله صبراً لا يهولكم جيش ابن حرب وإن الحرب قد ظهــــــرا

وقــاتــلــوا كل من يبغي قتالكم فإنمـا النصـر فـي الهيجـا لمـن صـــــبرا

إن كـــان عمار قد أودى فلا تهنوا وقـاتلوا القوم لا تولـوهم الـدبرا

شــقــوا الصفوف بحد السيف واحتسبوا في ذلك الــخــير وارجـوا النصر والظفرا

وأيــقنـوا أن من أضحى يخالفكم أضـحى شـقيا وأضـحى نفســه خســـــرا

فــيكم وصي رسول الله قائدكم وولــده وكتــاب الله قــد نشــرا

ولا تــخــافوا ضلالاً لا أبا لكم ســيــحفظ الـدين والـدنيا لمـن نصرا

قال: فقتل من أهل الشام يومئذ زيادة على عدد الحساب، وجاء الليل فحجز بين الفريقين، فأنشأ رجل من الأنصار وهو قيس بن [سعد

---

(1) الأبيات في صفين للمنقري ص385 باختلاف بعض الألفاظ.

بن] عبادة يقول(1):

مـا ضر من كانت الأنصار عصبته — أن لا يكون لـه من غيرهم أحد
قـوم إذا حـاربـوا طالت أكفهم — بالمشـرفية حتـى يفـتح البلـد
والنــاس حـرب لنا في الله كلهم — مستجمعون فما ناموا ولا فقدوا
هـذا اللواء الـذي كنا نحف به — مـع النبـي وجبريـل لــه مـدد
فـاليـوم نـنظـره حتى يقيم له — أهل السنان ومن في دينـه أود
أهــل الصــلاة قتلناهم ببغيهم — والمشركون قتلناهم بما جحدوا
حـتـى تـطيـعوا علياً إن طاعته — دين عليـه يثيب الواحد الصمد
مــن ذا لـــه في قريش مثل حالته — فـي كـل معمعـة أو مثلـه أحــد
لــو عدد الناس ما فيه لما برحت — تثنـى الخناصر حتى ينفذ العدد
هلا ســألت بنا والخيل سائحة(2) — تحت العجاجة والفرسان تطَّرد
وخيــل كــلب ولخم قد أضر بها — وقاعنا(3) إذ غدوا للموت فاجتلدوا
مــن كـان أصبر فيها عند أزمتها — إذ الــدماء علـــى أجســادها(4)

(1) بعض الأبيات في الإستيعاب (ثلاثة) ونسبت إلى قيس، وبعضها الأبيات الثلاثة الأخيرة في وقعة صفين ص 384 ونسبت إلى عرفجة بن أبرد الخشني.
(2) في وقعة صفين: شاحبة.
(3) الوقاع: المقاتلة.
(4) في وقعة صفين: «على أبدانها جسد». وهذه الأبيات الثلاثة نسبت منه إلى عرفجة بن أبرد الخشني.

جسدوا(1)

عك.. وهمدان في الميدان:

قال [نصر: وحدثنا عمرو بن شمر قال]: ولما اشتد القتال [وعظم الخطب] أرسل معاوية إلى عمرو أن قدم عكا والأشعريين إلى من بإزائهم.

فبعث عمرو إلى معاوية: «إن همدان بإزاء عك».

فبعث [إليه] معاوية: «أن قدم عكا إلى همدان».

فأتاهم عمرو فقال: يا معشر عك، إن علياً قد عرف أنكم حي أهل الشام، فعبأ لكم حي أهل العراق همدان، فاصبروا وهبوا لى جماجمكم ساعة من النهار، وقد بلغ الحق مقطعه.

فقال ابن مسروق العكي: أمهلوني حتى آتى معاوية.

فأتاه فقال: يا معاوية، اجعل لنا فريضة ألفي رجل في ألفين، ومن هلك فابن عمه مكانه، لنقر اليوم عينك.

قال: ذلك لك.

فرجع ابن مسروق إلى أصحابه فأخبرهم الخبر فقالت عك: نحن لهمدان.

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص160 - 162.

قال: فتقدمت عك.

ونادى سعيد بن قيس: يا لهمدان خدموا.

[قال في الفتوح: وصاح سعيد بن قيس الهمذاني ببني عمه فقال: يا معشر همذان! إن عكاً قد بايعوا أنفسهم وأديانهم من معاوية بالدنيا، فبيعوا أنتم أنفسكم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «رضي الله عنه» بالآخرة، قال: فتقدمت همذان إلى عك].

وقال المنقري:

فأخذت السيوف أرجل عك.

فنادى أبو مسروق العكى: يا لعك، بركا كبرك الكمل.

فبركوا تحت الجحف وشجروهم [شجروا الخيل] بالرماح، وتقدم شيخ من همدان وهو يقول:

يا لبكيل لخمها وحاشد نفسي فداكم طاعنوا وجالدوا
حتى تخر منكم القماحد وأرجل تتبعها سواعد
بذاك أوصى جدكم والوالد إني لقاضي عصبتي ورائد

وتقدم رجل من عك وهو يقول:

يدعون همدان وندعو عكا نفسي فداكم يا لعك بكا
إن خدم القوم فبركا بركا لا تدخلوا نفسي عليكم شكا

قـد مـحـك القـوم فزيدوا محكا

قال: فألقى القوم الرماح وصاروا إلى السيوف، وتجالدوا حتى أدركهم الليل، فقالت همدان: يا معشر عك، إنا والله لا ننصرف حتى تنصرفوا.

وقالت عك مثل ذلك، فأرسل معاوية إلى عك: «أبروا قسم القوم [وهلموا]».

فانصرفت عك ثم انصرفت همدان، وقال عمرو: يا معاوية، لقد لقيت أسد أسدا، لم أر كاليوم قط، لو أن معك حيا كعك، أو مع علي حياً كهمدان لكان الفناء.

وقال عمرو في ذلك:

إن عـكـاً وحـاشـداً وبـكيلا　　　كـأسـود الضراب لاقت أسودا

الأبيات[1].

لهذا بذل معاوية الأموال:

ولما اشترطت عك والأشعريون على معاوية ما اشترطوا من الفريضة والعطاء فأعطاهم، لم يبق من أهل العراق أحد في قلبه مرض إلا طمع في معاوية وشخص بصره إليه، حتى فشا ذلك في الناس، وبلغ ذلك علياً فساءه.

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص433 - 435 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص58 و 59.

وجاء المنذر بن أبى حميصة الوادعى، وكان فارس همدان وشاعرهم فقال:

«يا أمير المؤمنين، إن عكا والأشعريين طلبوا إلى معاوية الفرائض والعطاء فأعطاهم، فباعوا الدين بالدنيا، وإنا رضينا بالآخرة من الدنيا، وبالعراق من الشام، وبك من معاوية.

والله لآخرتنا خير من دنياهم، ولعراقنا خير من شامهم، ولإمامنا أهدى من إمامهم، فاستفتحنا بالحرب، وثق منا بالنصر، واحملنا على الموت».

ثم قال في ذلك:

إن عكاً سالوا الفرائض والأشـ ـعر سالوا جوائزا بثنيه
تركوا الدين للعطاء وللفر ض فكانوا بذاك شر البريه
وسألنا حسن الثواب من الله وصبرا على الجهاد ونيه
فلكل ما ساله ونواه كلنا يحسب الخلاف خطيه
ولأهل العراق أحسن في الحر ب إذاما تدانت السمهريه
ولأهل العراق أحمل للثقـ ـل إذا عمت العباد بليه
ليس منا من لم يكن لك في الله وليا يا ذا الولا والوصيه

فقال علي: حسبك، رحمك الله.

وأثنى عليه خيراً وعلى قومه.

وانتهى شعره إلى معاوية، فقال معاوية: والله لأستميلن بالأموال

ثقات علي، ولأقسمن فيهم المال حتى تغلب دنياي آخرته.

وإنه لما أصبح الناس غدوا على مصافهم، وإن معاوية نادى في أحياء اليمن فقال: عبوا إلي كل فارس مذكور فيكم، أتقوى به لهذا الحي من همدان.

فخرجت خيل عظيمة، فلما رآها علي عرف أنها عيون الرجال فنادى: يا لهمدان!!

فأجابه سعيد بن قيس، فقال له على «عليه السلام»: احمل.

فحمل حتى خالط الخيل، واشتد القتال، وحطمتهم همدان حتى ألحقوهم بمعاوية فقال: ما لقيت من همدان، وجزع جزعاً شديداً، وأسرع في فرسان أهل الشام القتل.

وجمع علي همدان فقال: يا معشر همدان، أنتم درعى ورمحي. يا همدان، ما نصرتم إلا الله، ولا أجبتم غيره.

فقال سعيد بن قيس: «أجبنا الله وأجبناك، ونصرنا نبي الله «صلى الله عليه وآله» في قبره، وقاتلنا معك من ليس مثلك، فارم بنا حيث أحببت».

قال نصر: وفي هذا اليوم قال علي «عليه السلام»:

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام(1)

(1) صفين للمنقري ص435 - 437.

سودة الهمدانية ومعاوية:

قال: فلما كان بعد ذلك وقتل علي «رضي الله عنه» استأذنت سودة بنت عمارة بن لاسك الهمذانية على معاوية، فأذن لها، فلما دخلت سلمت وجلست، فقال لها: إيه يا بنت لاسك! (الأشتر) ألست القائلة يوم صفين عند ملتقى عك وهمدان هذه الأبيات:

شمر لقتل أخيك[1] يا بن عمارة يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر علياً والحسين وصنوه واقصد لهند وابنها بهوان
إن الإمام أخو النبي محمد علم الهداة وعصمة الإيمان
فخف[2] الحتوف وسر أمام لوائه قدماً بأبيض صارم وسنان

قال: فقالت سودة: بلى يا معاوية! أنا قائلة هذه الأبيات، وما مثلي من اعتمد غير الحق، ولا اعتذر بالكذب.

فقال معاوية: وما حملك على ذلك؟!

فقالت: حب علي بن أبي طالب، واتباع الحق.

فقال: والله ما أرى عليك من علي أثراً.

فقالت سودة: بلى والله يا معاوية!

فقال لها: وما هو؟!

---

(1) في نص آخر: كفعل أبيك.

(2) لعل الصحيح: فخض.

فقالت: إن ثوابي عند الله أعظم، [مات الرأس، وبتر الذنب] فأنشدك الله أن لا تعيد ما مضى، ولا تذكر ما قد نسي.

فقال معاوية: هيهات يا سودة! ما مثل مقام أخيك في يوم صفين ينسى، وما لقيت من أحد من العرب مثل ما لقيت من قومك.

فقالت سودة: صدقت، [ما كان أخي خفي المقام، ذليل المكان] وقد كان أخي كما قالت الخنساء في أخيها صخر حيث تقول:

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وبالله أسألك أنك لا تذكر شيئاً مما قد مضى.

فقال معاوية: قد فعلت يا سودة! فما حاجتك؟!

فقالت: إنه قد مضى علي لسبيله، وقد أصبحت للناس سيداً، ولأمورهم مقلَّداً، والله سائلك عن أمرنا، وعما افترض عليك من حقنا.

ولا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك، ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، ويدرسنا درس الحرمل، يسومنا الخسف، ويذيقنا الحتف.

وهذا بسر بن (أبي) أرطاة قدم علينا، فقتل رجالنا، وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة، فأما إن عزلته عنا فشكرناك، وأما لا فكفرناك.

فقال معاوية: إياي تهددين يا سودة! لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس (أشوس)، فأردك إليه فينفذ فيك حكمه.

قال: فأطرقت سودة إلى الأرض ساعة، ثم رفعت رأسها، وأنشأت تقول:

صلى الإلـه عـلى روح تضـمنها قبر فأصبح فيـه العدل مـدفونا
قـد حـالف الحق لا يبغي بدلا فصـار بـالحق والإيمـان مقرونا

فقال معاوية: ومن هذا يا سودة؟!

فقالت: والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب! والله لقد جئته في رجل قد كان ولاه صداقتنا فجار علينا، فجئت إليه، فأصبته قائماً يصلي، فلما رآني انفتل من صلاته، ثم أقبل علي برأفة وتعطف، فقال: ألك حاجة؟!

فقلت: نعم. وأخبرته الخبر.

فبكى ثم قال: اللهم! أنت الشاهد علي وعليهم، إني لا آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك.

ثم أخرج من جيبه قطعة جلد كأنها طرف الجراب، فكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ، بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ، فإذا قرأت كتابي هذا فاحفظ بما فيه، وبما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك.

والسلام.

ثم دفع الرقعة إلي، فوالله ما ختمها بطين، ولا حزمها بسحاءة، فجئت بالرقعة إلى صاحبه، فانصرف عنا معزولاً.

فقال معاوية: اكتبوا لها برد مالها، والعدل في بلدها.

فقالت سودة: أهذا لي خاصة؟! أم لقومي عامة؟!

فقال معاوية: وما أنت وقومك؟!

فقالت سودة: والله! إن هذا هو الفحشاء واللؤم، إن كان هذا منك عدلاً شاملاً لجميع قومي من همذان حمدت الله على ذلك، إذ أجراه على يدي، وإن تكن الأخرى فأنا كسائر قومي.

فقال معاوية: يا أهل العراق! لمطيكم (لعل الصحيح: لمَّظكم) والله علي بن أبي طالب على جرأة الأمر، أفتبطئ ما تعطون! اكتبوا لها بحاجتها كما تحب، وردوها، واصرفوها إلى بلدها غير شاكية.

قال: فأخذت سودة كتاب معاوية وجائزته وانصرفت غانمة إلى بلدها.

وعند ابن عبد ربه: «هيهات: لمَّظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان، فبطيئاً ما تفطمون. وغركم قوله:

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقوله:

ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان سنّى فتحة الباب

كـالـهندواني لـم تفلل مـضاربــه وجــه جـميل وقلب غير وجاب

اكتبوا لها بحاجتها»(1).

إيضاحات:

أعلم الرجل في الحرب: إذا وضع علامة يعرف بها.

المشرفية: السيوف نسبة لموضع في اليمن.

تطرّد: تتوالى وتتابع.

شجره بالرمح: طعنه به.

القنا: الرماح.

العتيد: الضخم.

الشوس: جمع أشوس، وهو الجريء في القتال.

الحرمل: حب كالسمسم يمتنع عنه الأكلة.

أشرس: الجريء في القتال.

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج3 ص93 و (ط دار الأضواء) ج3 ص59 - 61 وراجع: كشف الغمة ج ص والعقد الفريد ج2 ص102 و (ط أخرى) ج1 ص325 وقاموس الرجال ج10 ص461 و (ط جماعة المدرسين) ج12 ص285 وبلاغات النساء ص30 ومحادثات النساء ص33 ونهج السعادة ج5 ص43 وأعيان الشيعة ج7 ص324 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص562 و 563 وبحار الأنوار ج41 ص119 والإمامة والسياسة ج1 ص53.

سحاءة: كل ما قشر عن شيء. وسحاء القرطاس ما سحي منه. أي أخذ الكتاب دون شده بسحاءة.

الجحف: جمع جحفة.

لمَّظكم ـ بتشديد الميم: أي أنه اذاقكم شيئاً تتبعونه بألسنتكم.

سامه الخسف: أراده عليه.

القماحد: جمع قمحدوة. وهي ما أشرف على القفا من عظم الرأس.

البك: القطع.

محك: تمادى في اللجاجة.

السمهرية: الرماح الصلبة والمعتدلة.

البثنية: قرية بين دمشق وأذرعات. وتعرف بالحنطة الجيدة.

ونقول:

أشعار القاسطين.. وأشعار المهتدين:

تقدم شعر المغيرة بن الحارث، وشعر قيس بن سعد بن عبادة، وسودة بنت عمارة، وكذلك أشعار أغلب أنصار أمير المؤمنين «عليه السلام» التي سلفت، والتي ستأتي إن شاء الله تعالى، وهي كلها تتحدث عن الجنة ورضا الله، وعن حبه، وحب رسوله، وأوليائه، وعن الرغبة في الشهادة وفي نصرة الدين، والدعوة إلى الحق.

بينما تجد أشعار القاسطين تنضح بالعنجهية والفخر بالآباء والعشائر، والإعتداد بالقوة والقسوة والسطوة، وحمية الجاهلية، وهم

يفتخرون أيضاً بقتل الأخيار والأبرار، ويعظِّمون الفجار والأشرار.. ولم يقتصر الأمر في ذلك على رجالهم، بل تعداه إلى النساء، حتى إن امرأة من أهل الشام قالت:

[فـ] لا تعدموا قوماً أذاقوا ابن ياسر شَـعُوباً ولـم يعطـوكم بـالخزائم
فـنـحـن قتلنا اليثربي بن محصن خـطيبكم وابنـي بـديل وهاشم(1)

وعظمة عمار في أهل الدين والصلاح لا تحتاج إلى بيان، وحسبه أقوال رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه، وكذلك الحال في ابن بديل وهاشم المرقال.. وأما ابن محصن، فيكفي أن نذكر هنا للدلالة على مكانته وعظمته ما قاله النجاشي فيه.. ففي حديث عمرو بن شمر قال: قال النجاشي يبكي أبا عمرة بن عمرو بن محصن وقتل بصفين:

لنعم فتى الحيين عمرو بن محصن إذا صائح الحي المصبح ثوبا
إذا الخيل جالت، بينها قصد القنا يثرن عجاجاً ساطعاً متنصِّبا
لقد فجع الأنصار طراً بسيد أخي ثقة في الصالحين مجربا
فيا رب خير قد أفدت وجفنة ملأت وقرن قد تركت مخيبا
ويا رب خصم قد رددت بغيظه فآب ذليلاً بعد ما كان مغضبا

---

(1) صفين للمنقري ص357 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص36 و 37 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص448 و 449.

ورايـــة مـجـد قد حملت وغزوة شهدت إذا النكس الجبان تهيبا
حـووطاً على جل العشيرة ماجدا ولم يك في الأنصار نكسا مؤنبا
طــويـل عمود المجد رحباً فناؤه خصيبا إذا ما رائد الحي أجدبا
عـظيـم رماد النار لم يك فاحشا ولا فشـلا يـوم القتـال مغلبـا
وكـنــت ربـيعاً ينفع الناس سيبه وسـيفاً جـرازاً باتــك الحــد مقضـــــــــــبا
فمـن يك مسروراً بقتل ابن محصن فعـاش شـقياً ثـم مـات معـذبا
وغـودر منكبـاً لـفيـه ووجهه يعـالج رمحـاً ذا سـنان وثعلبـا
فـإن تقتلوا الحر الكريم ابن محصن فنحن قتلنـا ذا الكـلاع وحوشـبا
وإن تـقـتـلوا ابني بديل وهاشما فنحن تركنا منكم القرن أعضبا
ونــحـن تركنا حميراً في صفوفكم لــدى المـوت صــرعى كالنخيـل مشـــــــــــذبا
وأفـلـتنا تـحـت الأسـنة مرثد وكـان قـديماً فـي الفـرار مجربـا
ونــحــن تـركنا عند مختلف القنا أخــاكم عبيـد الله لحمــا ملحبــا
بصفيــن لما ارفض عنه صفوفكم ووجـه ابـن عتـاب تركنـاه ملغبـا
وطلحــة مــن بعد الزبير ولم ندع لضبة في الـهيجا عريفـاً ومنكبـا
ونــحــن أحـطـنا بالبعير وأهله ونــحـــن ســـقيناكم ســمامـاً مقشبا

قال نصر: وكان ابن محصن من أعلام أصحاب علي «عليه

السلام» قتل في المعركة، وجزع علي «عليه السلام» لقتله(1).

وقال جريش السكوني مع علي:

معـاوي مـا أفـلـت إلا بجرعة من المـوت رعبـا تحسب الشمس كوكبا

نـجوت وقد أدميت بالسوط بطنه أزوما على فأس اللجام مشذبا

فـلا تـكفرنـه واعـلمن أن مثلها إلـى جنبهـا مـا دارك الجـري أو كبـا

فإن تفخروا بابني بديل وهـاشم فـنحن قتلنـا ذا الكـلاع وحوشبا

وإنـهـمـا ممن قتلتم على الهدى ثــواء فــكفوا القــول ننســى التحوبا

إلى آخر ما قال(2).

إيضاحات:

شعوب: الموت.

الخزائم: جمع خزامة؛ وهي حلقة من شعر تجعل في وترة أنف

---

(1) صفين للمنقري ص357 - 359 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص37 و 38 والدرجات الرفيعة ص417 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص448.

(2) صفين للمنقري ص401 والدرجات الرفيعة ص422 والفتوح لابن أعثم ج3 ص122 و 123.

البعير يشد فيها الزمام.

المصبح ـ بتشديد الباء وفتحها ـ: الذي صبحته الغارة.

ثوّب ـ بتشديد الباء ـ: استصرخ، وأصله تلويح المستصرخ بثوبه ليراه الناس.

قصد القنا: القنا الذي صار متكسراً.

الجفنة: القصعة.

النكس: الرجل الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه.

حووط: صيغة مبالغة من الحيطة بمعنى الحذر والحرص.

السيب: العطاء.

الجراز: القاطع.

باتك الحد: قاطع الحد.

مقضباً: قاطعاً.

ثعلباً: الثعلب: طرف الرمح الداخل في جبة السنان.

أعضباً: مكسور القرن، أو من انكسر أحد قرنيه.

مشذباً: الفرس الطويل، ليس بكثير اللحم.

ملغباً: متعب.

العريف: النقيب. وهو دون الرئيس.

المنكب: عون العريف. وقيل: هو رأس العرفاء.

سمام: جمع سم: الدواء القاتل.

المقشب: المخلوط.

الأزوم: الشديد العض.

فأس اللجام: الحديدة القائمة في الحنك.

دارك الجري: تابعه.

التحوب: التغيظ والتوجع.

الثواء: الإقامة في المكان.

حرب المرتزقة:

وشتان بين من يرصد لنفسه الشهادة ويتوخاها، ويرى أنها خير جوائزه، ومنتهى أمله، وغاية الغايات عنده، وبين من يطلب المال في الحرب، ويفاوض على مقاديره. ويندفع إلى الحرب طمعاً بحفنةيسيرة منه.

وشتان أيضاً بين من يحارب عصبية لبلده ولعشيرته، وقومه، ولأنه من قبيلة عك، ولأنه من أهل الشام. فهو يريد أن يغلب أهل العراق لأنهم عراقيون، وأن ينتصر على همدان لأنهم همدانيون.

وبين من يريد أن يرضي ربه، وينصر إمامه لأنه إمامه، وبين من يريد أن يرضي معاوية، لأنه مفتاح وصوله إلى المال، وإلى الجاه والمقام.

وهذا ما أظهره النص المتقدم، فابن مسروق العكي يفاوض

معاوية ليفرض لألفي رجل من عك في ألفي درهم.. ومن هلك منهم فابن عمه مكانه. وعمرو بن العاص يحرض قبيلة عك على القتال من منطلق كثرتهم بين أهل الشام، ولأجل كونهم شاميين، ولا بد لهم من أن يغلبوا أكبر حي في أهل العراق، لأنهم عراقيون، ولأنهم همدانيون.

كما أن عمرواً يستوهبهم جماجمهم لنفسه. ولمعاوية مقابل هذه العناوين الموهومة، فيهبونه إياها لأجل هذه الأوهام، ومقابل حفنة يسيرة من المال. فأي عقول هذه العقول يا ترى؟!

أما سعيد بن قيس فقد أعلن لهمدان: أن عكاً قد بايعوا أنفسهم وأديانهم من معاوية بالدنيا فبيعوا أنفسكم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالآخرة..

فقاتلت همدان من أجل الآخرة، وقاتلت عك من أجل المال، فنصر الله أهل الآخرة على أهل الدنيا.. وكان معاوية نفسه هو الذي أشار على عك بترك ساحة المواجهة، ورضي لها بالهزيمة أمام همدان، وذلك أوجع لقلبه، وأقرح لعينه، فأرسل إلى عك يقول: «أبروا قسم همدان، وهلموا».

هذا أيسر المطالب:

ويستجيب معاوية لطلب العكيين، لأنه لا يعطيهم من ماله، بل هي أموال الله التي سلبها، واستأثر بها لنفسه، ولم يكن لديه أي مانع من شراء ذممهم، ودفع مال الله لهم مقابل ذبح المسلمين وهدم دين رب العالمين،

لأنهم يفكرون بنفس الطريقة التي يفكر بها، ولديه نفس المنطلقات التي لديهم. وما أرخص ما طلبوه وما أتفه أرواحهم التي يعرضونها للخطر من أجله، فإنها لا تساوي عنده جناح بعوضة، إلا إذا استطاعت أن توصله إلى غاياته، وتحقق له طموحاته بالسلطة والجاه، ولذائذ الدنيا.. وليمت بعد ذلك من يموت، فإنه ـ حسب مفهوم معاوية ـ يريح ويستريح، وليعش من يعيش، ليكون خولاً له ولمن هو على شاكلته من الطلقاء الذين ما أسلموا، ولكنهم استسلموا، لما لم يجدوا أعواناً..

إن معاوية لم يكن منزعجاً من هذا الطلب، بل لعله هو الذي أوحى به إلى ذلك العكي، واتفق معه عليه في ليل من ليالي مكره وكيده لأهل الحق..

ولعله كان يقصد بمكره هذا إفساد أهل العراق قبل أهل الشام، فإما أن يميلوا إليه وإلى دنياه فيشتريهم هم وزعماءهم بالمال، أو أن يحرج علياً «عليه السلام» بهم، ويطالبوه بما لا يستحل الإقدام عليه، فيقومون ضده، ويتفرقون من حوله إذ لم يعطهم ما يريدون.

إنه يعرف أن علياً «عليه السلام» لا يحيد عن سنة العدل قيد شعرة، ولم يكن ليشتري الناس بالأموال، ولا يرضى بأن يحارب الناس معه مقابل المال، ولا سيما إذا كانت حربه هذه مع أناس يدّعون الإسلام لأنفسهم، ولا يرى لأصحابه أن يقتلوا من يدَّعي أنه مسلم، أو أن يصمموا على قتله طمعاً بالمال؛ لأن السماح بالقتال مقابل المال وحسب معناه تكريس مفهوم السماح بأن يقتل المسلم المسلم الآخر

لأجل الدنيا..

وهذا نقض للغرض، وسوء تربية، وتضييع لأحكام الشريعة من قبل من يفترض فيه أن يكون الحافظ للدين وأحكامه.

نتائج وآثار:

وقد ذكر النص المتقدم: أنه «لم يبق من أهل العراق أحد في قلبه مرض إلا طمع في معاوية، وشخص بصره إليه، حتى فشا ذلك في الناس، وبلغ ذلك علياً فساءه».

وقد صرح معاوية بحقيقة ما كان يرمي إليه من هذا الذي أقدم عليه، فقال: «والله لأستميلن بالأموال ثقات علي، ولأقسمن فيهم المال حتى تغلب دنياي آخرته».

أنتم درعي ورمحي:

وقال «عليه السلام» لهمدان: «أنتم درعى ورمحي يا همدان، ما نصرتم إلا الله، ولا أجبتم غيره».

فهم درعه الذي يمنع سيوف ورماح وسهام الأعداء من أن تصل إليه، وهم رمحه الذي يطول في يده حتى يصل إلى الأعداء ويطعنهم به..

وهذا وسام شرف منحه «عليه السلام» لهمدان، ليعبِّر به عن جهد همدان، ويصف دورها في حالتي الهجوم والدفاع، وليس فيه أي مبالغة، أو ادِّعاء. وهو وصف لحركتها العملية على أرض

الواقع، ولم يتعرض فيه لنوايا همدان، وغاياتها. وترك ذلك لسعيد بن قيس، ليقرر أن نية همدان في حركتها هذه لم تكن الحصول على شيء من حطام الدنيا، ولا كان الهدف التقرب إلى علي «عليه السلام»، من حيث أن بيده مفاتيح بيوت الأموال، ولديه مصادر القوة، ومواقع النفوذ والجاه، وما إلى ذلك.

بل كان الهدف هو إجابة داعي الله سبحانه، ونصرة نبي الله «صلى الله عليه وآله» في قبره.. لأنهم أدركوا أن المطلوب هو قتل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقتل رسالته، وقتل أخيه وصيه وشبيهه.

فكان لا بد أمام هذا الواقع من تكريس معادلة أن البقاء يجب أن يكون للأصلح، وما عداه، فإما أن يتجه نحو الصلاح، أو أن يعطي مكانه للأصلح، ويغادر الساحة إلى حيث لا رجعة له..

ثم جاءت كلمات المنذر بن أبى حميصة الوادعى، فارس همدان وشاعرهم، لتكون المعاني فيها أصرح وأوضح. فكان أن استحقت همدان وسام دخول الجنة بسلام، فقال «عليه السلام» في هذا اليوم:

ولـو كـنـت بواباً على باب جنة لـقـلـت لـهـمـدان ادخلي بسلام

حب علي × واتباع الحق:

وحين سأل معاوية سودة بنت عمارة عن سبب تحريضها في شعرها أخاها على القتال في صفين، أجابت: «حب علي بن أبي طالب، واتباع الحق».

ولعل معاوية كان يظن بأن سودة ستجيبه: بأن السبب هو:

هيجان المشاعر.

أو الخطأ في التقدير، فيما يمكن أن يعد شبه اعتذار عما حدث.

أو أن تدعي أن السبب هو طمعها بمال يعطيها إياه علي «عليه السلام»، أو جاه تحصل عليه، هي وقومها.

أو الخوف من ضرر تتعرض له هي أو قومها. بأن يؤدي انتصار جيش معاوية إلى بطش الأشرار منهم بها وبقومها، لو تسلطوا عليهم.

أو أن السبب الحمية والعصبية العراقية ضد أهل الشام.

أو العصبية للقبيلة، أو للقريب والصديق، أو ما إلى ذلك.. لأن هذا النوع من الدوافع هو الذي يفكر فيه معاوية وأضرابه من أهل الدنيا، الذين يعيشون أجواء ومفاهيم الجاهلية، ويتعاملون بها.

ولكن سودة بنت عمارة قد فاجأت معاوية، وخيبت ظنه بصدقها وبصراحتها، فذكرت له سببين كل منهما بغيض إليه، وهما:

السبب الأول: حب علي بن أبي طالب.. ومعاوية لا يدرك أن العلاقة بين الناس وبين الحاكم هي الحب والحنان، والتضحية والفداء، بل يفهم العلاقة على أنها قهر وغلبة وإكراه من الحاكم للناس على حمل السلاح، وإثارة عصبيات، وشراء ضمائر، وما إلى ذلك.

السبب الثاني: إتباع الحق.. وهذا أيضاً كان بعيداً كل البعد عن تفكير معاوية وأضرابه، فإنه إنما يتعامل مع المتزلفين وأهل

الأطماع، ويرى أن الحق هو للقوي بجيشه، أو بسلطانه، أو بمكره وخدعه، أو بماله، أو ما إلى ذلك. أما الضعيف فلا حق له بشيء.

ولا يتصور أن أي شيء آخر يستحق أن يضحي الناس في سبيله بشيء، بل كل شيء حتى الدين والأخلاق والقيم، والأنبياء والأوصياء، والأخيار والأبرار ينبغي التخلي عنه في سبيل إرضاء الشهوات، وتحقيق الرغبات.

معاوية لا يفهم لغة الحق:

وقد عاد معاوية ليؤكد لسودة: أنه لا يفهم لغة الدين والحق، والآخرة، والأخلاق، والقيم والوجدان. بل يفهم لغة الأهواء والشهوات، والمال، والقوة والسلطة، والقهر، والجبارية، ونحو ذلك.

ولذلك عاد ليقول لها، مستنكراً جوابها الآنف الذكر:

«والله، ما أرى عليك من علي أثراً».

وأتاه الجواب مرة أخرى بلغة لا يستطيع أن يفهمها، بل هي أشبه بطنين طبل خاوٍ ومزعج يملأ أذنيه، حيث قالت له: إن الأثر الذي كانت تطلبه من علي «عليه السلام» قد حصلت عليه، وهو ثواب الله تعالى، وهو أعظم من أي أثر آخر، يسأل ويبحث عنه..

الظلم سجية القاسطين:

وقد أظهر حوار سودة مع معاوية أمرين هما:

1 - إنها قد فضحت معاوية في سياساته مع الرعية، فقد تبين أنه

كان يحاول أن لا يباشر ظلم الناس، وقتلهم وسلب أموالهم بنفسه، فيوكل من يفعل ذلك نيابة عنه، فقد قالت له:

«ولا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك، ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، ويدرسنا درس الحرمل. يسومنا الخسف، ويذيقنا الحتف».

ثم ذكرت له كيف أن أحد هؤلاء، وهو بسر بن أبي أرطأة «قتل رجالنا، وأخذ أموالنا». ولم يتبرأ معاوية من فعل بسر، وغيره من هؤلاء.. بل أكد تأييده لهم في ممارساتهم الظالمة تلك، وصرح باعتماده عليهم، وثقته بهم حين هدد سودة بأن يعيدها إلى بسر، ليعاملها بالنحو الذي يحلو له.

2 - بل إن سودة قد استدرجت معاوية للخروج عن اتزانه المصطنع، والكشف عن وجهه الحقيقي، حيث انتفض في وجهها، وهددها بأن يحملها على قتب أشرس، ويسلمها إلى بسر بن أبي أرطأة، لينزل بها ما شاء من عذاب وهوان. الأمر الذي دل على أن ما كان يتظاهر به معاوية من حلم ومداراة، كان مجرد قناع لا واقع وراءه.

وقد فضح نفسه هنا كما قلنا.. وزادها افتضاحاً بما فعله بحجر بن عدي وأصحابه، الذين قتلهم صبراً، ونقم عليه الناس ما فعله بهم. بما

في ذلك عائشة[1]. التي حاولت أن تعاتبه في أمرهم، فصرفها عن ذلك، وأرضاها بأن لبى لها بعض حاجاتها المادية[2].

فأين الثريا وأين الثرى؟!:

وكم كان حظ معاوية تعيساً، وهو يسمع سودة تذكر أمامه من جديد علياً أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهو الرجل الذي لم يكن معاوية يطيق ذكره بخير أبداً، وكان يسعى لتشويه صورته، ونسبة الترهات والأباطيل إليه، ويعطي عشرات ألوف الدراهم لوضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ذمه، فأعطى سمرة بن جندب أربع مئة ألف درهم ليضع حديثاً على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: إن قوله تعالى: **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ**

(1) بحار الأنوار ج18 ص124 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص225 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص587 والوافي بالوفيات ج11 ص247 و 248 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج6 ص252 وج8 ص60 وإمتاع الأسماع ج12 ص219 و 220 وج14 ص128 وإعلام الورى ج1 ص93 وسبل الهدى والرشاد ج10 ص156.

(2) راجع: مسند أحمد ج4 ص92 ومجمع الزوائد ج1 ص96 والغدير ج10 ص245 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص158 و (تحقيق الشيري) ج1 ص206 و 207.

وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ)(1). قد نزل في علي «عليه السلام»(2).

وإذ به يرى أنه كان السبب في اندفاع سودة لأن تذكر علياً «عليه السلام» بهذا الخير العظيم، وتقارن بينه وبين معاوية، ولسان حالها يقول:

فأين الثريا وأين الثرى — وأين معاوية من علي

فها هي تقول بكل جرأة وصراحة:

صلى الإله على روح تضمنها — قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي بدلا — فصار بالحق والإيمان مقرونا

فهل يقاس هذا بمن يرسل عماله لقتل الناس، ونهب أموالهم، وسومهم الخسف، وإيرادهم الحتف، ودرسهم درس الحرمل؟! ثم إنه

---

(1) الآيات 204 - 206 من سورة البقرة.

(2) الغارات للثقفي ج2 ص840 وفرحة الغري لابن طاووس ص46 والصراط المستقيم ج1 ص152 وكتاب الأربعين للشيرازي ص289 وبحار الأنوار ج33 ص215 وكتاب الأربعين للماحوزي ص386 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص262 وشجرة طوبى ج1 ص97 والغدير ج2 ص101 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص73 وشواهد التنزيل ج1 ص132 والكنى والألقاب ج3 ص29 وإحقاق الحق (الأصل) ص196 وسفينة النجاة للتنكابني ص303.

حين وردت عليه شكوى امرأة من الناس تفضح أعمال أولئك العمال الظالمين يبادر إلى تهديدها بأن يردها إلى نفس أولئك الظالمين، ويبسط يدهم في تعذيبها، والتنكيل بها..

مجرد الشكوى عزلت العامل:

وأما فيما يرتبط بحديث سودة مع علي «عليه السلام»، وعامله الذي عزله استناداً إلى شكواها، فنسجل النقاط التالية:

1 - إن علياً «عليه السلام» قد عزل عامله بمجرد وصول الشكوى إليه، ولم يرسل لجنة تحقيق في الأمر، ولم يطلب منها أن تأتيه بشاهد على ما تدَّعيه؟! كما أنه «عليه السلام» لم يصبر حتى يسأل عن حال ذلك العامل من المطلعين على حاله..

فقد يقال: إن هذا التصرف لا ينسجم مع قواعد العدل والإنصاف.. كما أن تصرفه هذا يتضمن إدانة وحكماً على غائب، بلا بينة ولا شاهد، ومن دون أن يسمع منه دفاعه عن نفسه، ولا مكّنه من أن يدلي بعذره إلى غير ذلك من المؤخذات على هذا التصرف.

فقد يدعى: أن هذا ما لم نعهده من سيرته «عليه السلام»، وهو وحده يكفي لإسقاط هذا النص عن الإعتبار، فلعله مكذوب من أساسه، ولعل سودة لم تكن دقيقة في نقلها لما جرى.

أو لعل علياً «عليه السلام» كان عارفاً ببعض ما ذكرته له عن عامله، قبل أن تخبره سودة به، ثم جاء إخبارها ليؤكد ما كان قد بلغه عنه، فحان وقت اتخاذ الإجراء المناسب.

ونجيب على النحو التالي:

ألف: إن حكم الناس، والتصدي لأمورهم، والتصرف في أموالهم، وأحوالهم، مسؤولية تقع على عاتق الوالي، يجب عليه إنجازها لصالح من يتولى عليهم، ويكلف بحفظ نفوسهم، وأموالهم ومصالحهم، ورعاية شؤونهم وأحوالهم.

وهذا التصدي يعطيه القدرة على التعرض لحقوقهم، والتصرف فيها بصورة سلبية أيضاً.

ويمكن إعفاؤه من هذه المسؤولية، وإراحته منها في أي وقت.

ب: ليست هذه الولاية حقاً للولي، ليقال: إن عزله يكون تعدياً على هذا الحق.

بل المولَّى عليهم هم أصحاب الحق. فيمكنهم مطالبة الإمام والخليفة بمنعه من التصرف فيما هو من حقوقهم، وإعفائه من هذه المسؤولية في أي وقت. فإذا شكت امرأة عاملاً، فإن ذلك يكفي للمبادرة إلى عزله، ولا ينتظر إلى تشكيل لجنة تحقيق، بل لا يحتاج إلى ذلك. إذ يجب عزله مباشرة. ولو لاحتمال واحد بالمئة من الصدق، بل يمكن عزله من دون شكوى. لأنه لاحق له بالمنصب، بل المنصب مسؤولية ألقيت على عاتقه..

ج: وبذلك يظهر الفرق بين الولايات التي ليس فيها حق للوالي، بل هي مسؤوليات تجعل على عاتقه، ويمكن رفعها عنه في أي وقت.. ولا يكون في ذلك أي تعد عليه، أو تضييع لحقه، لعدم وجود حق له

من الأساس.. وبين غيرها من أنواع حقوقه الشخصية، كما لو ادعي عليه شرب الخمر، أو التعدي على شخص آخر في ماله أو غيره.. فإنه لا يجوز مجازاته أو ترتيب أي أثر على ذلك قبل التحقيق والتفحص، لأن المجازاة وترتيب أي أثر قبل ذلك عدوان على حقه الثابت له كما هو واضح.

فظهر أنه لا بد من التحقيق هنا قبل الإقدام على أي تصرف هنا.. ولا بد من الإقدام والتصرف هناك قبل أي تحقيق.

وقد أظهر هذا المعنى أيضاً: استشهاد أمير المؤمنين «عليه السلام» بالآية المباركة: (**قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**)[1]. حيث دلت هذه الآية الشريفة على أن الأشياء التي يتصدى ذلك العامل لإنجازها ليست له، وإنما هي للناس، وهي من حقوقهم، فإذا لم يرض الناس بتصرفه، فلا بد من إعفائه ومنعه من التصدي لهذه المسؤولية.

وهذا كالوكيل الذي توكله في التصرف بمالك، ثم تعزله. فإن هذا لا يوجب إهانة له، إذا لم تتهمه، ولم تحاكمه.

نعم، لو اتهمه أو عاقبة حينئذٍ يكون قد ظلمه، وهذا ما لم يحصل.

---

(1) الآية 85 من سورة الأعراف.

لا تطلب لنفسها ولا لبلدها:

1 ـ وقد أظهرت سودة بنت عمارة وعياً رائعاً، حين لم ترض بأن تقضي حوائجها الشخصية، واقتصار العدل على فريق صغير من الناس، حتى فرضت على معاوية تعميم الإجراء المتخذ على جميع قومها.

وقد أدارت الحوار مع معاوية بنحو أثبت بما لا يقبل الشك: أن معاوية يريد استمرار الظلم، ومواصلة استلاب أموال الناس. حيث رفض في بادئ الأمر طلبها تعميم قرار على جميع قومها.

2 ـ صرحت سودة بأنها لا تنطلق في مطالبها من طمع، أو من عصبية قبلية، أو من أي مفهوم جاهلي آخر. بل منطلقها معايير وقيم إنسانية وأخلاقية ذات قيمة عالية، يرضاها الله تعالى، ويثيب عليها، حيث قالت له: إن صرفها النظر عن تعميم هذا الأمر لجميع قومها من همدان هو اللؤم بذاته، والفحشاء عينها.

فهو لؤم لما فيه من الرضا بالتمتع بالنعمة، وحرمانهم الآخرين منها، وهو الفحشاء، لأنه خروج على القيم الإيمانية والإنسانية، وتظاهر بما يعدُّ رذيلة لا فضيلة.

الفصل الثامن:

الحرب تستمر..
الحسنان في صفين..

لا تحبق عناق حولية:

روى نصر، عن عمرو بن شمر بإسناده قال:

قال رجل يومئذ لعدي بن حاتم ـ وكان من جلة أصحاب علي «عليه السلام» ـ: يا أبا طريف، ألم أسمعك تقول يوم الدار:

«والله لا تحبق فيها عناق حولية»! وقد رأيت ما كان فيها؟! وقد كانت فقئت عين عدي وقتل بنوه.

قال: بلى والله لقد حبقت فيه العناق والتيس الأعظم.

وبعث علي خيلاً ليحبسوا عن معاوية مادة، فبعث معاوية الضحاك ابن قيس الفهري في خيل إلى تلك الخيل فأزالوها، وجاءت عيون علي فأخبرته بما قد كان، فقال علي لأصحابه: فما ترون فيما هاهنا؟

فقال بعضهم: نرى كذا.

وقال بعضهم: نرى كذا.

فلما رأى ذلك الإختلاف أمرهم بالغدو إلى القوم، فغاداهم إلى

القتال قتال صفين، فانهزم أهل الشام، وقد غلب أهل العراق على قتلى أهل حمص، وغلب أهل الشام على قتلى أهل العالية، وانهزم عتبة بن أبي سفيان عشرين فرسخا عن موضع المعركة حتى أتى الشام.

فقال النجاشي من قصيدة أولها:

لقد أمعنت يا عتب الفرارا وأورثك الوغى خزياً وعارا

فلا يحمد خصاك سوى طمر إذا أجريته انهمر انهمارا(1)

وقال كعب بن جعيل، [وهو شاعر أهل الشام، بعد رفع المصاحف يذكر أيام صفين ويحرض معاوية]:

معاوي لا تنهض بغير وثيقَةٍ فإنك بعد اليوم بالذل عارف

تركتم عبيد الله بالقاع مسندا يمج نجيعا والعروق نوازف

إلى آخر ما قال.

فرد عليه أبو جهمة الأسدي فقال في جملة أبيات له:

أغرتم علينا تسرقون بناتنا وليس لنا في قاع صفين قائف

يجالد من دون ابن عم محمد من الناس شهباء المناكب شارف

---

(1) صفين للمنقري ص359 و 360.

إلى آخر ما قال(1).

ثم إن علياً أمر مناديه فنادى في الناس: أن اخرجوا إلى مصافكم.

فخرج الناس إلى مصافهم، واقتتل الناس، وأقبل أبو الأعور السلمي يقول:

أضـربهـــم ولا أرى عـلـيــاً كـفـى بـهـذا حـزنــاً عـلـيا

وأقبل عبد الرحمن بن خالد وهو يقول:

أنـــا عبـــد الـرحمن وابن خالد أضــرب كـل قـدم وساعد(2)

ونقول:

إيضاح:

النجيع: دم الجوف.

طِمر ـ بكسر الطاء وفتح الميم وتشديد الراء ـ: الفرس الجواد أو المستعد للوثب والعدو.

أضربهم ولا أرى علياً:

تقدم: أن أبا الأعور يعبر عن حزنه لأنه لا يرى علياً «عليه

---

(1) صفين للمنقري ص360 و 361 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص41.

(2) صفين للمنقري ص362.

السلام» في ساحة الحرب، وكأنه «عليه السلام» ـ كما يريد أبو الأعور أن يدعيه ـ قد ترك الساحة وتوارى خوفاً من أبي الأعور!! ولذلك حزن وصار ينشد الأشعار:

أضـربهــم ولا أرى عـلـيــاً كـفــى بـهـــذا حزنـاً عليـا

والحقيقة هي: أن علياً «عليه السلام» كان حاضراً في المعركة لا غائباً، وقريباً غير بعيد، ولكنهم هم الذين كانوا يبتعدون عن موضعه، ثم يرفعون أصواتهم بمثل هذا الكلام بهدف تخويف الناس القريبين منهم، وإرعابهم.. حتى إذا شعروا أنه «عليه السلام» قد اقترب منهم بادروا إلى الهرب..

ولو كانوا صادقين فيما يدَّعون لبرزوا إلى الميدان، وطلبوا مبارزته، وسيعلمون حينئذٍ على من تدور الدوائر، وسيتبدل حزنهم على عدم رؤيته «عليه السلام» إلى حزن على أنفسهم.

وسنذكر فيما يأتي إن شاء الله: أن عمرو بن العاص قد قال مثل ما قاله أبو الأعور، فضحك علي «عليه السلام» ثم قال: «أما والله لقد حاد عدي الله عني، وإنه بمكاني لعالم، كما قال العربي: «غير الوهى ترقعين وأنت مبصرة»، ويحكم، أروني مكانه لله أبوكم، وخلا كم ذم».

فلما اعترضه «عليه السلام» في الميدان لجأ إلى عورته فكشفها

ليسلم من سيف علي «عليه السلام»(1). فكان له ما أراد.

قطع خطوط الإمداد:

وقد صرح النص المتقدم: بأن علياً «عليه السلام» قد بعث خيلاً لتقطع عن معاوية مدداً.. ولا ريب في أن قطع المدد عن أي جيش مهما كان قوياً، يصيب ذلك الجيش بالوهن، وبالإرباك الشديد، ويشوش عليه حركته، ويوزع اهتماماته، ويحد كثيراً من رغبة بالقتال. ويدفعه للبحث عن مخارج تضمن له البقاء. ويسرِّع من تسلل الشعور بالإحباط لديه، ويمهد السبيل لفتح قنوات اتصال مع قادته، وحثهم على التراخي في الحرب والتملص وتطميعهم، وفتح أبواب التعامل معهم. وتقويض حالة التمسك فيما بينهم.

للعيون دور حساس:

وتقدم: أن العيون الذين كانوا لعلي «عليه السلام» هم الذين أخبروا علياً «عليه السلام» بفشل الخطة، فدلنا ذلك على أن للعيون دورهم وأثرهم الكبير والخطير في مسار الأمور، وأن من الضروري

---

(1) صفين للمنقري ص371 و 372 و 406 و 407 وراجع: المناقب للخوارزمي ص235 وشجرة طوبى ج2 ص333 والغدير ج2 ص161 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص60 والأخبار الطوال ص177 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج4 ص23 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص38.

أن يكونوا حاضرين في جميع المواضع والمواقع، حتى في مواضع الكمائن، والعمليات الخاطفة، والإيذائية التي تهدف إلى التشويش على العدو وإرباكه.. ويجب أن لا يقتصر عمل العيون على الرصد للمواقع العامة، ولمواقع العمليات الكبيرة.

وقد ظهر هنا: أن سرعة تحرك العيون قد مكن علياً «عليه السلام» من تلافي الفشل الذي عرض لتلك المهمة.. فاستعاض عنها بإيراد ضربة ضخمة وهائلة لم يكن العدو يتوقعها، وانتهى الأمر بفرار كتائب كبيرة ومؤثرة إلى نحو عشرين فرسخاً من موضع القتال، ولم تعد إلى المعركة، بل استمرت في فرارها حتى بلغت الشام حسبما تقدم.

البديل عن قطع خطوط الإمداد:

وحين اكتشف معاوية أمر الخيل التي كلفها علي «عليه السلام» بقطع خطوط الإمداد. ومنعها من أداء مهمتها. وأبعدها عن المواقع الحساسة. كان لا بد لأمير المؤمنين «عليه السلام» من تلافي هذا الفشل باعتماد إجراء بديل يعطي نفس القوة، وينتهي إلى نفس النتيجة، أو إلى ما يقاربها.. فشاور «عليه السلام» أصحابه، فاختلفت آراؤهم، فسقط بذلك حقهم في الإستشارة، وأصبح لا بد من اتخاذ القرار، لأن التردد والتأخير في القرار يطمع العدو، ويلقي إليه بزمام المبادرة بالهجوم.. الأمر الذي يحمل معه أخطاراً كبيرة على روحية ومعنويات المقاتلين، وينقلهم من حالة الهجوم إلى حالة الدفاع

الضعيف والمتهالك.

من أجل ذلك بادر «عليه السلام» إلى الأمر بالهجوم، فجاء هجوماً قوياً وساحقاً ألجأ بعض الكتائب الهامة في جيش القاسطين إلى الفرار الشنيع والمريع، إلى حوالي عشرين فرسخاً، ولم يعودوا من فرارهم حتى بلغوا دمشق.

تسرقون بناتنا:

تقدم قول أبي جهمة السدي ـ وهو من أصحاب علي «عليه السلام» ـ:

أغرتم علينا تسرقون بناتنا وليس لنا في قاع صفين قائف

وهذا كلام جديد علينا، فإننا لم نجد فيما اطلعنا عليه من نصوص ما يوضح لنا كيف كان أهل الشام يغيرون على أهل العراق، ويسرقون بناتهم.

ونظن: أن هذا من مكائد معاوية، بهدف تحريك العراقيين لردة فعل مشابهة، ويقابلوا أهل الشام بالمثل، ليتخذ ذلك ذريعة لحشد المزيد من الناس لحربهم.. فقد كان يحاول أن يصور لأهل الشام أن أهل العراق قد جاؤوا للقضاء عليهم، واستئصالهم، والإستيلاء على بلادهم، والعدوان الشامل عليهمن وحتى على أعراضهم..

وبعض تلك الأشعار، وإن كان قد قيل بعد رفع المصاحف، وانتهاء حرب صفين، لكنها تريد أن تحكي لنا بعض ما جرى في تلك

الحرب، وتذكر بعض من قتل فيها كعبيد الله بن عمر، أو غيره.

وقد ذكرها المنقري وغيره في هذا الموضع، فجرينا في ذلك على ما جرى عليه.

املكوا عني هذين الفتيين:

وقالوا:

قيل لمحمد ابن الحنفية: لم يغرر بك أبوك في الحرب، ولا يغرر بالحسن والحسين؟!

فقال: إنهما عيناه وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه[1].

وقال «رحمه الله» مرة أخرى ـ سئل عن ذلك ـ: أنا ولده، وهما ولدا رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

وقالوا: كان علي «عليه السلام» يقذف بمحمد في مهالك الحرب،

---

(1) بحار الأنوار ج42 ص99 و 96 وج45 ص348 وراجع: كشف الغمة ج2 ص235 وذوب النضار لابن نما ص55 والعوالم (الإمام الحسين) ص668 وشجرة طوبى ج2 ص321 وقاموس الرجال ج9 ص245 و 246 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص244 وج11 ص28 والدر النظيم ص438.

(2) بحار الأنوار ج42 ص96 عن كشف الغمة ص183 و (ط دار الأضواء) ج2 ص235.

ويكف حسناً وحسيناً عنها[1].

ومن كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» في يوم صفين: املكوا عني هذين الفتيين، أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

وصرح «عليه السلام» بعد عودته من صفين حين جرى الحديث عن أمر صفين وما جرى فيها ـ صرح بقوله ـ: إن هذين ـ يعني الحسن والحسين ـ إن هلكا انقطع نسل محمد من هذه الأمة، فكرهت ذلك[3].

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

1 ـ إننا لا نشك في أن الإمامين الحسنين «عليهما السلام» لا يعصيان لأبيهما أمراً، مهما كان.. ليس فقط لأنه أبوهما، بل لأنه

---

(1) بحار الأنوار ج42 ص99 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص244 وشجرة طوبى ج2 ص321.

(2) بحار الأنوار ج42 ص99 وشجرة طوبى ج2 ص321 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص244.

(3) بحار الأنوار ج42 ص96 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص61 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص44 والكامل في التاريخ ج3 ص324 وصفين للمنقري ص530 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص492.

الإمام المعصوم والمسدد من الله سبحانه وتعالى.

بل هما يسعيان بكل وجودهما لتحقيق رغبات أبيهما بمجرد علمهما بها، حتى لو لم يفصح عنها، لأنهما يعلمان أنه لا يريد لهما، ومنهما، ومن كل أحد إلا ما يرضي الله تبارك وتعالى..

من أجل ذلك نقول:

لقد كان يكفيه «عليه السلام» أن يشير إليهما بما يريد لينفذاه بحذافيره.

فما معنى أن يطلب من الناس أن يملكوا عنه ولديه يا ترى؟!

2 ـ لكن ذلك لا يعني أننا نشك في صحة النص المذكور آنفاً، والذي يتضمن هذا المعنى لأنه لا يتعارض مع ما ذكرناه، بل هو منسجم معه، فإنه «عليه السلام» يريد أن يذكر الناس بأن معاوية إنما يحارب أبناء الرسول، وأوصياء الأنبياء، والصفوة الأطهار من أهل بيته «صلى الله عليه وآله». ويسعى في قتلهم، لينقطع نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك.

3 ـ إن هذا النص يكذِّب ما يزعمونه، من أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان يخالف أباه في أمر عثمان، ويرفض سياسته، ولم يكن راغباً في تأييد أبيه في حروبه هذه بسبب عثمانيته..

فها هو يحرج اباه في اندفاعه إلى الحرب، إلى الحد الذي يحتاج أبوه إلى مساعدة الناس له في منعه من تعريض نفسه للمهالك.

المقصود بانقطاع نسل رسول الله ’ :

غير أن علينا أن نجيب على السؤال التالي؛ وهو: هل ينقطع نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقتل الحسنين«عليهما السلام»؟! وألم يكن قد ولد لهما أولاد حتى ذلك الحين؟! مع أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان آنئذٍ قد بلغ الرابعة والثلاثين، والحسين «عليه السلام» قد بلغ ثلاثاً وثلاثين سنة؟!

ونجيب:

أولاً: ليس المقصود انقطاع مطلق الذرية لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل المقصود انقطاع سلسلة الإمامة الهادية التي حددها الله تعالى، والتي تعني أمته «صلى الله عليه وآله» إلى يوم القيامة.

وهي السلسلة التي حدد الرسول، والأئمة من بعده أسماءها، وصفاتها، وخصوصياتها، وموقعها من هذا الدين.

والإمام السجاد «عليه السلام» هو التالي بعد الإمام الحسين «عليه السلام»..

وفي سنة 37 هـ وهي سنة حرب صفين لم يكن الإمام السجاد «عليه السلام» قد ولد بعد، فقتل أبيه الإمام الحسين، ومثله الإمام الحسن أيضاً معناه: انقطاع هذا النسل الخاص، وبطلان مقام الإمامة في ذرية رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهذا نقض للسياسة الإلهية، وتفريط بمصلحة الإسلام والأمة، لا يمكن أن يصدر عن أمير المؤمنين «عليه السلام».

ثانياً: لو أغمضنا النظر عن ما تقدم، ولو كان الإمام السجاد «عليه السلام» قد ولد بالفعل، فإننا نقول:

إذا قتل الحسنان «عليهما السلام»، ثم جرت الأمور في السياق الذي جرت عليه، واستشهد أمير المؤمنين «عليه السلام».. فإن تفرُّد معاوية وبني أبيه في السلطة، وعدم وجود أية شخصية يرهب جانبها، ويصعب النيل منها بغير حرب شعواء تأكل الخضر واليابس، يشجع الأمويين على البطش بمن تبقى من ذرية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذا خافوا من أن تكبر، وتنازع ذرية معاوية في سلطانها.

والشاهد على ذلك: أن بني أمية لم يتورعوا عن شن الحرب على الإمام علي «عليه السلام»، ثم على ولده الإمام الحسن «صلوات الله وسلامه عليه»، ثم قتلوا الإمام الحسين «عليه السلام» وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، فهل إذا سنحت لهم الفرصة لاستئصال هذه الذرية في وقت مبكر، سوف يتورعون عن حسم الأمر بكل حزم وصرامة. ليرتاح بالهم، وتهدأ نفوسهم، وتقر أعينهم؟!

هل هذا النص مكذوب؟!:

وروى العباس بن بكار، قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما كان يوم من أيام صفين دعا علي «عليه السلام» ابنه محمداً ابن الحنفية، فقال له: شد على الميمنة.

فحمل محمد مع أصحابه، فكشف ميمنة عسكر معاوية. ثم رجع وقد جرح، فقال: العطش العطش، فقام إليه أبوه «عليه السلام» فسقاه

جرعة من الماء، ثم صب الماء بين درعه وجلده، فرأيت علق الدم يخرج من حلق الدرع.

ثم أمهله ساعة، ثم قال: يا بني، شد في الميسرة.

فحمل مع أصحابه على ميسرة معاوية، فكشفهم، ثم رجع وبه جراحة، وهو يقول: الماء الماء، فقام إليه، ففعل مثل الأول.

ثم قال: شد على القلب، فشد عليهم فكشفهم، ثم رجع وقد أثقلته الجراحات وهو يبكي، فقام إليه أبوه «عليه السلام» فقبل ما بين عينيه، وقال: سررتني فداك أبوك، لقد سررتني ـ والله ـ يا بني بجهادك بين يدي، فما يبكيك؟! أفرح؟! أم جزع؟!

فقال: كيف لا أبكي وقد عرضتني للموت ثلاث مرات فسلمني الله تعالى، وكلما رجعت إليك لتمهلني عن الحرب فما أمهلتني، وهذان أخواي الحسن والحسين «عليهما السلام» ما تأمرهما بشي؟!

فقبل «عليه السلام» رأسه وقال: يا بني، أنت ابني، وهذان ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أفلا أصونهما عن القتل؟!

قال: بلى، يا أبتاه، جعلني الله فداك وفداهما(1).

---

(1) راجع: ذوب النضار لابن نما ص56 و 57 وبحار الأنوار ج45 ص348 و 349 وج42 ص105 و 106 والعوالم (الإمام الحسين) ص668 وشجرة طوبى ج2 ص321 و 322 ودرر الأخبار لحجازي خسروشاهي ص296 - 298.

ونقول:

لعل هناك من يرى أن هذا النص مكذوب ومصنوع، وأن الهدف منه، هو:

1 - وضع علامة استفهام كبيرة حول محمد ابن الحنفية، وأنه لم يكن مرتاحاً مع أبيه، وإنما كان يطيع أوامره بالرغم عنه.

2 - وهو يدل على أن علياً «عليه السلام» كان يُكرِه حتى أولاده على الدخول في حرب لا يحبون الدخول فيها، وليس صحيحاً القول: بأنهم كانوا يندفعون إليها طواعية، ورغبة في الجنة، وتحاشياً من عقاب الله.

3 - إن هذا النص يعطي الإنطباع بأن علياً «عليه السلام» كان قاسي القلب ظالماً حتى لأقرب الناس إليه، فهل يستكثر عليه ظلم من هو بعيد عنه، وهو يقسو على ولده بالرغم من أنه يرى ما به من جراحات تنزف. فهل يرحم غيره، لا سيما إذا كان سالماً عن قتل هذه الجراحات!!

4 - ثم إن المطلوب هو تصغير شأن ابن الحنفية، فهو يبكي خوفاً من الموت ـ كالأطفال، أو كالنساء ـ لأن أباه طلب منه الحملة على العدو ثلاث مرات.

5 - ثم إن هذا النص يدل على أن علياً «عليه السلام» لا يتعامل مع أولاده بإنصاف، فهو يميز بعضهم على بعض بصورة فاقعة، ولا يراعي مشاعرهم.

6 - إن ابن الحنفية لم يفرح، لأنه أزال الميمنة والميسرة، والقلب في جيش معاوية عن مواقعهم. بل هو يواصل البكاء والشكوى. لأن أباه لم يمهله، ولم يشرك أخويه معه.

7 - إنها تظهر ابن الحنفية شاباً حسوداً حتى لأخويه، فكيف يكون حاله مع الآخرين.

8 - بل إن هذه الرواية تضمنت كذبة صريحة وظاهرة، وهي أنها زعمت أن ابن الحنفية ادَّعى لأبيه أنه أكرهه على مهاجمة العدو ثلاث مرات، ولم يمهله.

مع أن الرواية تصرح: بأنه «عليه السلام» بعد حملته على الميمنة، وكشفها، أمهله ساعة، ثم أمره بمهاجمة الميسرة.

ثم تقول: إنه بعد أن هاجم الميسرة فكشفها ورجع قام إليه «عليه السلام»، «ففعل مثل الأول».

ومعنى هذا: أنه أمهله مرتين، أو على الأقل مرةواحدة، فلماذا يدَّعي أنه رجع إليه ليمهله، فلم يمهله؟!

ولماذا لم يعترض علي «عليه السلام» على ولده، فيقول له: لقد أمهلتك فلماذا تحرِّف الوقائع؟!

9 - إذا كان غرض الإمام «عليه السلام» صون الإمامين الحسنين «عليهما السلام» عن التعرض للأخطار، فما معنى جعلهما قائدين لخيل الميمنة، كما كان محمد بن الحنفية، ومحمد

بن أبي بكر على خيل الميسرة؟!(1).

ولماذا سمح لهما بالقتال ولم يصنهما عنه حين جاءاه هما ومحمد بن الحنفية، ومحمد بن أبي بكر، وعبد الله بن جعفر، وسيوفهم مخضبة بالدماء؟!(2).

10 - وبعد هذا كيف يظن ابن الحنفية السوء بأبيه، ويتهمه أنه يخاطر به دونهما؟! وكيف لا يقول له أبوه: إنه مخطئ في ظنه هذا؟!

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص24 و 25 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص352 وبحار الأنوار ج32 ص573.
(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص136 وراجع: الإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص939.

الفصل التاسع:

الوقعة الخميسية..
وشهداء كبار..

وقعة يوم الخميس:

ثم كانت بين الفريقين الواقعة المعروفة بـ «وقعة الخميس»، فقد روى المنقري عن عمر بن سعد، عن سليمان الأعمش، عن إبراهيم الهجري قال: حدثنا القعقاع بن الأبرد الطهوي قال:

والله إني لواقف قريباً من علي بصفين يوم وقعة الخميس، [و] قد التقت مذحج ـ وكانوا في ميمنة علي ـ وعك وجذام ولخم والأشعرون، وكانوا مستبصرين في قتال علي.

ولقد والله رأيت ذلك اليوم من قتالهم، وسمعت من وقع السيوف على الرؤوس، وخبط الخيول بحوافرها في الأرض وفي القتلى، ما الجبال تهد، ولا الصواعق تصعق بأعظم هولاً في الصدور من ذلك الصوت.

نظرت إلى علي وهو قائم فدنوت منه، فسمعته يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله، [اللهم إليك الشكوى، وأنت المستعان] والمستعان الله».

ثم نهض حين قام قائم الظهيرة وهو يقول: (**..رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**)[1].

وحمل على الناس بنفسه، وسيفه مجرد بيده، فلا والله ما حجز بيننا إلا الله رب العالمين، في قريب من ثلث الليل. وقتلت يومئذ أعلام العرب. وكان في رأس علي ثلاث ضربات، وفي وجهه ضربتان[2].

قال نصر: وقد قيل: إن علياً لم يجرح قط.

وقتل في هذا اليوم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين.

وقتل من أهل الشام عبد الله بن ذي الكلاع الحميري، فقال معقل بن نهيك بن يساف الأنصاري:

يا لهف نفسي ومن يشفي حزازتها إذ أفلت الفاسق الضليل منطلقا

وأفلت الخيلَ عمرو وهي شاحبة جنح الظلام يحث الركض والعَنَقَا

وافت منية عبد الله إذ لحقت قب البطون به، أَعجِزْ بمن لحقا

وأنساب مروان في الظلماء مستترا تحت الدجى كلما خاف الردى أرقا[3]

---

(1) الآية 89 من سورة الأعراف.

(2) صفين للمنقري ص363 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص41 و 42 وراجع: الأخبار الطوال ص184.

(3) صفين للمنقري ص363 و 364 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8

وقال عامر بن الأمين السلمي في أبيات له:

ورجعت قد أبصرت أمري كله   وعرفت ديني إذ رأيت يقينا

أبلغ معاوية السفيه بأنني   في عصبة ليسوا لديك قطينا

لا يغضبون لغير ابن نبيهم   يرجون فوزاً، إن لقوك، ثمينا(1)

وقال عبد الله بن يزيد بن عاصم الأنصاري يرثي من قتل من أصحابه:

يا عين جودي على قتلى بصفينا   أضحوا رفاتا وقد كانوا عرانينا

أنى لهم صرف دهر قد أضربنا   تباً لقاتلهم في اليوم مدفونا

كانوا أعزة قومي قد عرفتهم   مأوى الضعاف وهم يعطون ماعونا

عز بمصرعهم تبا لقاتلهم   على النبي وطوبى للمصابينا(2)

وقال النضر بن عجلان الأنصاري في جملة أبيات له:

كيف التفرق والوصي إمامنا   لا كيف إلا حيرة وتخاذلا

لا تعتبن عقولكم لا خير في   من لم يكن عند البلابل عاقلا

ص42.

(1) صفين للمنقري ص364.

(2) صفين للمنقري ص365.

وذروا معاوية الغوي وتابعوا دين الوصي تصادفوه عاجلا[1]

استشهاد ابن التيهان:

وقد قتل أبو الهيثم بن التيهان في وقعة يوم الخميس هذا.

قالوا: «وأقبل أبو الهيثم بن التيهان ـ وكان من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» بدرياً، نقيباً، عقبياً ـ يسوى صفوف أهل العراق ويقول: يا معشر أهل العراق، إنه ليس بينكم وبين الفتح في العاجل، والجنة في الآجل إلا ساعة من النهار، فأرسوا أقدامكم، وسووا صفوفكم، وأعيروا ربكم جماجمكم، استعينوا بالله إلهكم، وجاهدوا عدو الله وعدوكم، واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم! واصبروا فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين[2]»[3].

وقال ابن أعثم عن الوقعة الخميسية التي لم يكن بصفين أشد منها:

وزالت الشمس، وذهب وقت الصلاة، والحرب قائمة على ساق.

---

(1) صفين للمنقري ص365 وبحار الأنوار ج38 ص25 و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص149.

(2) إشارة إلى الآية 128 من سورة الأعراف.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص190 والدرجات الرفيعة ص322 وصفين للمنقري ص237 وبحار الأنوار ج32 ص467 و 405.

قال: و صاح علي «عليه السلام» بالمهاجرين والأنصار، فقال:

إن الفرار عن الحرب في مثل هذا اليوم إرتداد عن الحق، ورغبة عن دين الإسلام.. أما سمعتم الله تبارك وتعالى يقول: **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)**(1).

فما انتظاركم إن كنتم تريدون الجنة؟!

قال: فكان أول من تقدم أبو الهيثم بن التيهان، وجعل يرتجز ويقول:

أحمد ربي وهو الحميد ذاك الذي يفعل ما يريد
ذاك الذي عذابه شديد من ينج منه فهو السعيد
هذا علي ما له نديد دين قويم وهو الرشيد

ثم حمل فقاتل حتى قتل «رحمه الله»! فرثته امرأة من الأنصار فأنشأت تقول شعراً(2).

وقال المنقري: إنها أمينة الأنصارية.

منع اليوم أن أذوق رقادا مالك إذ مضى وكان عمادا
يا أبا الهيثم بن تيهان إني صرت للهم معدنا ووسادا
إذ غدا الفاسق الكفور عليهم إنه كان مثلها معتادا

---

(1) الآية 31 من سورة محمد.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص177 و 178 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص180 وبحار الأنوار ج32 ص587.

أصبــــحوا مثل من ثوى يوم أحد يـــرحـــم الله تلكم الأجسادا(1)

استشهاد خزيمة بن ثابت:

واستشهد في الوقعة الخميسية التي هي أعظم المعارك في صفين خزيمة بن ثابت «رحمه الله»..

فقد روى ابن سعد، عن عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: شهد خزيمة بن ثابت الجمل وهو لا يسل سيفاً، وشهد صفين، وقال: أنا لا أصل (أقاتل) أبداً حتى يقتل عمار، فأنظر من يقتله، فإني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول تقتله الفئة الباغية.

قال: فلما قتل عمار بن ياسر قال خزيمة: قد بانت لي الضلالة واقترب فقاتل حتى قتل(2).

---

(1) صفين للمنقري ص365 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص177 و 178

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص259 وأسد الغابة ج4 ص127 ح3804 و (نشر دار الكتاب العربي) ج4 ص47 والعقد الفريد ج3 ص336 والمناقب للخوارزمي ص191 و 229 وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص33 و (ط مؤسسة آل البيت) ج1 ص268 / 101 والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج1 ص416 و (ط دار الجيل) ج2 ص448 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص33 وتاريخ مدينة دمشق ج16 ص370 وج43 ص471 وتهذيب الكمال ج8 ص244 وج21 ص225 والإصابة ج1 ص424 و (ط دار الكتب العلمية)

قال ابن أعثم:

ثم تقدم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فجعل يرتجز ويقول:

قــد مــر يــومان وهذا الثالث هـذا الـذي يبحـث فيـه الباحـث
هذا الذي يـلهث فيــه اللاهث يـوم عبـوس والعبـوس كـارث
كـم ذا يـرجى أن يعيش الماكث والنـــاس مـــوروث وفـــيهم وارث
هـذا علي مــن عصـــاه ناكث

ثم حمل فقاتل حتى قتل «رحمه الله»(1).

فقالت فيه ابنته منيعة [ضبيعة] هذه الأبيات:

عيــن جودي على خزيمة بالدمـ ـع قتيـل الأحـزاب يـوم الفـرات
قتلــوا ذا الشـــهادتيـن عيـانـا أدرك الله مـنـهـــم بـالـتـــرات
قتلــوه في فـتـيـة غـيـر عُــزْلٍ يسـرعون الركـوب للـدعوات
نصـــروا أحـمـد الموفق ذا العد ل فـدانوا بـذاك حتـى الممـات

ج2 ص240 وأنساب الأشراف ج2 ص314 والمنتخب من ذيل المذيل ص15 وراجع: بحار الأنوار ج33 ص15 والمستدرك للحاكم ج3 ص385 و 386 وكشف الغمة ج1 ص262.

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص178 وصفين للمنقري ص398.

قبـــح الله مـــعشـــرا قتلـــوه ورمـــوه بالـخـزي والآفات(1)

ونقول:

إيضاحات:

نديد: ند ونظير.

قب البطون: ضامرة البطون. والمراد: الخيل الضوامر.

قطين: أي قاطن ومقيم.

الهدة: صوت سقوط الحائط، أو صوت انهدام ناحية من الجبل.

العنق ـ بفتحتين ـ: ضرب من السير السريع للإبل.

لا حول ولا قوة إلا بالله:

إن الذين يصلون إلى الزعامة والسلطة، وتتسع سلطتهم ونفوذهم حتى يصبحوا قادرين على جمع عشرات الألوف من المقاتلين، ثم يخوضون حروباً هائلة يقتل فيها عشرات الألوف، وينتصرون فيها نصراً حاسماً.

ثم يجمعون مرة أخرى أضعاف ما جمعوه في المرة الأولى،

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص178 صفين للمنقري ص365 و 366 والدرجات الرفيعة ص313 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص42.

ويباشرون حرباً أكبر من الأولى، يقتل فيها عشرات الألوف أيضاً، وتستمر عدة أشهر ـ إن هؤلاء ـ حين يكونون في أتون المعركة، وتحف بهم الأبطال، ويحوطهم الرجال، ويرون كيف تجندل الفرسان، وتتبارى الشجعان في إظهار القوة، وإثبات الفروسية والفتوة، فإن تفكيرهم ينصرف إلى تقدير قوة عساكرهم. والموازنة بينها وبين قوة عساكر عدوهم.. فإذا ظهرت أرجحية قوتهم على قوة عدوهم من خلال عمليات الكر والفر، ودحر الكتائب، وما ينزل بها من كوارث ومصائب، فإنهم يشعرون بالسكينة، وتحل على قلوبهم الطمأنينة.

ولكن ما نراه من أمير المؤمنين «عليه السلام»، هو أن أمراء الحروب في وادٍ، وهو «عليه السلام» في وادٍ آخر. إنه يرى أن كل هذه العساكر حوله، وما تظهره من صلابة وقوة، وما تنزله بالعدو من ضربات، وتلحقه به من خسائر ونكبات ـ إن كل ذلك ـ لا يحمل من معنى القوة شيئاً. ولا يزيد على كونه عملاً بالواجب، إذ «لا حول ولا قوةإلا بالله».

وإذا كان كذلك، فلا يصح التعلق بغيره تعالى لاستنزال النصر، وحسم الأمر.. وهذا يدعو إلى حفظ العلاقة بالله تعالى، وإلى تعاهد هذه العلاقة بالتقوية والترشيد باستمرار.

وهذه النظرة يجب أن يحملها كل مقاتل في سبيل الله، لأنها تضاعف القوة لديه، وتدفع عنه الغرور بالنفس، وبالكثرات، وتحميه من التأثر بالأجواء التي من حوله.

الفتح بالحق:

أما قوله «عليه السلام» في هذه اللحظات العصيبة: (**..رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**)(1). فهو تعبير عن التزام جادة الإنصاف حتى بالنسبة للأعداء، فهو «عليه السلام» يريد من الله تعالى أن يفتح بينه وبين أعدائه بالحق، حتى في هذه اللحظات العصيبة، وهم يمارسون أبشع أنواع العدوان على الحق وأهله.

ويريد علي «عليه السلام» أن يكون الله تعالى هو الذي يقيم هذا الحق، ويجريه، لأنه هو الحق والعدل. أما عداه من بني الإنسان، فإنهم إن لم يتول الله تسديدهم، وحفظهم، ورعايتهم، والكشف عن بصائرهم، وتصفية نواياهم، وإظهار الواقع كله لهم، قد يصيبون، وقد يخطئون، وقد يحيفون على هذا الطرف ـو على ذاك.

أما الله تعالى فهو خير الفاتحين بالحق والخير، والصلاح والفلاح.

هل جرح علي ×؟!:

تقدم: أن البعض يقول: إن علياً «عليه السلام» لم يجرح قط، فإن كان مراده أنه لم يجرح في أي حرب طيلة حياته، فقد تقدم أنه «عليه السلام» قد جرح في حرب أحد جراحات كثيرة.. وقيل: إنه «عليه

(1) الآية 89 من سورة الأعراف.

السلام» قد جرح في غير حرب أحد أيضاً. فراجع الأجزاء الأولى من هذا الكتاب.

وإن أراد: أنه «عليه السلام» لم يجرح في حرب صفين، فإن ما قاله القعقاع الطهري يضع علامة استفهام كبيرة على صحة هذا القول.

فرار قادة القاسطين في المعركة الخميسية:

ولم تصرح النصوص بتفاصيل ونتائج حرب يوم الخميس، ولكن الشعر الذي قاله معقل بن نهيك بن يساف الأنصاري، قد دلنا على أن هزيمة كبيرة قد حلت بمعاوية وقادته في هذا اليوم، وأن من جملة الفارين الفاسق الضليل، والظاهر أن المراد معاوية أو الوليد بن عقبة الذي سماه الله فاسقاً، في قوله تعالى: (**..إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا..**)[1].

وهرب أيضاً عمرو بن العاص، ومروان بن الحكم. وقتل عبد الله بن ذي الكلاع وهومنهزم أيضاً. فلماذا سكتت النصوص عن التصريح بهذه الهزيمة المرة.. هذا ما لم نجد له تفسيراً، ولا مبرراً.

وقد صرحت الأشعار المروية عن عامر بن الأمين، وعبد الله بن يزيد بن عاصم نصاري، والنضر بن عجلان الأنصاري بأمور، مثل:

1 - إن أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» يعتبرون معاوية

(1) الآية 6 من سورة الحجرات.

فاسقاً.

2 - يرونه ضليلاً.

3 - يرونه سفيهاً.

4 - يرونه كفوراً

5 - يرون أن الدين واليقين عند علي «عليه السلام» ومعه.

6 - إن أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» إنما يغضبون لابن نبيهم. ولعل المراد به الحسن والحسين «عليهما السلام». إلا إن كان النص الحقيقي هو أخو النبي.

7 - إن الذين قتلوا مع أمير المؤمنين «عليه السلام» كانوا من العرانين والكبار، والأصول والأخيار.

8 - إن هؤلاء الشهداء كانوا لا يمنعون الماعون، بل يعطونه للمحتاجين، وكانوا أيضاً هم مأوى الضعفاء.

9 - إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قبح فعل قاتلي هؤلاء الصفوة.

10 - إن إمام أهل الحق وهو علي «عليه السلام» هو الوصي لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

11 - إن هذا يحتم على الآخرين أن يتركوا معاوية، وأن يتابعوا دين وصي الرسول «صلى الله عليه وآله».

12 - إن علياً «عليه السلام» لا ند له ولا نظير.

13 - إن دين علي «عليه السلام» صحيح وقويم.

14 - إنه «عليه السلام» رشيد.

15 - إن قتلى صفين نظير قتلى حرب أحد.

16 - إن من عصى علياً فهو ناكث.

17 - إن أصحاب معاوية من الأحزاب.

18 - إن علياً «عليه السلام» سيد، وهو ذو عدل.

تسوية الصفوف:

وقد تقدم: أن أبن التيهان كان يسوي صفوف المقاتلين في ميدان القتال، وهذا يشير إلى ضرورة القيام بهذه التسوية، فإنها تمكِّن القائد العام من المراقبة الدقيقة، ورؤية أي إخلال، أو تحرك يحصل من أصحابه، أو من عدوهم تجاههم.. وربما تمكن من معرفة المبادر والبادئ بالحرب، كما أنه يعرف في أي نقطة تدور الإشتباكات، وفي أي ساعة أو لحظة بدأت.

كما أن الصفوف المستوية تقطع الطريق على المصطادين في الماء العكر، فلا يعطيهم الفرصة لجر أهل الحق إلى ما لا يرغبون بالإنجرار إليه، في مكان، أو زمان بعينه، أو تجاه فئة بعينها..

الفرار ارتداد عن الحق:

وتقدم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد صاح بالمهاجرين والأنصار قائلاً: «إن الفرار عن الحرب في مثل هذا اليوم إرتداد عن

الحق، ورغبة عن دين الإسلام».

والسؤال هو: لماذا قيد كلامه بالفرار في هذا اليوم؟!

ولماذا خص المهاجرين والأنصار بالخطاب؟!

ولماذا صار الفرار ارتداداً؟!

ولماذا هو ارتداد عن الحق، لا عن الإسلام، أو الدين؟!

ونجيب بما يلي:

1 ـ لعله «عليه السلام» إنما خص المهاجرين والأنصار بالخطاب لأمرين:

أولهما: أنهم أقرب إلى فهم ما يرمي إليه بكلامه هذا، بسبب سعة ثقافتهم الدينية إذا قيسوا بغيرهم، ولا سيما من تأخر إسلامهم إلى ما بعد وفاة الرسول «صلى الله عليه وآله» بسنوات.

الثاني: إن المهاجرين والأنصار هم مفاتيح غيرهم، لأن الناس تبع لهم، في الأمور الدينية، فهم يلتفون حولهم، ويسألونهم، ويسمعون منهم، ويثقون بهم.

2 ـ بالنسبة لاعتبار الفرار ارتداداً عن الحق لا عن الإسلام نقول:

ليس المراد بالإرتداد الخروج من دين الإسلام إلى دين آخر. بل المراد به الإرتداد العملي، وهو ترك الحق وعدم العمل به، فهو من قبيل قوله تعالى: (**..وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ**

سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)(1).

ويشهد لهذا: استشهاده «عليه السلام» بقوله تعالى: **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)**(2).

فإن الله تعالى عالم بالمجاهدين والصابرين في كل حين، أي قبل أن يجاهدوا ويصبروا وبعده. ولكن المقصود هو تجسد ما علمه منهم على صفحة الواقع، فإنهم بدخولهم في دين الإسلام، قد التزموا بالعمل بأحكامه وشرائعه. فإذا لم يفوا بما التزموا به، يكون نكولهم بمثابة الإرتداد والتراجع عن هذا الإلتزام.

فإذا كان هذا الذي نكلوا عنه خطيراً جداً، وربما يوجب تضييع الدين، فإن تركه والتراجع عنه يكون بمثابة التراجع عن الدين كله، وقبول بطمسه وتضييعه.. فيصح التعبير عنه بالإرتداد عن الحق، ورغبة عن دين الإسلام..

3 ـ وبذلك يتضح سبب قوله «عليه السلام»: «في مثل هذا اليوم» فإن معركة يوم الخميس كانت من الحساسية والخطورة بحيث يكون الفرار فيها تخلٍ عن الدين كله، لأن هذا الفرار سوف يمكن القاسطين من تسديد ضربة هائلة للدين وأهله، وقتل حماته، واستئصال رموزه، والتسبب بانتكاسة عظيمة له، قد لا يمكنه القيام منها إلى عشرات

---

(1) الآية 97 من سورة آل عمران.

(2) الآية 31 من سورة محمد.

السنين..

فضلاً عن أن ضربة كهذه سوف تفسح المجال لأهل الباطل للتلاعب بحقائق الدين، وتشويهها، واستبدالها بكثير من باطلهم، وتعمية السبل إليها.

ابن التيهان من شهداء صفين:

وقد عودنا مناوئوا علي «عليه السلام» على محاولة تقليل عدد الصحابة الذين حضروا معه في حروبه، فإن لم يمكنهم ذلك زعموا وجود أقوال مختلفة توجب الريب في كونهم معه، وقتالهم تحت رايته.. وهذا بالذات ما حصل بالنسبة لأبي الهيثم، فقد قالوا: قيل: مات في حياة النبي «صلى الله عليه وآله». وقيل: في أيام عمر. وقيل: قبل صفين. وقيل: بصفين(1).

والصحيح: أنه «رحمه الله» قد استشهد في صفين. ويدل على

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص107 و 108 وراجع: أسد الغابة ج4 ص274 و (ط دار الكتاب العربي) ج5 ص318 والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج4 ص200 و 201 و (ط دار الجيل) ج3 ص1348 و 1349 وج4 ص1773 والإصابة ج4 ص313 و (ط دار الكتب العلمية) ج7 ص366 وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص448 و 449 وتاريخ خليفة بن خياط ص106 والمعارف لابن قتيبة ص270 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص118.

ذلك: قول أمير المؤمنين «عليه السلام» في خطبته، وهو يعدد شهداء صفين: أين عمار؟! وأين ابن التيهان؟! وأين ذو الشهادتين؟! وأين نظراؤهم من أخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟![(1)].

ولو أردنا حشد الأقوال والنصوص الدالة على ذلك لطال بنا المقام.

شهداء صفين.. وشهداء أحد:

وتقدم: أن أمينة الأنصارية قد اعتبرت شهداء صفين مثل شهداء أحد..

ولعل السبب في هذا التشبيه هو أن شهداء أحد كانوا معروفين للناس، مشهورين بالفضل، وبالأثر العظيم في هذا الدين. ولا سيما الشهيد حمزة بن عبد المطلب أسد الله، وأسد رسوله. والذي حزن عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبكاه، وأمر بالبكاء عليه.

وهذا هو حال شهداء صفين رحمهم الله، فإن فيهم ثلة كبيرة من الصحابة الكبار، والعلماء والأعيان والأخيار الذين كان لهم الأثر

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص109 رقم 180 وبحار الأنوار ج34 ص127 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص257 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص99 وينابيع المودة ج2 ص28 و 29 وج3 ص444 والكنى والألقاب ج1 ص184.

العظيم في هذا الدين. وقد تحدث النبي «صلى الله عليه وآله» عن فضل كثيرين منهم، وعن مكانته، وعن أثره في هذا الدين. وفي هداية الناس، وعن سلامة معرفتهم للحق. وعلى رأسهم عمار بن ياسر.

ولم يكن شهداء بدر بهذه المثابة من المعروفية في الفضل، ولا في السابقة والموقع والمكانة بين أهل الإسلام.

تردد ذي الشهادتين:

1 - أما ذو الشهادتين، الذي استشهد في الوقعة الخميسية أيضاً، فالظاهر أنه استشهد في اليوم الثالث بعد عمار، كما يشير إليه قوله: «قد مر يومان وهذا الثالث».

ويبدو: أن الوقعة الخميسية قد حصلت بعد استشهاد عمار في هذا الوقت.

2 - إن الحديث الذي رووه عن تردد ذي الشهادتين في الحرب مع علي «عليه السلام» يحتاج إلى مزيد من التدبر والتبصر.

فنقول:

إننا نشك في صحة ما ينسب إلى خزيمة من تردد في حرب صفين، لما يلي:

أولاً: إن ذا الشهادتين كان عارفاً بمقام أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكان عالماً بأنه محق في حربه للقاسطين، وبأنهم هم البغاة عليه، والظالمون له.

ويدل على معرفته هذه نصوص كثيرة نقتصر منها على ما يلي:

ألف: شهد ذو الشهادتين غدير خم، وسمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول لعلي «عليه السلام»: من كنت مولاه، فعلي مولاه(1).

ب: قد عده الإمام الرضا «عليه السلام» في جملة الذين مضوا على منهاج نبيهم، من غير تبديل، كسلمان «رحمه الله»(2).

ج: إنه من الاثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر اغتصابه الأمر من علي «عليه السلام»، وشهد أنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «أهل بيتي يفرِّقون بين الحق والباطل، وهم الأئمة الذين يقتدى بهم»(3).

---

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص45 و (ط مؤسسة آل البيت) ج1 ص246 وبحار الأنوار ج41 ص213 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص261 و 262 وج7 ص199 و 200 وج9 ص25 و 137 والدرجات الرفيعة ص453 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج6 ص334 و 335 عن الأربعين حديثاً (مخطوط) للسيد جمال الدين الهروي.

(2) عيون أخبار الرضا ج2 ص126 و (ط الأعلمي) ج1 ص134 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج30 ص235 و (الإسلامية) ج20 ص89 و 90 وبحار الأنوار ج10 ص358 وج65 ص263 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص459 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج2 ص502.

(3) راجع: الخصال ج2 ص461 و (ط جماعة المدرسين سنة 1403 هـ) ص464 والإحتجاج ج1 ص102 و 103 وراجع: اليقين لابن طاووس ص341 وبحار الأنوار ج28 ص200 و 213 و 219.

د: كان يشهد لعلي «عليه السلام» بالولاء والإخاء والوصية(1).

إلى غير ذلك من النصوص التي تدل على أنه كان عارفاً بمقام وموقع أمير المؤمنين «عليه السلام» من هذا الدين.

ثانياً: لو كان خزيمة شاكاً في مشروعية هذه الحرب، فلماذا يشهدها، ويسافر من المدينة إلى العراق، ثم إلى صفين في بلاد الشام.. مئات الأميال؟! ولو كان حضوره لأجل التفرج والنزهة، فلماذا لا يجعل لمعاوية نصيباً من نزهته، وعلى أي أساس يحصر حضوره في صفين؟!

ولماذا تركه علي «عليه السلام» في جيشه على هذه الحال؟! وهي من موجبات شك الناس في حقانية الحرب، وتسبب تخاذل الناس عنه.

ويزيد هذا الأمر غرابة: أنه ـ كما يزعمون ـ قد كفّ عن القتال في حرب الجمل كلها، ثم في حرب صفين إلى أن قتل عمار!!

ثالثاً: ألم يكن ذو الشهادتين يعرف أن الحق لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق؟!

وكيف لا يحارب الناكثين للبيعة، والبغاة؟! أولم يسمع بحكم

---

(1) الأمالي للصدوق ص53 و (ط مؤسسة البعثة) ص107 وبحار الأنوار ج22 ص318 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج1 ص456 وغاية المرام ج2 ص189 وج5 ص119.

الناكث، أو بحكم الباغي؟! وهو مذكور صريحاً في القرآن؟!

ويبدو لنا: أن الصحيح هو أنه إنما استقتل، واستمات بعد استشهاد عمار «رحمه الله»..

ولعل الأقرب إلى إفهام هذا المعنى ما روي عن أبي إسحاق، من أنه قال: «لما قتل عمار دخل خزيمة بن ثابت فسطاطه وطرح عنه سلاحه، ثم رش عليه الماء فاغتسل، ثم قاتل حتى قتل»(1).

فإما أن هذه الرواية قد حرِّفت عمداً، أو أنها فهمت خطأً.

ذو الشهادتين ليس مع علي ×:

والأغرب من هذا والأعجب ما قاله أبو حيان التوحيدي وورد أيضاً في رواية الطبري، عن سيف، عن محمد، عن عبيد الله، عن الحكم؛ قيل له: أشهد خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الجمل؟!

فقال: ليس به، ولكنه غيره من الأنصار، مات ذو الشهادتين في زمن عثمان(2).

---

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص52 و (ط مؤسسة آل البيت) ج1 ص267 وشرح الأخبار ج1 ص409 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص263 وتاريخ مدينة دمشق ج16 ص370.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص447 و (ط الأعلمي) ج3 ص467 وتاريخ مدينة دمشق ج16 ص372 والفتنة ووقعة الجمل ص110 وراجع: الإصابة ج2 ص241 والكامل في التاريخ ج3 ص221 والبداية والنهاية

ونقول:

هذا كلام باطل:

أولاً: إن الحكم نفسه يكذب نفسه، فقد روى الحكم، عن ابن أبي ليلى قال: شهد صفين من أهل بدر سبعون.

فقال شعبة: كذب. لقد ذاكرت الحكم، فما وجدنا شهد صفين أحد من أهل بدر غير خزيمة(1).

ومن المعلوم: أن الذي شهد بدراً هو خزيمة ذو الشهادتين.

ثانياً: قال المعتزلي: «وهذا خطأ، لأن كتب الحديث والنسب تنطق بأنه لم يكن في الصحابة من الأنصار، ولا من غير الأنصار خزيمة بن ثابت إلا ذو الشهادتين، وإنما الهوى لا دواء له.

على أن الطبري صاحب التاريخ قد سبق أبا حيان بهذا القول، ومن كتابه نقل أبو حيان، والكتب الموضوعة لأسماء الصحابة تشهد

(ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص261 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص461. وراجع: ذيل تاريخ الطبري ج11 ص511 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص109 عن البصائر للتوحيدي.

(1) ميزان الإعتدال ج1 ص47 ترجمة إبراهيم بن عثمان (أبي شيبة)، والعلل لابن حنبل ج1 ص287 والكامل لابن عدي ج1 ص239 وتاريخ بغداد ج6 ص111 وتهذيب الكمال ج2 ص150 وسير أعلام النبلاء ج7 ص221 وميزان الإعتدال ج1 ص47 وتاريخ الإسلام للذهبي ج10 ص549 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص281.

بخلاف ما ذكراه»[1].

ثالثاً: قال المعتزلي أيضاً: «ثم أي حاجة لناصري أمير المؤمنين أن يتكثروا بخزيمة، وأبى الهيثم، وعمار وغيرهم! لو أنصف هذا الرجل ورأوه بالعين الصحيحة، لعلموا أنه لو كان وحده، وحاربه الناس كلهم أجمعون، لكان على الحق، وكانوا على الباطل»[2].

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص109.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص109 و 110.

الفصل العاشر:

أبو أيوب في صفين..
ويزيد في القسطنطينية..

معاوية يهدد وعلي × يفسر:

قال نصر: حدثنا عمر بن سعد، عن الأعمش قال، كتب معاوية إلى أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري، صاحب منزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ وكان سيداً معظماً من سادات الأنصار، وكان من شيعة علي «عليه السلام» ـ كتاباً، وكتب إلى زياد بن سمية ـ وكان عاملاً لعلي «عليه السلام» على بعض فارس ـ كتاباً.

فأما كتابه إلى أبي أيوب فكان سطراً واحداً: «لا تنسى شيباء أبا عذرتها، ولا قاتل بكرها».

فلم يدر أبو أيوب ما هو؟! فأتى به علياً وقال: يا أمير المؤمنين، إن معاوية ابن آكالة الأكباد، وكهف المنافقين، كتب إلي بكتاب لا أدري ما هو؟!

فقال له علي: وأين الكتاب؟!

فدفعه إليه، فقرأه وقال: نعم، هذا مثل ضربه لك، يقول: ما أنسى الذي لا تنسى الشيباء، لا تنسى أبا عذرتها.

ـ **والشيباء:** المرأة البكر ليلة افتضاضها، لا تنسى بعلها الذي افترعها أبداً ـ ولا تنسى قاتل بكرها وهو أول ولدها.

كذلك لا أنسى أنا قتل عثمان.

وأما الكتاب الذي كتب إلى زياد فإنه كان وعيداً وتهدداً، فقال زياد: «ويلي على معاوية ابن أكالة الأكباد، وكهف المنافقين، وبقية الأحزاب، يتهددني ويوعدني وبيني وبينه ابن عم محمد، ومعه سبعون ألفاً طوائع، سيوفهم عند أذقانهم، لا يلتفت رجل منهم وراءه حتى يموت.

أما والله لئن خلص الأمر إلي ليجدني أحمر ضرابا بالسيف».

والأحمر يعني أنه مولى، فلما ادعاه معاوية صار عربياً [منافياً].

[قال نصر]: و [روى عمرو بن شمر: أن معاوية] كتب في أسفل كتاب أبي أيوب:

أبلغ لديك أبا أيوب مألكة — أنا وقومك مثل الذئب والنقد
إما قتلتم أمير المؤمنين فلا — ترجو الهوادة عندي آخر الأبد
إن الذي نلتموه ظالمين له — أبقت حرارته صدعا على كبدي
إني حلفت يمينا غير كاذبة — لقد قتلتم إماماً غير ذي أود
ا تحسبوا أنني أنسى مصيبته — وفي البلاد من الأنصار من أحد
أعزز علي بأمر لست نائله — واجهد علينا فلسنا بيضة البلد
قد أبدل الله منكم خير ذي كلع — واليحصبيين أهل الحق في الجند

إن العراق لنا فقع بقرقرة أو شحمة بزَّها شاوٍ ولم يكد
والشام ينزلها الأبرار، بلدتها أمن، وحومتها عِرِّيسة الأسد

جواب أبي أيوب:

فلما قرأ الكتاب على علي «عليه السلام» قال: لشد ما شحذكم معاوية يا معشر الأنصار، أجيبوا الرجل.

فقال أبو أيوب: يا أمير المؤمنين: ما أشاء أن أقول شيئا من الشعر يعيا به الرجال إلا قلته.

قال: فأنت إذا أنت. فكتب أبو أيوب إلى معاوية: «[أما بعد فإنك كتبت إلي]: لا تنسى الشيباء ـ وقال في هذا الحديث: الشيباء: الشمطاء ـ ثكل ولدها، ولا أبا عذرتها. فضربتها مثلاً بقتل عثمان. وما نحن وقتل عثمان؟! إن الذي تربص بعثمان وثبط يزيد بن أسد وأهل الشام في نصرته لأنت، وإن الذين قتلوه لغير الأنصار»!

وكتب في آخر كتابه:

لا توعدنا ابن حرب إننا بشر لا نبتغي ود ذي البغضاء من أحد
فاسعوا جميعاً بني الأحزاب كلكم لسنا نريد وِلاكم آخر الأبد
نحن الذين ضربنا الناس كلهم حتى استقاموا وكانوا عرضة الأود
والعام قصرك منا أن أقمت لنا ضرباً يزيِّل بين الروح والجسد

أمــا علي فــإنــا لــن نـفــارقه ما رقرق الآل في الدواية الجرد
إمــا تبــدلت منــا بعد نصرتنا ديــن الرســول أناســا ســاكني الجنــــــــــــــــــــــــــــــــد
لا يعــرفـــون أضل الله سعيهم إلا اتبــاعكم، يــا راعــي النقــد
فقد بغى الحق هضما شر ذي كلع واليحصبيون طرا بيضة البلد
ألا نــدافــع كفا دون صاحبها حــد الشــقــاق ولا أم ولا ولد

فلما أتى معاوية بكتاب أبي أيوب كسره(1).

ونقول:

إيضاحات:

المألكة: الرسالة.

النقد: جنس من الغنم قبيح الشكل، صغير الأرجل، يكون بالبحرين.

الأود: الإعوجاج.

فقع بقرقرة: الفقع ضرب من أردأ الكمأة. والقرقرة: أرض مطمئنة لينة.

بزها: سلبها.

---

(1) صفين للمنقري ص366 ـ 369 وبحار الأنوار ج32 ص501 و 502 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص43 ـ 45 والدرجات الرفيعة ص317 ـ 319.

عريسة الأسد: مأواه.

قصرك: أن تفعل كذا: أي قصاراك، وجهدك وغايتك، وآخر أمرك.

رقرق الماء: صبه رقيقاً. ورقرق الآل: تلألأ.

الآل: ما تراه في طرفي النهار، ويرتفع على الأرض حتى يصير كأنه بين الأرض والسماء. وهو غير السراب الذي تراه نصف النهار من اشتداد الحر، كالماء يلصق بالأرض. وقيل: الآل والسراب واحد.

الدواية: جليدة تعلو الهريسة واللبن ونحوه إذا ضربته الريح كغرقئ البيض.

الجرد: الفضاء الذي لا نبات له فيه.

بيضة البلد: الخامل الذليل. وبيضة البلد: واحده الذي يجتمع إليه ويقبل قوله، وحوزة كل شيء. فهو من الأضداد.

الجند ـ بفتح النون ـ: قرية في اليمن.

لماذا الإبهام؟!:

لقد كتب معاوية لأبي أيوب كلاماً لم يستطع أبو أيوب فهم المراد منه حتى استعان بأمير المؤمنين «عليه السلام»، ففسره له.

ولعل الذي دعا معاوية إلى اعتماد الإبهام في رسالته إلى أبي أيوب أنه كان يعرف أن أبا أيوب كان معروفاً بين الناس بأنه الرجل الذي نزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ضيفاً عليه حين هاجر من

مكة إلى المدينة. كما أنه كان رجلاً معروفاً بالدين والصلاح والإستقامة على طريق الحق، فلم يكن من مصلحة معاوية أن يجاهر بعداوته، وبغضه.

ولكن وجوده مع علي «عليه السلام» كان أيضاً مزعجاً لمعاوية، ولا سيما إذا كان وجوداً نشطاً وفاعلاً.. فكان يريد أن يبذل محاولة تهدف إلى مصادرة دوره، أو الحد من نشاطه على أقل تقدير.. إن لم يمكن إبعاده عنه، أو استقطاب حركته لصالحه.

فأراد أن يدخل إليه من باب التهديد والوعيد، والتخويف، لأنهم كانوا يستضعفون الأنصار، بالضرب على وتر القبلية، والإستعلاء عليهم بالسلطان، ومحاربتهم بالإقصاء والحرمان.. فلعل هذا التهديد يجعل أبا أيوب ـ إن لم يراجع حساباته ويتراجع ـ ينكفئ عن الظهور الإعلامي الفاقع والمؤثر.

وقد اختار لتهديده طريقة لا يفهمها الناس العاديون، لأن الإعلان بالتهديد من شأنه أن يلفت الأنظار إلى أبي أيوب، ويثير التساؤلات عن المبررات والأسباب، فكتب إليه رسالته المتقدمة، وهي: «لا تنسى شيباء أبا عذرتها، ولا قاتل بكرها».

يتهم الأنصار بقتل عثمان:

ولم يفهم أبو أيوب ما ترمي إليه هذه الرسالة، فلجأ إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» ليفسرها له.. فأوضح «عليه السلام» لأبي أيوب أن معاوية يريد برسالته هذه أن يتهم الأنصار بقتل عثمان. وإذا

كان أبو أيوب أنصارياً، فعليه أن يعلم أنه سيكون مطالباً بدم عثمان، فكيف إذا زاد على ذلك مناصرته لعلي «عليه السلام» على معاوية، الذي جاء يطلب بدم عثمان؟!

فإن مشاركته في هذه الحرب تعني تعميق ذلك الجرح الذي لا ينسى، كما لا تنسى البكر أبا عذرتها، ولا تنسى قاتل ولدها، فكيف إذا كان ذلك الولد بكرها؟!

عدد جيش علي ×:

وقد حدد زياد عدد جيش علي «عليه السلام» في صفين بسبعين ألفاً.. ونرى أنه يمكن الإعتماد على هذا الرقم، لأن زياداً هنا في مقام إظهار القوة، والتدليل على أنه يعيش السكينة والطمأنينة إلى أن تهديد معاوية لا قيمة له، لأن معاوية عاجز عن الوصول إليه بسبب هذا العدد الكبير من المقاتلين الواضعين أنفسهم في موضع الطاعة، والإستعداد للموت.

وبذلك يمكن استبعاد سائر الأقوال التي حاولت إعطاء أرقام أكبر من هذا الرقم.

بل قد يلوح في الخاطر: أن هذا الرقم أيضاً قد جاء أكبر من الواقع، لأنه في مقام رد التهديد، الذي قد يحمل معه رغبة في المبالغة، والزيادة التي لا تَحمِل على الإتهام بتعمد الكذب.

زياد مولى؟! أم عربي؟!:

وقد لفت نظرنا قول زياد: «أما والله لئن خلص الأمر إلي ليجدني أحمر ضرابا بالسيف».

والأحمر هو المولى، يعني أنه ليس عربياً.. وقد ذكرنا في هذا الكتاب بعض ما يرتبط بسياسة التمييز العنصري التي كرسها عمر بن الخطاب ـ: وقلنا: إن معاوية زعم أن هذه الحمراء (يعني الموالي) قد كثروا، وأنه يريد أن يقتل شطراً منهم.

وقد كفانا المنقري مؤونة الحديث عن هذا الأمر، بكلمته الساخرة التي أشار فيها إلى أن زياد كان مولى، ولكنه لما ادعاه معاوية صار عربياً منافياً (أي من عبد مناف). حيث زعم: أن أباه أبا سفيان قد زنى بأمه، فحملت به، فهو أخو معاوية من أبيه..

وهذا من المطاعن التي أخذها صلحاء الأمة وعلماؤها على معاوية، واعتبروها من موبقاته.. فإن حكم الإسلام هو أن الولد للفراش، وللعاهر الحجر، وأبو سفيان قد زنى بامرأة ذات زوج، فيفترض أن ينسب زياد لها ولزوجها عبيد، لا لأبي سفيان.

معاوية يهدد باستئصال الأنصار:

وقد هدد معاوية أبا أيوب باستئصال الأنصار، لأنهم قتلوا عثمان بزعمه.. والحقيقة هي: أن أمر عثمان لم يكن يهم معاوية، إلا بالمقدار الذي يتخذه ذريعة لأغراضه، فيهدد الناس به، ويجعل منه وسيلة

للطعن على مناوئيه، والذين يعترضون طريق وصوله إلى مآربه في السلطة..

والشاهد على ذلك: أن معاوية كان أول الخاذلين لعثمان، وقد منع جيش الشام الذي اقترب من المدينة من الوصول إليه لنجدته..

وقد عرف ذلك الناس عنه، وواجهوه به، كما قدمناه في بعض فصول هذا الكتاب، وصرح له أبو أيوب نفسه بذلك في الجواب الذي كتبه إليه، حيث قال له: «إن الذي تربص بعثمان، وثبط يزيد بن أسد وأهل الشام في نصرته لأنت».

ولكن معاوية كان يريد أن ينتقم من الأنصار، لا لأجل خذلانهم لعثمان، بل لأنهم كانوا ميالين لعلي «عليه السلام»، وقد نصروه في حروبه مع الناكثين، والقاسطين، والمارقين. وكان خيارهم وأبرارهم معه «عليه السلام» ضد أبي بكر وعمر وعثمان، يقرُّون بالفضل، والسابقة، والتقدم له على جميع مناوئيه، ويعتبرونه مظلوماً، ومعتدى عليه.

وأما طرح اسم عثمان، فلأنه كان قد أصبح هو عدة الشغل، والوسيلة التي يعتمد عليها الطامعون والطامحون لتحقيق ما يصبون إليه..

متى كان التهديد؟!:

وقد أظهرت أبيات معاوية التي كتبها في أسفل كتابه إلى أبي أيوب: أن هذا الكتاب قد كتب قبل قتل ذي الكلاع. ولذلك افتخر به

معاوية مقابل أبي أيوب، فقال:

قـد أبـدل الله منكم خير ذي كلع   واليحصبـيـيـن أهـل الحـق فـي الجند

أبو أيوب تحت لواء يزيد:

بقي علينا أن نشير هنا إلى أمر مهم، تمسك به أهل الريب لتأييد باطلهم، فقد قالوا: إن أبا أيوب كان صحابياً جليلاً فاضلاً، معروفاً بالإستقامة والتقوى، ولكنه بعد استشهاد أمير المؤمنين «عليه السلام» رضي بمعاوية قائداً وإماماً له، حيث حارب تحت لوائه، بل حارب تحت لواء يزيد بن معاوية «لعنه الله»، ومات في القسطنطينية في غزوة كان يزيد قائدها.

وهذا يدل على صلاح يزيد «لعنه الله»، فضلاً عن أبيه معاوية، ولا سيما مع الرواية عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» التي تقول ـ حسب نص ابن تيمية ـ عن ابن عمر: «أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم. وأول جيش غزاها كان أميره يزيد. قال ابن تيمية: والجيش عدد معين لا مطلق، وشمول المغفرة لآحاد هذا الجيش أقوى من شمول اللعنة لكل واحد واحد من الظالمين، فإن هذا أخص والجيش معينون.

ويقال: إن يزيد إنما غزا القسطنطينية لأجل هذا الحديث.

ونحن نعلم أن أكثر المسلمين لا بد لهم من ظلم، فإن فتح هذا الباب ساغ أن يلعن أكثر موتى المسلمين، والله تعالى أمر بالصلاة

على موتى المسلمين، ولم يأمر بلعنتهم».

وقال: «فمن أين يعلم الإنسان أن يزيد أو غيره من الظلمة لم يتب؟! أو لم تكن له حسنات ماحية تمحو ظلمه؟! ولم يبتل بمصائب تكفر عنه»؟![1].

ونجيب:

أولاً: إننا لم نجد النص الذي رواه ابن تيمية عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما بين أيدينا من نصوص، ولكننا وجدنا ما رواه عبادة بن الصامت عن زوجته أم حرام عن النبي «صلى الله عليه وآله»: أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا [أو كالملوك على الأسرة].

قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله، أنا منهم؟!

قال: أنت منهم.

ثم قال: وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم.

فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟!

قال: لا[2].

---

(1) منهاج السنة ج4 ص571 و 572.

(2) كنز العمال ج4 ص301 وج11 ص125 ومسند أحمد ج6 ص423 والموطأ ص309 وصحيح مسلم ج3 ص1518 و 1520 وراجع: الإصابة ج4 ص441 وحلية الأولياء ج2 ص62 وصفة الصفوة ج2

وحسب نص آخر عنها: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: رأيت أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا.

فقالت: يا رسول الله، ادع الله لي أن أكون منهم.

قال: اللهم اجعلها منهم.

ثم عاد فضحك، فقلت: ما الذي أضحكك؟!

فقال: أول جيش من أمتي يرابطون مدينة قيصر مغفور لهم(1).

ولا شيء يدل على أن يزيد كان أول غاز لمدينة قيصر، ولا يوجد ما يدل على أن جيشه أول جيش ركب البحر.

ونوضح ذلك كما يلي:

1 - بالنسبة لركوب البحر، نقول:

لقد ركب البحر أناس قبل يزيد. ومنهم الذين قاموا بغزوة الصواري، التي كانت سنة إحدى وثلاثين.. حيث خرج قسطنطين في خمس مئة، أو ست مئة مركب، وخرج المسلمون في مراكبهم، وقرَّب

ص70 وأسد الغابة ج6 ص317 عن البخاري، كتاب الجهاد، باب ما قيل في قتال الروم (ط دار العلم - بيروت سنة 1407 هـ ق) ج2 ص450 وتاريخ مدينة دمشق ج70 ص210 - 215 وفي بعض نصوصه: أن ذلك تكرر ثلاث مرات.

(1) تاريخ مدينة دمشق ج10 ص92 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج4 ص455 عنه.

الروم سفنهم، وربطوا بعضها ببعض، واقتتلوا بالسيوف والخناجر، وانهزم قسطنطين جريحاً، ولم ينج من الروم إلا الشريد(1).

كما أن بسر بن أبي أرطأة قد غزا البحر في سنة 44 هـ(2).

وغزا يزيد بن شجرة الرهاوي في البحر فشتا بأهل الشأم.

وغزا عقبة بن عامر البحر بأهل مصر(3).

وغزا مالك بن هبيرة البحر أيضاً(4).

وهناك غزوات أخرى للبحر، فراجع(5).

---

(1) الكامل في التاريخ ج3 ص117 و 118 وراجع ص148 و (ط دار صادر) ج3 ص440 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص288 و 290 و 291 و 292 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص161 وتهذيب الكمال ج4 ص61 والإصابة ج1 ص422.

(2) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص231 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص173 والكامل في التاريخ ج3 ص458 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج3 ص9.

(3) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص231 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص173 والكامل في التاريخ ج3 ص457 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج3 ص9.

(4) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص231.

(5) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص232 و 234 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص173 و 174.

2 ـ بالنسبة للمرابطة في مدينة قيصر، أو غزو مدينة قيصر، نقول:

لقد سبق الآخرون يزيد إلى ذلك أيضاً، فقد ذكروا: أنه في سنة 43 هـ غزا بسر بن أبي أرطأة الروم، وشتا بأرضهم حتى بلغ القسطنطينية كما زعم الواقدي. وأنكر ذلك قوم من أهل الأخبار، وقالوا: لم يشت بسر بأرض الروم قط(1).

وليس ثمة ما يمنع من احتمال أن يكون أهل الأخبار أرادوا بهذا النفي حفظ هذه الفضيلة ليزيد، فضحوا بالواقدي كرمى لعيني قاتل الإمام الحسين «عليه السلام»، وهادم الكعبة، ومستبيح مدينة الرسول «صلى الله عليه وآله»..

وذكروا في حوادث سنة 42 هـ: أن المسلمين في هذه السنة غزوا اللان، وغزوا الروم أيضاً فهزموهم هزيمة منكرة، وقتلوا جماعة من بطارقتهم(2).

وشتا المسلمون بأرض الروم سنة اثنتين وأربعين وهو أول

(1) راجع: الكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج3 ص426 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص181 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص137 وتاريخ مدينة دمشق ج10 ص149.

(2) راجع: الكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج3 ص420 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص172 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص130 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص26.

مشتى شتوه بها(1).

وهكذا كان في سنة 45 هـ. فقد كان مشتى عبد الرحمن بن خالد بأرض الروم(2).

وحصل نظير ذلك في سنة 46 هـ أيضاً(3).

ثم في سنة 47 هـ و 48 هـ و 49هـ(4).

ثانياً: كانت وفاة أم حرام سنة سبع وعشرين.. وهي المرة الأولى التي ركب فيها المسلمون البحر، ثم كانت المرة الثانية التي ركبوا فيها البحر في سنة ثمان وعشرين(5).

---

(1) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج5 ص224

(2) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص226 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص170 وتاريخ خليفة بن خياط ص156 وتاريخ مدينة دمشق ج34 ص329 و 330 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص239.

(3) راجع: الكامل في التاريخ ج3 ص453 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص227 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص171 وتاريخ مدينة دمشق ج16 ص163.

(4) راجع: الكامل في التاريخ ج3 ص457 و 458 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص229 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص173.

(5) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج70 ص218 و 219 وراجع: تهذيب الكمال ج22 ص455 و (ط مؤسسة الرسالة) ج35 ص340 والإصابة ج4 ص441 وتاريخ خليفة بن خياط ص116 وفتوح البلدان ج1

قال أبو عمر: وذلك في إمارة معاوية، وخلافة عثمان(1).

ثالثاً: زعم ابن تيمية: قيام احتمال أن يكون يزيد بن معاوية قد تاب.

ونقول:

ألف: إن جرائم يزيد مشهورة ومتيقنة، وتوبته محتملة احتمالاً تشهد الأحداث ببطلانه، ولا يرفع اليد عن اليقين بالشك.

ب: هل للمرتد عن فطرة توبة، فإن يزيد قد أعلن ارتداده بتمثله بشعر ابن الزبعرى..

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

فكيف يمكن إثبات عودته إلى الإسلام بعد هذا؟!

ج: لا يحتاج يزيد إلى التوبة في منطق ابن تيمية، فإنه زعم أن يزيد لم يكن يريد إهانة الكعبة، بل كان يريد قتل ابن الزبير مع أنه لا شيء يسوغ له قتل ابن الزبير ولا غيره في الكعبة.. بل غاية ما هناك أن يضيق عليه حتى يضطر للخروج.

ص181والبداية والنهاية ج6 ص249 وج8 ص87 وإمتاع الأسماع ج12 ص215.

(1) راجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج4 ص443 و (ط دار الجيل) ج4 ص1931 والإصابة ج4 ص441 وتهذيب الكمال ج35 ص339.

كما أن ابن تيمية قد زعم: أن ابن زياد هو الذي قتل الإمام الحسين «عليه السلام»..

وأن ما جرى على أهل المدينة في وقعة الحرة كان بسبب أهل المدينة أنفسهم، فهم الذين تمردوا عليه، وخلعوا طاعته، وقد أنذرهم بالعودة مرة بعد أخرى(1).. فلماذا يحتاج يزيد إلى التوبة؟!

وهكذا يقال بالنسبة لاحتمال حدوث مصائب ليزيد تكفر ذنوبه، إذ أي ذنب اقترفه يزيد ـ عند ابن تيمية ـ لكي يمحى بالمصائب المكفرة؟!

وهل تكفر المصائب قتل الأنبياء وأوصيائهم، وهدم الكعبة، واستباحة المدينة بالقتل وهتك الأعراض؟!

وهل تكفر المصائب الإرتداد عن الإسلام وإنكار الوحي: فلا خبر جاء ولا وحي نزل؟!

رابعاً: قوله: ويقال: إن يزيد إنما غزا القسطنطينية لأجل حديث «أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم». فمن أين ثبت له ذلك؟! بل لا يمكن تصديق هذا عنه، فقد ذكروا: أن معاوية أغزى ولده يزيد إلى الطوانة. ولكن يزيد رفض الخروج إلى بلاد الروم مع سفيان بن عوف بالرغم من أمر أبيه له بذلك، بل تثاقل واعتل، فأمسك عنه أبوه.

وفي نص آخر: فأصاب الناس في غزاتهم جوع (لعل الصحيح:

---

(1) منهاج السنة ج4 ص472 و 517 و 577 و 775 و 576.

موم) ومرض شديد، فأنشأ يزيد يقول:

مـــا إن أبالي بمـا لاقت جموعهم بالفرقدونة من حمى ومن موم
إذا اتكـأت عـلى الأنماط مرتفقا بـديــــر مــــران عنــدي أم كلثوم

وأم كلثوم امرأته، وهي ابنة عبد الله بن عامر.

فبلغ معاوية شعره، فأقسم عليه ليلحقن بسفيان في أرض الروم، ليصيبه ما أصاب الناس، فسار ومعه جمع كثير أضافهم إليه أبوه الخ..[1].

وهذا يدل على أن يزيد لم يكن في أول جيش، لأن جيش سفيان بن عوف قد سبقه، وتخلف هو عنه.

وقد أصيب ذلك الجيش بمرض الجدري وهو في تلك الأرض.. فوصلت أخباره إلى يزيد ومعاوية في الشام.. فقال يزيد ذلك الشعر، فحمله أبوه على المسير قسراً وجبراً. فما معنى قول ابن تيمية: إن يزيد إنما سار في تلك الغزوة من أجل هذا الحديث؟!

وكيف يكون قد نال المغفرة لكونه كان في أول جيش سار إلى

(1) راجع: الكامل في التاريخ ج3 ص458 و 459 وراجع: مختصر تاريخ دمشق ج28 ص24 وتاريخ مدينة دمشق ج65 ص405 و 406 وج70 ص259 و 260 ومعجم البلدان ج4 ص188 و 189 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص229.

القسطنطينية، وقد سار قبله إليها جيش سفيان بن عوف، وجيش بسر بن أبي أرطأة، وغيرهما؟!

خامساً: إنهم يروون عن الرسول «صلى الله عليه وآله»: أن أهل بدر مغفور لهم(1)، ويقولون: إن عبد الله بن أبي كان رأس المنافقين،

(1) راجع: صحيح البخاري (ط سنة 1309هـ) ج2 ص110 وج3 ص39 و 129 و (ط مشكول) كتاب المغازي، غزوة بدر وج9 ص23 وفتح الباري ج6 ص100 وج8 ص486 وج7 ص237 عن أحمد، وأبي داود، وابن أبي شيبة، والبداية والنهاية ج4 ص284 وج3 ص328 عن الخمسة، ما عدا ابن ماجة، ومجمع الزوائد ج8 ص303 وج9 ص303 و 304 وج6 ص162 و 163 عن أحمد، وأبي يعلى، والبزار، وحياة الصحابة ج2 ص463 و 364 عن بعض من تقدم، والسيرة الحلبية ج2 ص203 و 192 ومجمع البيان ج9 ص269 و 270 وتفسير القمي ج2 ص361 والإرشاد للمفيد ص33 و 34 و 69 وصحيح مسلم (ط دار إحياء التراث العربي) ج4 ص1941 والمغازي ج2 ص797 و 798 وأسباب النزول ص239 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص47 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص58 وج17 ص266 وسنن أبي داود ج3 ص44 و 45 و 48 والتبيان للطوسي ج9 ص296 وأسد الغابة ج1 ص361 والدر المنثور ج6 ص203 وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص93 و 439 و 440 والسنن الكبرى للبيهقي ج9 ص146 والسيرة النبوية لابن هشام ج4 ص39 و 41 ودلائل النبوة للبيهقي ج2 ص421 و 422 والجامع الصحيح ج5 ص409 و 410 ومسند الشافعي ص316 والطبقات الكبرى لابن سعد ج2 ص97 وتفسير فرات

مع أنه شهد بدراً أيضاً(1). كما أنه قد بايع بيعة الرضوان، ولم يقتصر الأمر عليه، بل شمل جميع المنافقين إلا الجد بن قيس، فهل يدخل المنافقون الجنة أيضاً؟! أو هل رضي الله عن المنافقين؟!

ص183 و 184 ولسان العرب ج4 ص557 والمبسوط للشيخ الطوسي ج2 ص15 وتاريخ الأمم والملوك ج3 ص48 و 49 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص143 و 144 وكنز العمال ج17 ص59 وتهذيب تاريخ دمشق ج6 ص371 وبحار الأنوار (ط بيروت) ج72 ص388 وج21 ص125 و 119 و 120 و 136 و 137 و (ط حجرية) ج8 ص643 عن إرشاد المفيد، وإعلام الورى، وتفسير القمي، وتفسير فرات، وعون المعبود ج7 ص310 و 313 والدرجات الرفيعة ص336 وزاد المعاد ج3 ص115 وعمدة القاري ج14 ص254 وتاريخ الخميس ج2 ص79 وترتيب مسند الشافعي ج1 ص197 والمحلى لابن حزم ج7 ص333 والجامع لأحكام القرآن ج18 ص50 و 51 وأحكام القرآن للجصاص ج5 ص325 وجامع البيان ج28 ص38 -40 والكامل في التاريخ ج2 ص242 وكشف الغمة ج1 ص180 والإصابة ج1 ص300 والبرهان في تفسير القرآن ج4 ص323 والإعتصام بحبل الله المتين ج5 ص500 و 501 والصافي (تفسير) ج5 ص161 ونهج السعادة ج4 ص28 ومعجم البلدان ج2 ص335 والمواهب اللدنية ج1 ص149 وبهجة المحافل ج1 ص188 و 400. وعن المصنف لابن أبي شيبة ج15 ص69، وعن تفسير الثعالبي ج4 ص289 وعن منهاج البراعة ج5 ص106.

(1) السيرة الحلبية ج1 ص335 وراجع: تقوية الإيمان لابن عقيل ص63.

إن الحقيقة هي: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما يتحدث في أمثال هذه المواضع عن المؤمنين دون سواهم، ولا يتحدث عن قتلة الأوصياء، ومنكري النبي «صلى الله عليه وآله»، وهادمي الكعبة، ومستبيحي الأنفس والأعراض.

فما قاله لا يشمل ابن أبي ولا يزيد، ولا أضرابهما.

سادساً: بالنسبة لقول ابن تيمية: إن أكثر المسلمين لا بد لهم من ظلم، فإن فتح هذا الباب ساغ أن يلعن أكثر موتى المسلمين، نقول:

لقد قال تعالى في قرآنه الكريم: **(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)**[(1)].

فقد أمرنا الله تعالى بلعنهم ما داموا مصرين على فعلهم، ولم تظهرمنهم التوبة، فإذا تابوا في أنفسهم، فالله يتوب عليهم، والمؤمنون يجوز لهم لعنهم ما داموا لم تظهر لهم توبتهم. ويزيد قد ظهر منه ما يؤكد عدم توبته، فإنه لم يرتدع عن مواصلة ارتكابه لأعظم الجرائم.. الواحدة تلو الأخرى إلى أن مات.. فاحتمال أنه قد تاب لا ينفعه بمقتضى هذه الآية.. لا سيما وأن بعض ذنوبه لا تنفع معه التوبة كما قلنا أيضاً. كالإرتداد عن فطرة.

(1) الآيتان 159 و 160 من سورة البقرة.

سابعاً: إن ابن عساكر وغيره يذكرون نفس هذا الحديث الذي ذكره ابن الأثير، ولكنهم يقولون: إن معاوية قد أغزى ولده يزيد، فأقام بدير سمعان، وتلك غزوة الطوانة، فأصابهم موم (وهو وباء الجدري)، فقال البيتين المتقدمين.

فقال معاوية: لا جرم والله، لتخرجن، وليصيبنك ما أصابهم[1].

ودير سمعان ـ قرب دمشق. وليس هو الذي بظاهر إنطاكية، بقرينة رواية الأغاني وأنساب الأشراف للشعر المتقدم، وفيه قوله: «بدير مران» بدل «دير سمعان»، ومران بالشام قرب دمشق، ينسب إليها دير[2].

والطوانة: بلد بثغور المصيصة.

ثامناً: من الذي يستطيع أن يضمن صحة الحديث عن أول جيش يركب البحر، أو يغزو قيصر أو القسطنطينية، وهو لم يرو إلا من طريق المناوئين لعلي وشيعته، والمؤيدين لأعدائه، مع العلم بأن قادة تلك الجيوش هم من أمثال عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وبسر بن أبي أرطأة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ويزيد بن معاوية، والكل

---

(1) راجع: مختصر تاريخ دمشق ج28 ص23 و 24 ونسب قريش لمصعب ص129 و 130 وراجع: الأغاني ج17 ص210 وأنساب الأشراف ج5 ص303 و 393 باختلاف. وتاريخ مدينة دمشق ج70 ص259 و 260 و (ط دار الفكر) ج65 ص405 و 406.

(2) مراصد الإطلاع ج3 ص1251 ومعجم البلدان ج5 ص95.

يعلم ما ارتكبه هؤلاء من جرائم ومآثم في حق هذا الدين، وأهله، وحماته.. وفي حق الأبرياء، بل لم يسلم حتى الأطفال من بطشهم، ومن الذبح بسيوفهم.

تاسعاً: إن تلك الجيوش التي ركبت البحر، وغزت هذه البلاد، أو تلك لم تكن بإمرة أئمة العدل، ولم يؤذن لها منهم في شن الحروب، بل كانت بزعامة القاسطين، والفئة الباغية التي تدعو الناس إلى النار كما صرح به «صلى الله عليه وآله» فيما قاله عمار.. فالقتال تحت راية هؤلاء الظلمة لا مبرر له، وقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن القتال مع غير الإمام المفروض طاعته حرام، مثل الميتة، والدم، ولحم الخنزير[1].. فكيف تصح الرواية عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بأن تلك الجيوش مغفور لها؟!

وقد سئل الفضل بن شاذان عن أبي أيوب، وقتاله مع معاوية المشركين، فقال: كان ذلك منه قلة فقه وغفلة، ظن أنه إنما يعمل عملاً لنفسه، يقوي به الإسلام، ويوهي به الشرك، وليس عليه من معاوية شيء، كان معه، أولم يكن؟![2].

---

(1) الكافي ج5 ص23 و 27 وتهذيب الأحكام ج6 ص134 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص45 و (الإسلامية) ج11 ص32 وبحار الأنوار ج58 ص239.

(2) إختيار معرفة الرجال ص37 و 38 و (رجال الكشي) ج1 ص178 والدرجات الرفيعة ص320.

أي أن أبا أيوب لم يذهب معهم ليكون تحت أمرهم، ويعمل بقيادتهم، بل ذهب على سبيل الإستقلال بنفسه، ورغبة في الدفاع عن دينه.

على أن من الجائز أن يكون «رحمه الله» قد استأذن من الإمام الحسن أو الحسين «عليهما السلام» في خروجه لهذا الوجه. وإن كان ذلك لا شاهد له فيما بين أيدينا من النصوص.

عاشراً: كيف يمكن أن يحكم «صلى الله عليه وآله» لهؤلاء بالمغفرة، وهم من أعوان أناس حكم النبي «صلى الله عليه وآله» لهم بالنار، وأخبر عن محاربتهم للدين، وأهله، وعن أنهم بغاة معتدون وظالمون، وأخبر أيضاً عن قتلهم لأبناء الأنبياء، والأوصياء. وعن أنهم قاسطون، وعن أنهم هم الشجرة الملعونة في القرآن، وغير ذلك.

هل شهد أبو أيوب صفين؟!:

ومن أجل حفظ ماء وجه لمعاوية بن أبي سفيان ـ قدر الإمكان ـ وماء وجه سائر الطلقاء الذين حاربوا أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلاحظ أن ثمة اهتماماً بالغاً في تقليل عدد الصحابة الذين حضروا مع علي «عليه السلام» في حروبه، وحاربوا أعداءه.

وقد جاء دور أبي أيوب هنا أيضاً، فقد أنكر الحكم بن عتيبة (عيينة) أن يكون أبو أيوب قد شهد صفين مع علي «عليه السلام»[1].

---

(1) راجع: مختصر تاريخ دمشق ج7 ص340 والمصنف لابن أبي شيبة ج8

بل زعموا: أن علياً «عليه السلام» استخلفه على المدينة لما خرج إلى العراق، ثم لحق به بعد، وشهد معه قتال الخوارج(1).

مع أنهم يروون: أن أبا أيوب عوتب على قتاله المسلمين في الجمل وصفين، وأنه لم يزل واضعاً سيفه على عاتقه، ويتنقل من حرب إلى حرب، فقال لهم: إن النبي عهد إليهم: أن يقاتلوا الناكثين، فقد قاتلهم، والقاسطين، فهذا وجهه إليهم، والمارقين، وهو لم يرهم بعد(2). أو نحو ذلك.

وصرح أبو عمر: بأن أبا أيوب شهد مع علي «عليه السلام»

ص729 وراجع: تاريخ بغداد ج1 ص153 و 154 و (ط دار الكتب العلمية) ج1 ص165 ورجال بحر العلوم ج2 ص318 - 324 والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج4 ص6 و (ط دار الجيل) ج4 ص1606 وأسد الغابة ج5 ص143 وتاريخ مدينة دمشق ج16 ص53 وبغية الطلب لابن العديم ج7 ص3032 وراجع: سير أعلام النبلاء ج2 ص410 وتاريخ خليفة بن خياط ص148.

(1) الإصابة ج1 ص405 و (ط دار الكتب العلمية) ج2 ص200 ومختصر تاريخ دمشق ج7 ص340 ورجال الكشي ص37 وتنقيح المقال ج25 ص110 وتاريخ مدينة دمشق ج16 ص42 وتاريخ بغداد ج1 ص153.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج16 ص53 و 54 وسير أعلام النبلاء ج1 ص410 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص352 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص207 وبحار الأنوار ج32 ص308 والدرجات الرفيعة ص316.

مشاهده كلها، وروى ذلك عن الكلبي وابن إسحاق(1).

وقال ابن العديم تعليقاً على قول الحكم بن عتيبة:

«كذا قال الحكم. والصحيح أنه شهدها مع علي «رضي الله عنه». وأكثر الحفاظ والأئمة على ذلك»(2).

---

(1) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج4 ص6 و (ط دار الجيل) ج2 ص425 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص112 والدرجات الرفيعة ص315 وأسد الغابة ج2 ص81 وشرح مسند أبي حنيفة للقاري ص237 و 238 وأسد الغابة ج2 ص81.

(2) بغية الطلب ج7 ص3033.

الباب الثامن

الحرب مستمرة..

الفصل الأول: لمحات من صفين..

الفصل الثاني: طائفة من أحداث صفين..

الفصل الثالث: وقفات مع الفصل السابق..

الفصل الرابع: أحداث لها مغزاها..

الفصل الأول:

لمحات من صفين..

لمحات من قتال صفين:

روى نصر، قال: ذكر عمر، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبيه، عن أبي سليمان الحضرمي ـ وكان حضرها أبو سليمان مع علي ـ: أن الفيلقين التقيا بصفين، واضطربوا بالسيوف ليس معهم غيرها إلى نصف الليل.

روى نصر، قال عمر: وحدثني مجالد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي وكان علي مقدمة على، قال: شهدت مع علي بصفين، فاقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليال، حتى تكسرت الرماح، ونفدت السهام، ثم صرنا إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل، حتى صرنا نحن وأهل الشام في اليوم الثالث يعانق بعضنا بعضاً.

وقد قاتلت ليلتئذ بجميع السلاح، فلم يبق شيء من السلاح إلا قاتلت به، حتى تحاثينا بالتراب، وتكادمنا [بالأفواه]، حتى صرنا قياما ينظر بعضنا إلى بعض، ما يستطيع واحد من الفريقين ينهض إلى صاحبه ولا يقاتل.

فلما كان نصف الليل من الليلة الثالثة انحاز معاوية وخيله من الصف، وغلب علي «عليه السلام» على القتلى في تلك الليلة، وأقبل على أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» وأصحابه فدفنهم، وقد قتل كثير منهم، وقتل من أصحاب معاوية أكثر، وقتل فيهم تلك الليلة شمر بن أبرهة، وقتل عامة من أصحاب علي يومئذ(1).

أراه يعني علياً ×:

قال نصر: وحدثنا عمر بن سعد، عن الشعبي قال: ذكر معاوية يوماً صفين بعد عام الجماعة وتسليم الحسن «عليه السلام» الأمر إليه، فقال للوليد بن عقبة: أي بني عمك كان أفضل يوم صفين يا وليد، عند وقدان الحرب، واستشاطة لظاها، حين قاتلت الرجال على الأحساب؟!

قال: «كلهم قد وصل كنفتها، عند انتشار وقعتها، حتى ابتلت أثباج الرجال، من الجريال، بكل لدن عسال، وكل عضب قصال».

ثم قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: «أما والله، لقد رأيتنا يوماً من الأيام وقد غشينا ثعبان مثل الطود الأرعن، قد أثار قسطلاً حال بيننا وبين الأفق، وهو على أدهم شائل، يضربهم بسيفه ضرب غرائب الإبل، كاشراً عن أنيابه، كشر المخْدِرِ الحَرِبِ».

فقال معاوية: والله إنه كان يجالد ويقاتل عن ترة له وعليه. أراه

(1) صفين للمنقري ص369 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص45 و 46.

يعني علياً(1).

إيضاحات:

الكنفة: جانب الشيء.

الأثباج: ما بين الكاهل إلى الظهر.

الجريال: صبغ أحمر.

عسال: الرمح يهتز ليناً.

قصال: قطاع.

قسطلاً: غباراً ساطعاً.

الطود الأرعن: الجبل الطويل، أو الجبل الذي له أنف يتقدمه.

شائل: رافع ذنبه.

غرائب الإبل: الغارب ما بين السنام والعنق.

المخدر ـ بتسكين الخاء وكسر الدال ـ: الأسد يلزم الخدر.

الحرب ـ بكسر الراء ـ: الشديد الغضب.

ابن جعفر موكل بالخيل:

روى نصر، عن عمر بن سعد، عن محمد بن إسحاق، عن عبد

(1) صفين للمنقري ص387 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص52 و 53.

الملك بن عبد الله، عن ابن أبي شقيق، أن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين كان يحمل على الخيل بصفين، إذ جاء رجل من خزيمة فقال: هل من فرس؟!

قال: نعم، خذ أي الخيل شئت.

فلما ولى قال ابن جعفر: إن يصب أفضل الخيل يقتل.

قال: فما عتم أن أخذ أفضل الخيل فركبه، وحمل على الذي دعاه إلى البراز، فقتله الشامي[1].

قالوا: وحمل غلامان من الأنصار جميعاً أخوان، حتى انتهيا إلى سرادق معاوية، فقتلا عنده[2].

صولات وجولات:

وأقبلت الكتائب بعضها نحو بعض، فاقتتلت قياما في الركب، لا يسمع السامع إلا وقع السيوف على البيض والدرق.

[قال ابن أعثم: ثم صاح عبد الله بن جعفر ذي الجناحين بالناس، فاجتمع إليه زهاء ألف رجل، فحمل وحملت الناس معه حتى خالطوا أهل الشام، وأقبلت الكتائب بعضها على بعض، فاقتتل الناس قتالاً

---

(1) صفين للمنقري ص373 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص49 وبحار الأنوار ج32 ص503.

(2) صفين للمنقري ص373 و 374 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص52 و 53.

شديداً، فقتل يومئذ من أهل الشام خلق كثير، فقال عمرو بن العاص:[(1)].

أجئتم إلينا تسفكون دماءنا وما رمتم وعر من الأمر أعسر
لعمري لما فيه يكون حجاجنا إلى الله أدهى لو عقلتم وأنكر
تعاورتم ضرباً بكل مهند إذا شد وردان تقدم قنبر(2)

أشعار قيلت في صفين:

وقال أبو شريح الخزاعي:

يا رب قاتل كل من يريدنا وكد إلهي كل من يكيدنا
حتى يرى معتدلاً عمودنا إن علياً لَلَذي يقودنا
وهو الذي بفقهه يؤودنا عن قحم الفتنة إذ تريدنا(3)

وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي:

ألا أبلغ معاوية بن حرب أمالك لا تنيب إلى الصواب

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص52 و 53.
(2) صفين للمنقري ص374 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص53 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص49.
(3) صفين للمنقري ص382 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص147.

أكـل الـدهــر مرجوس لغير(1) تحـارب مـن يقـوم لـدى الكتـاب
فــإن تـســلـم وتبقى الدهر يوما نــزرك بجحفـل شـبـه الهضــاب
يــقــودهـم الـوصي إلـيك حتى يــردك عــن عوائــك وارتيــاب
وإلا فـالـتي جــربــت مـنــا لــكـم ضرب المهند بالذؤاب(2)

وقال رجل من كلب مع معاوية، يهجو أهل العراق ويوبخهم [وسماه ابن أعثم: يزيد بن زياد]:

لــقــد ضــلـت معاشر من نزار إذا انقــادوا لمثـل أبــي تــراب
وإنـــهــم وبــيــعــتــهـم علياً كواشــمة التغضــن بالخضــاب
تــزيــن مــن سـفـاهتها يديها وتـحـسـر بــالـيدين عن النقاب

الأبيات.

فحمل عليه الأشتر، فقتله(3).

وقد ذكر في الفتوح: أن أبا جهيمة الأسدي، وهو من أصحاب علي «عليه السلام» قد هجا كعب بن جعيل، الذي كان من أصحاب معاوية، فظن أن النجاشي هجاه.

فبرز كعب إلى الميدان، وطلب النجاشي إلى البراز.

---

(1) كذا في المصدر. ولعل الصحيح: نغير، أي حاقد.
(2) صفين للمنقري ص382.
(3) صفين للمنقري ص375 و 376 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص53 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص50.

فخرج النجاشي وهويقول:

اربــع قـليــلاً فـأنـا الـنجاشي من سرو كعب لست من رقاش
أخـو حـروب في ربـاط الجأش لســت أبيــع الــدين بالمعــاش
أنصـر خـير راكـب ومــاشي ذاك علــــي بــــيِّن الريــــاش
بيـت قـريش ليس من حواشي الـــــــــــــــخ..

ثم حمل عليه النجاشي، فطعنه طعنة ما زال منها وقيذاً.

ورجع النجاشي إلى موضعه، وهو يقول:

إني إخــال عليــاً غيـر مـرتدع حتـى يـؤدى كتـاب الله والـذمم
حـتى تـرى النقع معصوباً بلمته نـقــع القبــائــل، فـي عرنينـه شمم

الأبيات(1).

وقال أبو حبة بن غزية الأنصاري، واسمه عمرو، وهو الذي عقر الجمل، فقال بصفين:

ســـائــل حليلة معبد عن فعلنا وحليلــة اللخمــي وابــن كــلاع
واســأل عبيـد الله عن أرماحنا لمـــا ثـــوى متجــدلاً بالقـــاع
واســأل مـعــاويــة المولي هاربا والخيـل تعدو وهـي جـد سـراع
مـــاذا يـخـبـرك الـمخبر منهم عنـــا وعــنهم عنـد كـل وقـــاع

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص51 و 52 وراجع: صفين ص362 و 180 و 372 مع اختلاف في نسبة الأبيات.

إن يصـدقــوك يـخـبـروك بأننا أهل الندى قدما مجيبوا الـداعي
نـدعـو إلى التقوى ونرعى أهلها برعايـة المـأمون لا المضـياع
إن يـصـدقــوك يـخـبـروك بـأننا نحمـي الحقيقـة عنـد كـل مصـاع
ونــســن للأعداء كــل مثقف لــدن وكــل مشطب قطاع[1]

وقال عدي بن حاتم بصفين:

أقــول لـمـا أن رأيـت الـمعمعه واجتمـع الجنـدان وسط البلقعه
هـذا علي والـهـدى حـقـاً مـعــه يــا رب فاحفظــه ولا تضــيعه
فــإنــه يـخـشــاك ربـي فارفعه ومــــــــن أراد عـيـبـــــــه
فـضـعـضـعـه

[زاد ابن أعثم:

إذا رامـــه بــالبغي منــه فـاقمعه واسـفك إلهــي دمــه وجعجعــه
صهر النبي الـمصطفى قد طاوعه أول مــن بــايعــه وتــابـعـــه
نحن نصــرنـــاه على مـن نازعه

ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه[2]]

وقال عمرو بن الحمق الخزاعي:

---

(1) صفين للمنقري ص379 و 380 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص123 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص270.
(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص179 وراجع: صفين للمنقري ص380 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص51 والدرجات الرفيعة ص357 و 358.

**تقــول عــرسي لما أن رأت أرقي	ماذا يهيجك من أصحاب صفينا**
**ألســت في عصبة يهدي الإله بهم	لا يظلمــون ولا بغيــاً يريــدونا**
**فقـلـت إني على ما كان من سَدَرٍ	أخشى عواقب أمر سوف يأتينا**
**إدالـــة القــوم في أمر يراد بنا	فــاقـــنى حيــاء وكفـــي مـــا تقولينا(1)**

وقال حجر بن عدي الكندي:

**يــا ربـنـــا سـلـم لنا علياً	ســـلم لنـــا المهـــذب النقيـــا**
**الـمـؤمـن المسترشد الـمرضيا	واجعلــه هـــادي أمـــة مهـــديا**
**لا أخــطـل الـرأي ولا غـبـيـــا	واحفظــه ربـــي حفظــك النبيـــا**
**فـإنـــه كـــان لـــه ولـيـــا	ثـم ارتــضـاه بــعـده وصيا(2)**

ونقول:

إيضاحات:

يؤودنا: يعطفنا ويمنعنا من الوقوع في المهالك.

القحم: المصاعب، والأسواء.

مرجوس: الرجس القذر، والمأثم. المرجوس: المختلط الملتبس.

الذؤابة: الناصية، أو منبتها من الرأس، وذؤابة كل شيء أعلاه.

---

(1) صفين للمنقري ص381 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص51 و 52 والدرجات الرفيعة ص432.
(2) صفين للمنقري 381 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص146.

السدر: التحير.

مصاع: مخوف ومفزع. وصاع القوم حمل بعضهم على بعض.

ابن جعفر يحمل على الخيل:

يستفاد من النص المتقدم: أن عبد الله بن جعفر كان يعطي المقاتلين خيلاً ليقاتلوا عليها. فدل ذلك على أن مجموعة منها كانت قد أعدت لهذا الفرض، فيستفيد منها من لم يكن قد اصطحب إلى المعركة ما يستفيد منه في القتال..

والظاهر: أن إعداد هذه الخيل كان من الأمور التي فرضت نفسها على من بيدهم أزِمَّة الأمور في وقت مبكر.. ولا نريد أن نرجع ذلك إلى عهد سليمان «على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام».. فقد قال تعالى: **(إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ)**(1).

بل نكتفي بالتذكير بما ألمح إليه القرآن الكريم مما كان في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث يقول: **(وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ..)**(2).

---

(1) الآيات 31 - 33 من سورة ص.

(2) الآية 92 من سورة التوبة.

وقال تعالى: (**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ..**)(1).

فالناس الذين لم يكن لديهم ظهر يخرجون عليه إلى الجهاد في سبيل الله كانوا يأتون إلى الرسول «صلى الله عليه وآله»، ويطلبون منه أن يوفر لهم ظهراً يحملهم عليه. وذلك يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» كان بصدد تهيئة ذلك ليستفاد منه في موقع الحاجة.. وقد أصبح من هموم السلطة. ومن مهماتها إعداد كل ما يحتاج إليه المقاتلون إما من خلال تبرعات المحسنين، الذين كانوا يجعلون من أموالهم خيولاً، وغيرها في سبيل الله، أو من خلال ما يتوفر من ذلك في بيت المال.

وكان الحاكم والإمام يوظف مسؤولاً عن حفظ هذه الإمكانات، والإستفادة منها بالنحو المطلوب.

إن يصب أفضل الخيل يقتل:

ولم نستطع أن نعرف المبررات التي اعتمد عليها عبد الله بن جعفر في تفرسه حين قال عن ذلك الرجل: إن يصب أفضل الخيل يقتل، فسرعان ما تحقق ما تنبأ به.. إلا إن كان قد عرف من ظاهر حال ذلك الرجل: أنه لم يكن قد تمرس على الحرب على ظهر الخيل، إذ لو كان قد مارس ذلك لاقتنى فرساً، ولكان جاء به معه

---

(1) الآية 60 من سورة الأنفال.

إلى الحرب، ولم يرض عنه بديلاً، لأنه يكون قد عرف طبائعه، ومدى حركته، وعرف كيفية التعاطي معه..

فإذا اختار ـ والحال هذه ـ فرساً من كرائم الخيل، وخيارها، فإنه إذا أعطاها مداها، فسوف يفقد السيطرة عليها، وتكون هي التي تأخذه حيث شاءت، وربما تقتحم به على الأعداء، وتربكه حركتها وسرعتها، وسينشغل بضبط حركتها عن التحرز من سيوف الأعداء ورماحهم. فضلاً عن أن يتمكن من ممارسة فنون الحرب معهم.

وأما إن اختار فرساً عادياً، فإنه سيكون أبطأ حركة، وسيتحرك بتحريكه.. وذلك أضمن له، وأدعى لسلامته.

أجئتم إلينا تسفكون دماءنا؟!:

وتقدم: أن عمرو بن العاص حين رأى كثرة من قتل من أهل الشام، قال في شعره:

أجئتم إلينا تسفكون دماءنا؟!

ثم ذكر أن هذا من موجبات تعقيد الأمور حين تكون الشكوى إلى الله، ولا بد أن يدلي كل بحجته على ما أتاه، حيث سيكون الأمر أدهى وأنكر..

وهذا من مكر عمرو بن العاص، فإنه يريد بكلامه هذا خداع الناس، وإيهامهم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي قصدهم بالحرب، وأثارها ضدهم، وجاء من بلاد العراق إلى بلادهم ليسفك

دماءهم.

وأن يوهم الناس أيضاً.. بأن لدى القاسطين الخارجين على إمامهم حجة صالحة سوف يحتجون بها عند الله تعالى.

وبذلك لا يبقى مجال للقول بأن القاسطين بغاة، يتعمدون الباطل.

بالفقه يحميهم:

وقد لفت نظرنا قول أبي شريح الخزاعي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»:

«وهو الذي بفقهه يؤودنا عن قحم الفتنة إذ تريدنا»

فقد تعودنا أن نرى الناس يلجأون إلى من يحميهم من الفتن بموقفه، أو بقوته العسكرية، أو بسياساته وتدابيره، وبما يعطيه لهذا، ويدفع به ذاك، وما إلى ذلك..

ولكن أبا شريح يقول: إن علياً «عليه السلام» يحميهم بعلمه وبفقهه، وهذه حالة من الوعي تتميز عما سواها، وقد شاعت وذاعت وانتشرت حتى بلغت هذا الخزاعي، وأصبحت جزءاً من تفكيره، ومن طموحه، ومن حياته. وصارت حركته العفوية، وعروس شعره التي يتغنى بها، ويمنحها عاطفته، وتطيف بخياله.

كما أنه قد لفت نظرنا صوغه للكلام بنحو أظهر: أنه وفريقه الذي يتحدث عنه، لا يسعون إلى الفتنة، ولا يسهمون في صنعها، ولا يفكرون بها، وليس لهم سبيل إليها.. بل الفتنة هي التي تبحث عنهم

لتوقعهم في حبائلها.. فبورك هذا الوعي الرائد، وحيهلاً بهذا الوضوح، ومرحى بهذه الروح، وسقياً لهذا الطموح.

هذا هو علي ×:

وإذا تأملنا في هذه المقطوعات اليسيرة التي قالها عدد من الأشخاص، فسنجد أنها تعطي صورة فريدة لأمير المؤمنين «عليه السلام»، فهو «عليه السلام» حسب قولهم:

1 ـ الفقيه في دين الله، الذي وظف فقهه في صيانة الناس من الوقوع في الفتن، كما قاله أبو شريح الخزاعي.

2 ـ وهو وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله». كما قاله عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي.. وكما سيأتي في قول حجر بن عدي.

3 ـ وهو يتصدى للمبطلين ليردهم عن ريبهم، وعن باطلهم.

4 ـ وهو الذي يكافح الذين يحاربون أهل الحق، والملتزمين بكتاب الله. كما قاله الأسلمي أيضاً..

5 ـ إنه «عليه السلام» خير راكب وماش. كما قاله النجاشي.

6 ـ إنه كما قال النجاشي أيضاً: ظاهر الأمر، ومن أعلى بيوت قريش.. وليس من حواشي الناس.

7 ـ إنه «عليه السلام» لا يتراجع عن مقارعة الباطل وأهله. بل يرى لزاماً عليه أن يحفظ كتاب الله، ويؤدي ما في ذمته تاماً غير منقوص كما قاله النجاشي.

8 - إنه «عليه السلام» من أهل العزة والشمم، ومن أهل الكرامة والشهامة. وهذا ماقاله النجاشي أيضاً.

9 - إنه كما قال ابن غزية الأنصاري المأمون على الدين والدنيا وليس مضياعاً لما يجب عليه حفظه..

10 - كما أنه قد أخذ على عاتقه، أن يرعى الدعاة إلى التقوى، وأن يحفظ أهلها، والملتزمين بها، والمحامين عن الحقيقة، كما قال أبوغزية أيضاً.

11 - إنه «عليه السلام» مع الحق و ـ كما قال عدي بن حاتم ـ الحق معه..

12 - إنه يخشى الله..

13 - إنه صهرالنبي «صلى الله عليه وآله»..

14 - وهو المطيع لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

15 - وأول من أسلم وتابع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

16 - وأول من بايع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

17 - من أجل هذا كله، فإن هؤلاء الأصحاب:

أولاً: يدعون الله سبحانه له:

ألف: بالحفظ، وعدم التضييع له.

ب: إنهم يدعون الله بأن يرفعه.

ج: أن يضعضع من أراد عيبه والإنتقاص منه «عليه السلام».

د: أن يسفك دم من بغى عليه.

ثانياً: إن هذا هو الذي دعا هؤلاء الأصحاب إلى نصرته «عليه السلام» على من نازعه.

18 - يصف حجر بن عدي علياً «عليه السلام» بالمهذب.

19 - إنه النقي.

20 - وهو المؤمن.

21 - المسترشد.

22 - إنه المرضي.

23 - إن حجراً يدعو الله تعالى أيضاً:

ألف: أن يجعله «عليه السلام» هادياً.

ب: أن يجعله مهدياً.

ج: أن لا يجعله أخطل الرأي.

د: أن لا يجعله غبياً.

هـ: أن يحفظه على حد حفظه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنه كان له ولياً.

أصحاب علي × وأصحاب أعدائه:

وقد وصفت الأبيات المتقدمة بالرغم من قلتها أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، ووصفت حال أعدائه ومناوئيه كما يلي:

أولاً: إنها وصفت حال أصحاب علي «عليه السلام» كما يلي:

1 - إنـهم لا يبيعون دينـهم بالدنيا.. كما ورد في كلام النجاشي.

2 - إنـهم ينصرون إمامهم.

3 - إنـهم أهل الندى منذ القدم.

4 - إنـهم يجيبون الداعي.

5 - إنـهم يدعون للتقوى.

6 - إنـهم يرعون أهل التقوى برعايةإمامهم المأمون..

7 - إنـهم شديدون على أعدائهم.

8 - إنـهم عصبة يهدي الإله بهم.

9 - إنـهم لا يظلمون أحداً..

10 - إنـهم لايريدون البغي.

11 - إنـهم يفتخرون بقيادة علي «عليه السلام» لهم..

ثانياً: إنها وصفت حال أعدائه «عليه السلام» بما يلي:

1 - إن معاوية لا ينيب إلى الصواب.

2 - إنه مرجوس في دهره كله.

3 - إنه يحارب حليف كتاب الله.

4 - إنه يكثر من إصدار الأصوات، دون أن يفصح عن مراده. وهذا هو معنى العواء الوارد في أبيات عبد الرحمن بن ذؤيب.

5 - إنه فيما يبدو حاقد على الدوام.

6 - إنه من أهل الريب.

7 - إنه يهرب عند اللقاء.

8 - إنه وجماعته، في موقع البغي على أمير المؤمنين «عليه السلام».

9 - إنهم يريدون تنقص وعيب إمامهم.

أراد أن يذم علياً × فمدحه:

والتأمل في شعر يزيد بن أبي زياد يعطي: أنه أراد أن يذم علياً «عليه السلام» فمدحه.. فهو قد نعى على الذين انقادوا لعلي «عليه السلام» أنهم قد بايعوه..

ولكنه جعل بيعتهم علياً «عليه السلام» بمنزلة الخضاب الذي هو زينة وجمال. على جسد فيه تجاعيد، وتثنيات جلدية، لا ينفع الخضاب معها، وأنهم بمثابة امرأة تزين يديها بالخضاب، وتكشف النقاب عن وجهها المتجعد، والمتغضن من الكبر.

وبذلك يكون هذا الرجل قد ذم الناس أنفسهم، بأنهم ليسوا أهلاً لأن يكون رعية لعلي «عليه السلام»، وقرر أن العيب فيهم لا في علي «عليه السلام»، لأنه اعتبر علياً «عليه السلام» زينة، وخضاباً، ووشماً، ولكنه قد وضع في موضع لا يناسبه..

ولكن هذا الذي ذكرناه لا يبرئ يزيد بن زياد من سوء السريرة، واللؤم، وخبث الباطن. إذ لو وجد موضعاً لذم أمير المؤمنين «عليه السلام» لبادر إليه، ولكن أين وأنى له أن يجد مغمزاً في أوصياء

الأنبياء، وخير راكب وماش فوق الغبراء، ولا أحد سواه نفس النبي «صلى الله عليه وآله» تحت أديم السماء.

الحسّ الإصلاحي لدى أصحاب علي ×:

إن الشعر المتقدم عن ابن غزية الأنصاري وعمرو بن الحمق، وحجر بن عدي، وعدي بن حاتم، يعطي الإنطباع بأن لدى أصحاب علي «عليه السلام» حسَّاً إصلاحياً قوياً، وعارماً، ومتنامياً. وأنهم يفكرون بهداية الناس، وبرعايتهم، وتدبير شؤونهم، وحل مشاكلهم، ومساعدة من يحتاج إلى المساعدة منهم. ومحاربة الظلم والبغي. وأن الذي وطَّد علاقتهم بعلي أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنه الفقيه المأمون، والهادي، والمهدي، وصاحب الرأي الصائب، والمهذب، والتقي والرضي والمرضي.. وما إلى ذلك من صفات.

بل هم يرون أنه يمثل فيهم هدي الإيمان، وأصالة الإسلام، ونقاء وبهاء التقوى.. ويرون أن حفظه فيهم حفظ لخط النبوة الأصيل في الوصي والكفيل.

هلكت العرب:

وقال الأحنف بن قيس التميمي بصفين وهو مع علي: هلكت العرب!

فقال له أصحابه: وإن غَلَبنا أبا بحر؟!

قال: نعم.

قالوا: وإن غَلَبنا؟!

قال: نعم.

قالوا: والله ما جعلت لنا مخرجاً.

قال الأحنف: إن غَلَبنا لم نترك بها رئيساً إلا ضربنا عنقه، وإن غُلِبنا لم يعرج [بعدها] رئيس عن معصية الله أبداً(1).

ونقول:

أولاً: إن كان الأحنف يقصد بكلامه هذا أن الحكم الشرعي في البغاة على الإمام هو قتل المقبل والمدبر منهم، إن كانت له فئة يرجع إليها.. فهو صحيح في نفسه، ولكن لماذا خص الكلام بقتل رؤساء العرب، فإن هذا الحكم يشمل كل باغ على الإمام، وكل أسير ومهزوم، إذا كانت له فئة يرجع إليها..

وإن كان يقصد أن طبيعة علي «عليه السلام» هي طبيعة إنتقامية شرسة، تحب سفك الدماء، فإن الوقائع تكذب هذه المزاعم وتدحضها، وتثبت أن كل همِّ علي «عليه السلام» هو إخماد النار التي أثارها أهل الباطل. وما جرى في حرب الجمل يشهد على هذه الحقيقة.

ثانياً: من أين علم الأحنف أن الغلبة إن كانت لعلي «عليه السلام» على أعدائه سوف تكون بحيث يبقى للمغلوبين فئة يرجعون إليها.. فلعل الأمر ينتهي بنصر كاسح له، كما جرى في

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص387 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص52.

حرب الجمل.. ويكون قراره «عليه السلام» هو أن يسار فيهم بالمن والكف.. ولذا لم يقتل «عليه السلام» أياً من الرؤساء في حرب الجمل، بالرغم من أنهم كانوا في يده. بل تكرم وعفا.

ثالثاً: لماذا جعل قتل رؤساء العرب نتيجة لانتصار علي «عليه السلام».. وحين تكلم عن غلبة الفريق الآخر.. سكت عن التصريح بأن ذلك الفريق سيعمد لقتل خيار الأمة، وأبرارها، وعلماءها.. ويبقي على فجارها وأشرارها.

إلا إذا كان الأحنف يرى أن جميع الرؤساء هم من الفجار والأشرار الذين لا يتورعون عن معصية الله سبحانه.

وفي جميع الأحوال نقول:

إن هذه الكلمة تسيء إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، وتظهره على غير حقيقته، وتدفع الناس للتفرق عنه، والإشتباه في نواياه..

فهي إن لم تكن مكذوبة على الأحنف، لا بد أن تثير تساؤلات كبيرة حول موقف الأحنف وصحة نواياه.

حمزة بن عتبة.. وابن العاص:

ثم إن معاوية أرسل عمرو بن العاص في خيل عظيمة، فلقيه حمزة بن عتبة بن أبي وقاص، فقاتله حمزة، وجعل حمزة يطعن بالرمح ويقول:

مــاذا يــرجّى مــن رئيس ملا لســــت بفـــرار ولا زُمَّـــيْلا

في قـومــه مسـتبــدلاً مـدلا قـد سـئـم الـحـيـاة واستملا
وكــل أغــراض لــه تـمــلا

وذلك عند غروب الشمس.

وقال حمزة أيضاً:

دعــاني عمــرو للقــاء فلم أُقِلْ وأي جـواد لا يقــال لــه هنــي
وولى على طِـرْفٍ يـجـول بِشِكَّةٍ مقلَّصــة أحشــاؤه لـيس ينثنــي
فـلـو أدركـتـه البيض تحت لوائه لغـودر مجـدولا تعـاوره القنـي
علـيـه نـجـيـع مـن دمـاء تنوشه قشــاعم شـهب فـي السباسـب تجتني

ورجع عمرو إلى معاوية فحدثه فقال: لقد لقيت اليوم رجلاً [هو] خليق أن تدرسه الخيل بسنابكها، أو تذريه في مداركها، كدوس الحصرم. وهو ضعيف الكبد، شديد البطش، يتلمظ تلمظ الشمطاء المفجَّعة، فأتاه غمر ـ فقال ـ إذ به عندنا والله ضرب كضرب القدار، مرن الشراسيف، بالشفار الواقع، تشمص له النشوز في سراعيف الخيل، فحمل عليه فدخل تحت بطن فرسه، فطعنه حتى جدله عن فرسه، وجاء أصحابه، فحملوه، فعاش ثلاثة أيام ثم مات.

وهو الذي جعل معاوية ابنه على عطائه.

وقتل حمزة يوم التليل المنفرد(1).

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص377 و 378.

ونقول:

إيضاحات:

الزُمّيل ـ بضم الزاي، وتشديد الميم ـ: الضعيف الجبان الرذل..

تملى العيش: استمتع به طويلاً.

أُقل: من الإقالة، وهي قبول تراجع الطرف الآخر.

هني: أي يا هني. أراد أن كل جواد يستدعى ويطلب.

الطِّرف: الفرس الكريم الأبوين.

الشِّكَّة: السلاح.

القني: الرماح.

مجدولاً: مطروحاً.

القشاعم: جمع قشعم، وهو النسر. والأسد.

السباسب: الأرض المستوية البعيدة.

السنابك: أطراف الحوافر.

مدارك الخيل: أعضاؤها التي توجب سرعة حركتها لحاقها بما تطلبه.

التلمظ: التذوق، وتتبع بقايا الطعام بطرف اللسان.

الشمطاء: التي خالط بياض شعرها سواده.

المفجَّعة: المتوجعة بالمصاب.

الغَمْر: الجاهل الأبله. ومن لم يجرب الأمور.

القدار: الجزار.

الشراسيف: غضروف معلق بكل ضلع، مثل غضروف الكتف.

تشمص له: أي تتقبض وترتفع، والشموص من الخيل الشموس، وهي التي تمنع ظهرها من أن يركب.

النَّشوز ـ بتشديد النون المفتوحة ـ: كثيرة الإمتناع، والمستعصية.

سراعيف: جمع سرعوف: كل ناعم خفيف اللحم. والفرس الطويل.

ابن العاص: فاشل في الحرب:

لقد أظهر عمرو بن العاص في العديد من جولاته أنه لا يملك الشجاعة التي تجعله في مصاف الفرسان الذين يحسب لهم حساب، وإنما كان يستفيد من القوات التي تكون تحت أمرته.. أما ما جرى له مع علي «عليه السلام» فإنما فرض عليه فرضاً، فكان أقصى ما لديه أنه قد خلص نفسه بطريقة جلبت له الخزي والعار إلى يوم القيامة.

من أجل ذلك نقول:

إننا لم نتفاجأ بفرار عمرو بن العاص أمام حمزة بن عتبة بن أبي وقاص.. فإن الفرار له عادة، ولكن الذي فاجأنا هو الرعب الذي هيمن عليه، حتى سكن قَلْبَه وكل وجوده، كما أظهرته كلماته، التي وصف بها لمعاوية حال حمزة.. وحيث طفح عليها من حقد، ودلت على

عظيم لؤمه وخسَّته، وهو يحرِّض معاوية على البطش بحمزة الذي كان جريحاً، ولم يلبث ثلاثة أيام حتى مات.

ولو كانت لدى ابن العاص نفحة شجاعة، لاستتبعت ذرة من شهامة، وأريحيةٍ ونخوة، ولكانت شجاعته قد منحته بعض الغنى في نفسه..

ولكننا وجدنا عمرواً مفعماً باللؤم والحقد والرذالة.. كما دلت عليه الأوصاف والكلمات التي أفرغها على حمزة الجريح، ولكن لا بسلاح عمرو، وإنما بسلاح غادر آخر، تسلل إلى حمزة من تحت بطن فرسه كما تقدم على لسان ابن العاص نفسه.

عامة من معي يعصيني:

وجاء عدي بن حاتم يلتمس علياً، ما يطأ إلا على إنسان ميت، أو قدم، أو ساعد. فوجده تحت رايات بكر بن وائل، فقال: يا أمير المؤمنين، ألا نقوم حتى نموت؟!

فقال علي «عليه السلام»: ادنه.

فدنا حتى وضع أذنه عند أنفه، فقال: ويحك، إن عامة من معي يعصيني، وإن معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه(1).

ونقول:

(1) صفين للمنقري ص379 وبحار الأنوار ج32 ص503 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص77 . والدرجات الرفيعة ص357.

إن التأمل في كلمة أمير المؤمنين «عليه السلام» هنا، وملاحظة كثير مما أشرنا إليه في هذا الكتاب يدعونا لتسجيل ما يلي:

قد ظهر أن أهل العراق قد تلمسوا في أمير المؤمنين «عليه السلام» كل صفات الخير والصلاح، والتقوى، والبر، والعلم، والشجاعة، والإستقامة، بل هم قد تلمسوا فيه ما هو أعلى وأجل وأعلى من ذلك.. حتى صاروا يرون فيه امتداداً لهدى النبوة، وتجسيداً لكل صفات الإنسان الرسالي في أعلى درجات تجلياتها.. وكلماتهم وخطبهم، وأشعارهم تشهد على ذلك، فقد طفحت بهذه المعاني، حتى ليكاد من يرتاد مغانيها، ويتأمل في معانيها، ويمعن النظر في مقاصدها وإشاراتها ومراميها يكاد لا يتوقع سواها، ولا أن يصادف ما عداها.

ولكن ذلك لا يعني أن من معه «عليه السلام» قد أصبحوا موطنين أنفسهم على طاعته، والإنقياد التام له «عليه السلام»، فإن الناس بشر تؤثر عليهم أهواؤهم، وتهيمن عليهم ميولهم، وتأسرهم طموحاتهم، وأطماعهم، ولهم أنفس أمَّارة، وأنفس لوَّامة، وفيهم البر والفاجر.. والعاصي والمطيع.. والعالم والجاهل، والقوي والضعيف.

والدني والشريف، والرفيع والوضيع، والجبان والشجاع، وما إلى ذلك. هذا من جهة الناس..

ومن جهة أخرى، فإن الناس، وإن كانوا يدركون كل هذه المحاسن والمزايا في أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولكن الإدراك

بمجرده، لا يكفي للالتزام، لأن الالتزام يحتاج إلى حوافز ومقوّمات أخرى. لا نرى أنها متوفرة..

فهو يحتاج إلى تحول الإدراك إلى إيمان، وهو عقد قلب، ورضى، وتبن، واحتضان، وتسليم..

وإلى أن يفعل هذا الإيمان فعله، فيحول الالتزام إلى ضمير ووجدان، وحركة عفوية. وانسياب في الوجود، والكيان كله، ليصبح الكلمة والحركة، والسلوك، والموقف. ثم إلى التضحية والفداء، الذي هو نتيجة الشعور، الذي ترفده العواطف، وتتفاعل به الأحاسيس، والمشاعر..

وهذا ما لم يكن قد حصل إلا لدى القلة القليلة جداً من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»..

يضاف إلى ذلك: أن جميع أصحابه «عليه السلام» كانوا يعرفون أنه «عليه السلام» لا يمكن أن يسمح لهم بأية مخالفة شرعية مهما كانت، ولن يمنحهم أي امتياز لا يستحقونه، وسوف يجري عليهم، وفيهم أحكام الله تعالى، كما يجريها على غيرهم. ولا شك في أن هذا الأمر يضايقهم، ويجعلهم يطمحون بأنظارهم إلى معاوية، الذي لا يمنعهم من التعدي على الحرمات، ولا يحجزهم عن المعاصي، بل هو يشاركهم في ارتكاب المآثم، ويشجعهم على الفجور والظلم، والتعدي على الحقوق، ولا يهتم لإخلالهم بما عليهم من واجبات..

وهم يعلمون أيضاً: أن علياً «عليه السلام» لا يعاقبهم إذا

عصوه، ولا يحملهم على طاعته إذا خالفوه، بل هو يعاملهم وفق أحكام الشرع الشريف.

ولذلك كان يكفيهم تحاشي ثبوت أية مخالفة صريحة للشرع توجب عقوبتهم. ولا يهتمون باسترضاء خاطر علي «عليه السلام»، ولا يتحاشون إغضابه ولا يسعون لإرضائه، لأن إغضابه لا يستتبعه عقاب يتوقعونه، وإرضاؤه لا يجلب لهم منافع لا يستحقونها.. وقد روي عن الإمام السجاد «عليه السلام» أنه دعا مملوكه مرتين، فلم يجبه، ثم أجابه في الثالثة، فقال: يا بني، أما سمعت صوتي؟!

قال: بلى.

قال: فما بالك لم تجبني؟!

قال: أمنتك.

قال: الحمد لله الذي جعل مملوكي آمناً مني[1].

---

(1) بحار الأنوار ج46 ص56 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص296 وإعلام الورى ص154 والإرشاد ص274 وتاريخ مدينة دمشق ج41 ص387 وكشف الغمة ج2 ص299 ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (ط دار الفكر) ج17 ص240 وشرح الأخبار ج3 ص260 والسمير المهذب (ط دار الكتب العلمية سية 1399هـ. بيروت) ج1 ص81 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج28 ص67 ومشكاة الأنوار ص312 وأعيان الشيعة ج1 ص633.

أما إرضاء معاوية، والتزلف إليه، فيجلب لهم العطايا والهبات، والمنافع والصلات، وربما نالوا به الولايات والمقامات.

أما إغضابه، ومعصية أوامره، فربما جلب لهم المصائب والويلات وأوجب لهم الحرمان من أي خير مدى الحياة..

فهذا الأمن من العقوبة هنا، وذلك الخوف من البطش هناك، ثم الإنسياق مع الأهواء، وطاعة النفس الأمارة بالسوء، هو السبب في أن عامة من كان مع علي «عليه السلام» يعصيه، ولا يطيعه، وعامة من كان مع معاوية يطيعه، ولا يعصيه، كما قال «عليه السلام»..

علي × في أرجوزة أبي زيد:

وقال أبو زبيد الطائي يمدح علياً «عليه السلام» ويذكر بأسه:

إن علياً ساد بالتكرم — والحلم عند غاية التحلُّم
هداه ربي للصراط الأقوم — بأخذه الحل وترك المحرم
كالليث عند اللبوات الضيغم — يرضعن أشبالا ولما تفطم
فهو يحمِّي غيرة ويحتمي — عبل الذراعين كريه شدقم
مجوف الجوف نبيل المحزم — نهد كعادي البناء المبهم
يزدجر الوحي بصوت أعجم — تسمع بعد الزبر والتقحم
منه إذا حش له ترمرم(1) — مندلق الوقع جري المقدم
ليث الليوث في الصدام مصدم — وكهمس الليل مِصكٍّ مِلدَمِ

---

(1) كذا في المصدر.

عَفْروسِ آجام عقار الأقدم كَرَوَّسٍ الذِّفْرى أغمٍّ مِكْدَم
ذو جبهة غرا وأنف أخثم يكنى من البأس أبا محطِّم
قسورة النطر صفي شَجْعَمِ صم صمات صَلْخَدٍ صلدِّم
مصمَّت الصُّم صَموت سَرْطَمِ إذا رأته الأسد لم تُرَمرِم
من هيبة الموت ولم تُجَمْجِم رهبة مرهوب اللقاء ضيغم
مُجَرْمزٍ شان ضرار شيظم عند العراك كالفنيق الأعلم
يفري الكمي بالسلاح المعلم منه بأنياب ولما تقضم
ركن مماضيغ بلحيٍ سَلَجَمِ حامي الذمار وهو لما يكدم
ترى من الفَرْسِ به نضح الدم بالنحر والشدقين لون العندم
أغلب ما رضَّ الأنوف الرغم إذا الأسود أحجمت لم يحجم
إذا تناجى النفس قالت صمم غمغمة في جوفها المغمغم
أَغْضَفَ رِئبال خِدَبٍّ فَدْغَمِ منتشر العَرْفِ هضيم هَيْصَمِ(1)

إيضاحات:

الضيغم: الأسد.

عبل الذراعين: ضخمهما.

شدقم: واسع الشدق.

نبيل المحزم: أي أنه يشد حزامه على بطنه، وهو طاهر نبيل، لا

---

(1) صفين للمنقري ص389 و 390.

يأكل الحرام، ولا يمارس أي شيء غير لائق به.

نهد: مرتفع ومشرف.

عادي البناء: أي كأنه في بنائه المحكم والقوي يشبه قوم عاد..

يزدجر: يطرد، ويمنع.

الزَّبْر: الرمي بالحجر. والزِّبر: القوي الشديد.

حَشَّ له: حش النار أوقدها. والحرب أسعرها، وهيجها.

ترمرم: تحرك.

مندلق الوقع، الإندلاق: الهجوم والتقدم.

كهمس: من أسماء الأسد.

مصك: الصك: الضرب الشديد بشيء عريض. وصكت وجهها: لطمته.

ملدم: اللدم: اللطم على الخد ببسط اليد، واللكم: بقبض الكف.

عَفْروس: من أسماء الأسد. والعفرسة: الصرع والغلبة.

الآجام: جمع الجمع لأجمة. وهي الشجر الكثير الملتف.

عقار الأقدم: العقار: القاتل. والأقدم: الأسد.

كَرَوَّس: ضخم.

الذِفْرى: بكسر الذال وتشديده: عظم شاخص خلف الأذن.

أغم: الذي سال شعره فضاق وجهه وقفاه.

مكدم: الغليظ الشديد.

أختم الأنف: مدقوق الأنف

قسورة: شجاع.

النطر: الداهية، وحافظ الكرم..

الشجعم: الأسد

الصمة: من أسماء الأسد لشجاعته

صلخد: الشديد الماضي.

صلدم، كزبرج: الأسد. والصلب.

المصمّت: الذي لا جوف له.

سرطم: الواسع الحلق، السريع البلع.

تجمجم: جمجم الكلام لم يبينه.

مجرمز: متقبض ومجتمع.

شيظم: أسد. والطويل الجسيم الفتي.

الفنيق: الفحل المكرم. لا يحمل عليه، ولا يركب.

الأعلم: مشقوق الشفة العليا.

المماضيغ: الأضراس.

اللحي: عظم الحنك الذي عليه الأسنان.

سلجم: شديد.

الفَرس: بفتح الفاء، وإسكان الراء: الافتراس. وكسر عظم الرقبة حين الذبح، قبل أن تبرد الذبيحة.

العندم: دم الأخوين. وقيل: البقَّم.

الأغلب: الأسد.

أغضف الليل: أظلم واسودّ.

رئبال: الأسد: والذئب. وقيل: من تلده أمه وحده.

خدب: الشيخ. والعظيم. والرجل الضخم الطويل.

فدغم: الفدغم اللحيم الجسيم الطويل في عِظَمٍ.

هضيم: اللطيف الكشحين.

الهيصم: الغليظ الشديد الصلب..

بماذا ساد علي ×؟!:

جرت الأمور في المجتمعات العربية في تلك الفترة على أن للسيادة، والرياسة، والزعامة لأهل الدنيا، وسائل لإنتاجها. وأسباب لبقائها، مثل عامل الوراثة، حيث يرث هذا الزعيم زعامته عن أبيه، أو عن قريبه، وعامل المال، أو القوة والبطش، أو العصبية القبائلية التي تؤكد معنى القوة المستندة إلى الكثرات، أو من خلال الإمساك بمواقع حيوية، ومؤثرة، وذات حساسية عالية بالنسبة للناس في حياتهم العملية. لأنها تكرس معنى الإستئثار والتفرد الذي يعطي أفراداً، أو فئات معينة المزيد من القوة، التي تقتنص الفرص للبطش والإبتزاز، والعدوان على الضعفاء..

ولكن علياً «عليه السلام» الذي لا نظير لشجاعته في العرب، ولا

في العجم، لم تكن شجاعته هي التي منحته الرياسة والزعامة، فإنه وإن كان قد قتل أعظم فرسان العرب، وأشدهم شكيمة.. إلا أن ذلك قد جلب له البغض، والحقد القريشي، والعربي إلى أبعد مدى. وقد نابذوه وحاربوه بكل حيلة ووسيلة، وأقصوه عن كل ما أمكنهم إقصاؤه عنه، وسعوا إلى إخماد ذكره، وطمس آثاره، والتعمية على أخباره، فانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر عليه وشرب. على حد قوله «عليه السلام»..

كما أنه «عليه السلام» كان باب مدينة علم رسول الله «صلى الله عليه وآله». وكان حلال المشاكل للجميع، يكشف عنهم الكروب، ويخبرهم بالغيوب، ويكشف لهم عما في الضمائر والقلوب، فكان ذلك يزيد من حسد الناس له، ويؤجج حقدهم عليه.

وبالرغم من كل ما جرى عليه، فإن عظمته ورياسته «عليه السلام» كانت مستقرة في القلوب، متحفزة للظهور والوثوب في كل حين. وكان هو الذي يدافعها ويمانعها وينازعها.. حتى إنهم بعد قتل عثمان بقوا أياماً كثيرة يلاحقونه من بيت إلى بيت، ومن موضع إلى موضع، لحمله على القبول بالبيعة له خليفة وحاكماً، وهو يأبى ذلك.

فلما لم يجد بداً من القبول، وبويع له ظهر قائداً ورائداً، ورئيساً لا يبارى، وإماماً لا يجارى، فكان كطود شامخ، وجبل راسخ، لا يداري، ولا يماري، ولا تأخذه في الحق لومة لائم، وقد وفى للناس فيما قاله لهم:

«وأيم الله، لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته»[1].

فما هو سر هذه العظمة والكرامة، والرئاسة، والزعامة، وبماذا ساد الناس «عليه السلام»، ولماذا تواصل هذا الإكبار.. بالرغم من كل الجهود التي بذلتها قريش، وأتباعها، وأذنابها.. لإكفاء إنائه، وتصغير عظيم منزلته.

ونجيب:

أولاً: إننا نعتقد أنه «عليه السلام» الإمام المعصوم المسدد، والمنصور المؤيد من الله سبحانه.

ثانياً: إننا مع غض النظر عن ذلك، نقول: إن أسباب الاحترام، والتكريم، والتبجيل، والتعظيم عند الناس، والسيادة فيهم، وعليهم. لا تنحصر أسبابها بما ذكر آنفاً، بدليل: أن أبا طالب «عليه السلام» قد ساد فقيراً، فلم يكن «عليه السلام» قد وظف الرجال، ولا الأموال لانتاج هذه السيادة، ولا استفاد من الكثرات، ولا من العصبيات، أو من أي موقع حساس، يؤثر على الناس في حياتهم، أو معيشتهم، أو أمنهم. ولا غير ذلك.. بل سادهم بأخلاقه الرضية، وسجاياه الفاضلة، وحكمته وبصيرته. وإنصافه، وسائر أحواله..

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص200 والإرشاد للمفيد ج1 ص248 وبحار الأنوار ج32 ص77 و 114 و 220 ونهج السعادة ج1 ص240 و 250 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص233 وج7 ص114.

وهذا ما حصل أيضاً لأمير المؤمنين «عليه السلام» كما ذكره أبو زبيد الطائي في شعره المتقدم، حيث يقول:

إن علياً ساد بالتكرم والحلم عند غاية التحلم
هداه ربي للصراط الأقوم بأخذه الحل وترك المحرم

الأبيات..

فقد أدرك هذا الرجل أن سيادة علي «عليه السلام» لم تكن بشجاعته، ولا بقتله الأقران، بل كان ذلك من أسباب كره الناس له، وحقدهم عليه، كما أنه لم يسُد بالمال، ولا بكثرة العشيرة، ولا بوراثة السيادة والرئاسة عن غيره..

بل كانت سيادته بأخلاقه الفاضلة، وسماته الحميدة، ومزاياه الفريدة، وكرم نفسه، وظهور نبله، وسؤدده، وحلمه، وبطهارة ذاته، وابتعاده عن الآثام، واستقامته على طريق الخير والصلاح، والهدى والفلاح..

مجوف الجوف:

هذا.. وربما دل قول أبي زبيد: «مجوف الجوف» على أنه «عليه السلام» لم يكن بطيناً، بل كان إلى خلاف ذلك أقرب، أي أن بطنه ليست ظاهرة، بل لعلها تكاد تكون ملتصقة بظهره.. فإن تجويف الجوف على معنى أن له بطناً ذات تجويف.. ليس من المدح في شيء، بل هو أشبه بالهذيان، بما لا معنى له، ولا فائدة فيه.. وإنما يكون ثناء إذا قصد به ما يلتقي مع معنى خمص البطون من الطوى.

صفات علي ×:

ونحب أن نختم كلامنا عن هذه الأبيات بالإشارة إلى أنها تضمنت توصيفاً دقيقاً لبأس علي «عليه السلام»، وأشارت إلى تفاصيل، ولطائف، ودقائق، وظرائف مختلفة. وقد ذكر الأسد بأسمائه المختلفة حوالي اثني عشر مرة. حيث يلاحظ: أن كل اسم من أسمائه يشير إلى خصوصية فيه تختلف عما عداها..

وما نريد بيانه هنا، هو ما يلي:

إن عالم المادة غير منفصل تمام الإنفصال عن عالم النفس، والروح، والمشاعر، بل هو قريب منه، متأثر به، ومؤثر فيه، بنحو، أو بآخر.. وهناك بعض الرياضات التي يمارسها البعض، حتى من غير المسلمين، أو المؤمنين، قد أدت وتؤدي إلى ظهور بعض هذه الآثار..

ويذكر لبعض المرتاضين الهنود نصيب في هذا المجال. فإن بعضهم قد يمارس رياضة الوقوف على رجل واحدة أعواماً، أو رياضة الصوم عن بعض الأشياء المعينة، أو حمل شيء ثقيل، أو غير ذلك بهدف الحصول على بعض القدرات الروحية، فيتحقق له ما يريد، فربما تمكن من إيقاف حركة القطار بمجرد نظره إليه.. أو نحو ذلك مما قد يدعي بعض الناس أنه شاهده منهم..

كما أننا نعرف أن ما يعرف بإصابة العين مما يتكرر حصوله في مجتمعاتنا، ولا مجال لإنكاره، إلا من مكابر معاند..

وقد روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال: العين حق.. وجاء في القرآن الكريم، قوله تعالى: **(وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ)**(1)

والحقيقة هي: أن بعض الناس يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. فيتمنون زوال النعمة عنهم، وأن تصير إليهم.. وهذا هو الحسد المذموم، الذي يجب معالجته واقتلاعه من النفس.

وبعض الناس يرون النعمة على غيرهم، فيتمنون زوالها عن صاحبها على كل حال، ولو لم تصل إليهم، وهذا غاية اللؤم، فينظرون إليها بعين تدميرية مريضة، وبنفس ناقمة ولئيمة، فيحصل لهم ما يتمنونه، ويحيق التلف بتلك النعمة.. وهذا غاية اللؤم، وهي ما عناه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقوله: العين حق..

وهناك من يتمنى أن تبقى النعمة على غيره، وأن يعطيه الله تعالى مثلها، وهذه هي الغبطة.. وهناك ما هو أرقى من ذلك، وهو أن لا ترى النعمة على أخيك، فتتمنى حصوله عليها.. وهذا هو ما ورد الأمر به في مثل قوله: أحبب أخاك المسلم، واحبب له ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لنفسك..(2).

---

(1) الآية 51 من سورة القلم.

(2) الأمالي للصدوق ص401 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج12 ص210 وراجع ص205 و (الإسلامية) ج8 ص548 وراجع ص544 ومشكاة الأنوار ص156 و 312 وبحار الأنوار ج71 ص222 ومعجم المحاسن

أما الكاملون من الناس فهم يتمنون الخير للناس قبل أن يتمنوه لأنفسهم، وهناك ما هو أرقى من ذلك أيضاً، وهم الذين إذا حصلوا على شيء من النعم آثروا بها غيرهم على أنفسهم، فهم مصداق لقوله تعالى: **(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)**(1). وربما جاء هذا الإيثار بالضرر الكبير على المؤثر، كما لو أن إنساناً يؤثر عطشاناً بالماء، ثم يموت هو عطشاً، مع أن ذلك العطشان لم يكن العطش قد بلغ حداً خطيراً به..

وخلاصة ما نرمي إلى بيانه: أنه إذا كان بعض الناس من غير المؤمنين يتوصل بواسطة بعض الرياضات الروحية إلى أن يصير قادراً على التأثير في المادة سلباً أو إيجاباً.. لمجرد أن رياضته تلك قد جعلته يحصل على قوة من التأثير تكون مسانخة للصفة التي قوّاها برياضته، مع أن رياضته تلك قد تكون فاقدة للصلة بالله، بسبب كفره، أو فسقه.. فإن من يكون من أهل الإيمان والعمل الصالح، وقد مارس تصفية وتزكية نفسه في جهات مختلفة، فأنتج ذلك له قوة في روحه،

والمساوئ ص414 وراجع: الكافي للكليني ج2 ص169 والدعوات للراوندي ص226 والأمالي للطوسي ص98 وبحار الأنوار ج71 ص224 و 234 و 238 ومنية المريد ص333 .

(1) الآية 9 من سورة الحشر.

وصفاء في عمق وجوده، فحاز بسبب ذلك صفات تتناسب مع تلك التزكية والتربية.. وكان ذلك متمازجاً مع خصوصية الإتصال بالله، والإستمداد منه تعالى. فإنه سيصل إلى درجات قوة روحية عالية ومتميزة، ومؤثرة في المادة من حوله..

فكيف إذا كان هذا المؤمن هو سلمان الفارسي مثلاً، الذي قارب مقام الأئمة الأطهار في تصفية نفسه وتزكيتها، فمن الطبيعي أن يبلغ مقاماً قريباً منهم «عليه السلام» في التأثير في مجالات كثيرة تناسب حاله ومقامه، وجهده، الذي بلغ به حداً يقول عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: سلمان منا أهل البيت..

أما مقام النبوة والإمامة، فإنه أجلّ وأسمى، وأروع وأرقى، ولهم من الصفات الجميلة والجليلة أسماها وأسناها، وأعلاها وأغلاها، وأكملها وأتمها، وأوفاها.. فلا غرو أن يكون لأرواح وأنفس أصحاب هذا المقام تأثير تكويني في مختلف المجالات..

ويكفي أن نذكر القارئ الكريم هنا بالحديث القدسي الذي يقول: عبدي أطعني تكن مثلي، تقول للشيء: كن، فيكون[1].

(1) راجع: مستند الشيعة ج1 ص6 والإمام علي للهمداني ص362 والفوائد الرجالية لبحر العلوم ج1 ص29 وراجع: الفوائد العلية ج2 ص394 والجواهر السنية 361 وبحار الأنوار ج102 ص165 وشجرة طوبى ج1 ص33 ومشارق أنوار اليقين ص10.

فإن هذا يدل على أن الكمال في الصفات الذي يناله الطائعون بطاعاتهم يلازم التأثير التكويني في مختلف المجالات والاتجاهات.. وهذا واضح لا يخفى..

وبذلك يصبح فهم المسألة التي عرفت بـ: «الولاية التكوينية» ميسوراً بدرجة كبيرة، ويتضح أنه جار وفق السنن الطبيعية، وليس أمراً غريباً، ولا مستهجناً..

لأخرجن إليه ولو قتلني:

وروى نصر، عن رجل، عن محمد بن عتبة الكندي، قال: حدثني شيخ من حضرموت شهد مع علي «عليه السلام» صفين، فقال: كان منا رجل يدعى بهانئ بن نمر، وكان هو الليث النهد، فخرج إليه رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة، فلم يخرج إليه أحد، فقال: سبحان الله، ما يمنعكم أن يخرج منكم رجل إلى هذا؟! فلولا أني موعوك، وأني أجد لذلك ضعفاً [شديداً] لخرجت إليه.

فما رد عليه رجل من أصحابه شيئاً، فوثب، فقال أصحابه: سبحان الله تخرج وأنت موعوك؟!

قال: والله لأخرجن إليه، ولو قتلني.

فلما رآه عرفه، وإذا الرجل من قومه يقال له يعمر بن أسيد الحضرمي، وبينهما قرابة من قبل النساء، فقال له: يا هانئ ارجع، فإنه أن يخرج إلي غيرك أحب إلي، إني لست أريد قتلك.

قال له هانئ: ما خرجت إلا وأنا موطن نفسي على القتل، [لا والله، لأقاتلن اليوم حتى أقتل، ما أبالي قتلتني أنت، أو غيرك.

ثم مشى نحوه فقال: اللهم في سبيلك وسبيل رسولك، ونصراً لابن عم نبيك.

ثم اختلفا ضربتين، فقتل هانئ صاحبه، وشد أصحابه نحوه، وشد أصحاب هانئ نحوه.

ثم اقتتلوا وانفرجوا عن اثنين وثلاثين قتيلاً[1].

الليث النهد: النهد من أسماء الأسد، فإذا جعل وصفاً له كان المراد أنه ينهد إلى فريسته، ويصمد لها، ولا يتراجع.

ونقول:

1 ـ إن هذا الرجل قد فكر بصورة صحيحة، فإن من غير الجائز أن يترك ذلك الشامي الذي دعا إلى المبارزة يصول ويجول ويتحدى، فلا يخرج إليه أحد، لأن ذلك يلقي على الناس حالة من الفشل والخمود، والشعور بالضعف.. كما أنه يطمع الأعداء بهذه الجماعة الفاشلة، ويصير ذلك من موجبات تعرضها لأفدح الخسائر.

2 ـ إن خروج هذا الرجل ـ هاني بن نمر ـ وهو موعوك ويشعر بالضعف الشديد، يحمل معه مخاطر تعرضه للقتل على يد ذلك

---

(1) صفين للمنقري ص393 وبحار الأنوار ج32 ص507 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص56 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص496.

الفارس الذي كان في حالة حماس ونشاط.. وسيكون قتله انتكاسة أخرى لهذه الفئة.. ولكنها تبقى مجرد انتكاسه محدودة، لأن كل فارسين يلتقيان فإن احتمالات الغلبة لأي منهما تصير قائمة.. ولكن تبقى حقيقة أن المغلوب المقتول قد استطاع أن يكسر حاجز الرهبة بنفس خروجه إلى الميدان ماثلة للعيان..

3 ـ لو استجاب هاني لطلب ذلك الشامي منه بالرجوع، فإن رجوعه وإن كان قد ينجيه من القتل، ولكنه سيكون أكثر سوءاً، وأعظم ضرراً، لأنه سيمثل دليلاً حسياً على شدة الرعب الذي ينتابه وينتاب جماعته، وسيزيد ذلك من جرأة العدو، ومن حماسه للبطش بها.

4 ـ كما أن استجابته لطلب ذلك الشامي حفظاً لقرابته ستمثل إقراراً منه لذلك القريب بأن لديه من القوة والفروسية، ما يمكنه من التفوق عليه، والبطش به. ولا سيما بعد أن سمع الناس قول ذلك الشامي له: «إني لست أريد قتلك». فكان قراره «رحمه الله» باختيار الموت المحتم على الرجوع قراراً شجاعاً وصائباً، وينبئ عن إحساس بالمسؤولية واستعداد للتضحية بالنفس في سبيل حفظ الجماعة..

5 ـ قد أبطل «رحمه الله» مفعول تهديدات ذلك الشامي بإظهاره عدم المبالاة بالقتل، وأنه يصمم على الإستشهاد في سبيل الله سواء أتاه الموت منه أو من غيره.. فإن أقصى ما يمكن التخويف به هو القتل، وهذا الرجل هو الباحث عنه والساعي له.. فبماذا يخوفه ذلك الشامي

أو غيره؟!

6 ـ بل إن ذلك الشامي هو الذي أسقط في يده، وأصيب بالخذلان، وحلت به الكارثة.. وكان ذلك سبباً في زوال الرهبة عن أصحاب هاني، فخاضوا غمار الحرب بشجاعة وقوة.. كما أوضحه النص المذكور آنفاً..

7 ـ صرح هاني: بأن العامل والمحرك الأساس لطلبه الشهادة هو إخلاصه لله، ولرسوله، وابن عم رسوله.. فنصره الله على عدوه حين نصر هو الله..

الفصل الثاني:

طائفة من أحداث صفين..

أنانية عمرو بن العاص:

قال المنقري:

ثم إن علياً أمر الناس أن يحملوا على أهل الشام، فحملت خيل علي على صفوف أهل الشام، فقوضت صفوفهم.

قال عمرو يومئذ: على من هذا الرهج الساطع؟!

فقيل: على ابنيك عبد الله ومحمد.

فقال عمرو: يا وردان، قدم لواءك.

فتقدم. فأرسل إليه معاوية: «إنه ليس على ابنيك بأس، فلا تنقض الصف والزم موقعك».

فقال عمرو: هيهات، هيهات!

الليث يحمي شبليه   ما خيره بعد ابنيه

فتقدم [باللواء] فلقى الناس وهو يحمل، فأدركه رسول معاوية فقال: إنه ليس على ابنيك بأس فلا تحملن.

فقال له عمرو: قل له: إنك لم تلدهما، وإني أنا ولدتهما.

وبلغ مقدم الصفوف، فقال له الناس: مكانك، إنه ليس على ابنيك بأس، إنهما في مكان حريز.

فقال: أسمعوني أصواتهما حتى أعلم أحيان هما أم قتيلان؟!

ونادى: يا وردان، قدم لواءك قدر قيس قوسي، ولك فلانة ـ جارية له ـ فتقدم بلوائه. فأرسل علي إلى أهل الكوفة: أن احملوا.

وإلى أهل البصرة: أن احملوا. فحمل الناس من كل جانب، فاقتتلوا قتالا شديدا، فخرج رجل من أهل الشام فقال: من يبارز؟!

فخرج إليه رجل من أصحاب علي فاقتتلا ساعة، ثم إن العراقي ضرب رجل الشامي فقطعها، فقاتل ولم يسقط إلى الأرض، ثم ضرب يده فقطعها، فرمى الشامي بسيفه بيده اليسرى إلى أهل الشام ثم قال: يا أهل الشام، دونكم سيفي هذا فاستعينوا به على عدوكم. فأخذوه، فاشترى معاوية ذلك السيف من أولياء المقتول بعشرة آلاف(1).

لكن ابن أعثم يقول:

إن عمرواً بعد أن قال لمعاوية: إني ولدتهم ولم تلدهم.

قال: وتقدم وفي يده اللواء وهو يرتجز ويقول:

هل تغنين وردان عني قبرا أو تغنينَّ عن حبيب مسعرا

(1) صفين للمنقري ص388 و 389 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص53 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص135.

وابــن خــديــج بيننا والمنذرا   إنـــي أرى الـمـــوت أتـاني أحمرا

خـــالطت جمعاً للمسمى حيدرا

قال: فسمع علي شعره فجعل يرتجز ويقول:

يــا عــجبا لقد سمعت منكرا   كـذبا علـى الله يشـيب الشـعرا

يستــرق السمع ويغشى البصرا   مـا كـان يرضـى أحمد لـو خيـرا

أن يــعــدلــوا وصيه والأبترا   شـاني النبـي واللعـين الأخـزرا

كــلاهــمــا بـجنده قد عسكرا   قـد بـاع هـذا دينـه إذ أفجـرا

مــن ذا بــدنـيا بيعه قد خسرا   بملـك مصـر إن أصـابا ظفـرا

إني إذا الـمـوت دنـا وحـضرا   شمرت ثوبي[1] ودعوت قنبرا

لا تــحــسبني يا ابن عاص غمرا   سل بي بدرا ثم سل بي خيبرا

كــانــت قـريش يوم بدر جزرا   إذ وردوا الأمـر فـذموا الصـدرا

قـــدم لـــوائي لا تـؤخر حذرا   لـن يـدفع الحـذار مـا قـد قـدرا

ولا أخـــا الــحـيـلة عما قدرا   لمـا رأيـت المـوت موتـاً أحمـرا

عــبـــأت همــدان وعبوا حميرا   حـي يمــان يعظمــون الخطـرا

قــرن إذا نـــاطــح قرناً كسرا   قـل لابـن حـرب لا تـدب الخمـرا

أرود قـلـيـــلاً أبد منك الضجرا   لـو أن عنـدي يـوم حـرب جعفـرا

أو حـمــزة الـليث الهمام الأزهرا   رأت قـــريـــش نجــم ليــل

---

(1) أضرمت ناري.

ظُهُرا(1)

وكان علي «عليه السلام» إذا أراد القتال هلل وكبر ثم قال:

مـــــن أي يـومي من الموت أفر أيـوم لـم يـقــدر أم يوم قدر(2)

قال ابن أعثم:

ثم صاح علي بالأشتر فحمل في أهل الكوفة، وصاح بعبد الله بن عباس فحمل في أهل البصرة، وحمل علي في أهل الحجاز، فما بقي لأهل الشام صف إلا انتقض.

قال: وجعل أهل الشام ينظر بعضهم إلى بعض، ولا يقدرون على الكلام لما هم فيه من الدهش والهموم.

قال: وترك الناس راياتهم وتفرق أصحاب علي، فصار علي إلى رايات ربيعة، فوقف معهم، وجعل أصحابه يطلبونه فلا يقدرون عليه، وأقبل الأشتر [عدي بن حاتم(3)] جريحاً وهو يلهث من العطش، فلما

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص135 وصفين للمنقري ص43 و 44 لكن المنقري ذكر أن هذه الأبيات قيلت في حديث جرى لعمرو مع فتى في مناسبة بيع عمرو دينه لمعاوية. ولكن ابن أعثم ذكرها هنا على النحو المذكور أعلاه.

(2) صفين للمنقري ص395 وبحار الأنوار ج32 ص508 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص55 وراجع: مستدرك سفينة البحار ج5 ص463 وج8 ص431.

(3) الأخبار الطوال ص186 ووقعة صفين للمنقري ص402.

نظر إلى علي وهو واقف عند ربيعة كبر ثم قال: يا أمير المؤمنين! خيل كخيل، ورجال كرجال، والفضل لنا إلى ساعتنا هذه والحمد لله، فعد إلى مكانك الذي كنت فيه، فإن الناس إنما يطلبونك هنالك.

قال: وأقبل الحسن، والحسين، ومحمد ابن الحنفية، وعبد الله بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، وغيرهم من أهل البيت، وسيوفهم مخضوبة بالدماء، وأنشأ الأشتر يقول:

كل شيء سوى الإمام صغير وهلاك الإمام خطب كبير
قد أصبنا وقد أصيبت لنا اليوم رجال بُزْل حماة صقور
واحد منهم بألف كبير إن ذا من ثوابه لكثير
إن ذا الجمع لا يزال بخير فيه نعمى ونعمة وسرور
من رأى عزة الوصي علي إنه في دجى الحنادس نور
إنه والذي يحج له الناس سراج لذي[1] الظلام منير
من رضاه إمامه دخل الجنة عفواً وذنبه مغفور
بعد أن يقضي الذي أمر الله به ليس في الهدى لخبير[2]

ونص المنقري هنا كما يلي:

واختلط أمرهم حتى ترك أهل الرايات مراكزهم، وأقحم أهل

---

(1) لعل الصحيح: لدى.

(2) راجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص135 و 136 وراجع: المناقب للخوارزمي ص246 و 247 .

الشام من آخر النهار، وتفرق الناس عن علي، فأتى ربيعة [ليلا فكان فيهم، وأقبل عدي ابن حاتم يطلب علياً في موضعه الذي تركه فيه فلم يجده، فطاف يطلبه]، فأصابه في مصاف ربيعة فقال: «يا أمير المؤمنين، أما إذ كنت حياً فالأمر أمم، ما مشيت إليك إلا على قتيل، وما أبقت هذه الوقعة لنا ولهم عميدا، فقاتل حتى يفتح الله عليك، فإن في القوم بقية بعد».

وأقبل الأشعث يلهث جزعاً، فلما رأى علياً هلل وكبر وقال: «يا أمير المؤمنين خيل كخيل، ورجال كرجال، ولنا الفضل [عليهم] إلى ساعتنا هذه، فعد إلى مقامك الذي كنت [فيه]، فإن الناس إنما يظنونك حيث تركوك».

وأرسل سعيد بن قيس [الهمداني إلى علي «عليه السلام»]: «إنا مشتغلون بأمرنا [مع القوم] وفينا فضل، فإن أردت أن نمد أحدا أمددناه».

وأقبل علي على ربيعة فقال: «أنتم درعي ورمحي» - [قال: فربيعة تفخر بهذا الكلام إلى اليوم].

فقال عدي بن حاتم: «يا أمير المؤمنين، إن قوماً أنست [بهم]، وكنت فيهم في هذه الجولة [في هذه الحرب الشديدة]، لعظيم حقهم علينا [عليك].

والله إنهم لصبر عند الموت، أشداء عند القتال»(1).

قال ابن أعثم والمنقري:

وأنشأ رجل من ربيعة [قال المنقري: هو الشني] يقول:

أتـــانـــا أمير المـؤمنين فحسبنا ... علـى النـاس طـراً أجمعين بهـا فضـــلا

عـــلى حين أن زلت بنا النعل زلة ... ولـم تتـرك الحـرب العـوان لنـا [فحــــلا]

وقـــد أكـلت منهم ومنا فوارسا ... كمـا تأكـل النيـران فـي الحطـب الجـــزلا

فـكنـا لـــه في ذلك الوقت جنة ... وكنـا لـه من دون أنفسنا نصلا

فـأبـنـا بفضل(2) لم ير النـاس مثله ... علـى قومنـا طـراً وكنـا لـه أهـلا

وقـــال لنا: أنتـم ربيـعة جنتي ... ودرعـي التـي ألقـي بأعراضـها النـــبلا

ورغبـــه فـيــنــا عدي بن حاتم ... بأمر جميع صدق القول والفعلا

فـإن يك أهل الشام أودوا بهاشم ... وأودوا بتيهــان(3) وأبقـوا لنـا ثكـــلا

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص402 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص136 و 137.

(2) عند المنقري: فأثنى ثناء.

(3) في نص آخر: بعمار.

فــابــن بديل(1) فارس كل بهمة وغيث خزاعي بـه نـدفع المحـلا
فــهــذا عبيد الله والمرء حوشب وذو كــلــع أمسـوا بسـاحتهم قتلى

قال: وجاء الليل، فحجز بين الفريقين(2).

ركب الفرس، بل البغلة!!:

وركب علي «عليه السلام» فرسه الذي كان لرسول الله، وكان يقال له «المرتجز»، ثم تقدم [أمام الصفوف ثم قال: بل البغلة. بل البغلة.

فقدمت له] بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» «الشهباء»، فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله السوداء ثم نادى: أيها الناس، من يشر نفسه لله يربح. هذا يوم له ما بعده. إن عدوكم قد مسه القرح كما مسكم.

فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً [قد] وضعوا سيوفهم على عواتقهم، وتقدمهم علي منقطعاً على بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يقول:

دبــوا دبـيــب النمل لا تقوتوا وأصــبحوا بحــربكم وبيتــوا

---

(1) وعند المنقري: وبابني بديل فارسي كل بهمة.

(2) راجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص137 وصفين للمنقري ص405 و 406.

حـتى تـنـالــوا الثأر أو تموتوا أو لا فـــإني طالمــا عُصِــيت

قـــد قـلتـم لو جئتنا، فجيت لــيــس لكــم مـا شئتم وشيت

بــل مـــا يــريـد المحيي المميت

وتبعه ابن عدي بن حاتم بلوائه وهو يقول:

أبــعـد عـمــار وبـعـد هاشم وابــن بــديل فــارس الملاحــم

نـــرجــو البقاء مثل حلم الحالم وقـد عضضـنـا أمـس بالأبــاهم

فـــاليـوم لا نــقــرع سن نادم ليـــــس امـــرؤ مـــن يومــه بسالم

وتقدم الأشتر وهو يقول:

حــرب بــأسـباب الردى تأجج يهلــك فيهــا البطــل المــدجج

يكـفـيكــهـا همدانها ومذحج قــوم إذا مــا أحمشوها أنضجوا

روحـــوا إلى الله ولا تـــعـرجـوا ديـــن قـــويــم وسـبيل منهج

وحمل الناس حملة واحدة فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض، وأهمدوا ما أتوا عليه حتى أفضى الأمر إلى مضرب معاوية، وعلي يضربهم بسيفه ويقول:

أضـربـهــم ولا أرى مــعـــاوية الأخــــزر الـعـــين العظـــيم الحاوية

هـــوت بـــه فـي النار أم هاوية

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، فلما وضع رجله في الركاب تمثل بأبيات عمرو بن الإطنابة:

أبــت لي عــفــتـي وأبى بلائي وأخـذي الحمـد بـالثمن الـربيح
وإجشـــامي على المكروه نفسي وضـربي هامـة البطـل المشـيح
وقـولي كـلـمـا جشأت وجاشت مكانــك تحمـدي أو تسـتريحي
لأدفــع عــتن مآثر صــالحات وأحمى بعد عن عرض صحيح
بذي شـطـب كلون الملح صاف ونـــفـــس مـــا تـــقر علــى القبيح

[فعدت إلى مقعدي، فأصبت خير الدنيا](1).

وقال: «يا ابن العاص، اليوم صبر، وغداً فخر»!! صدقت، إنا وما نحن فيه كما قال ابن أبي الأقلح:

مــا علتي وأنــا رام نــابــل والقــوس فيهــا وتــر عنابــل
تـــزل عــن صفحتها المعابل المـــوت حـــق والحياة باطل

فثنى معاوية رجله من الركاب ونزل، واستصرخ بعك والأشعريين، فوقفوا دونه وجالدوا عنه، حتى كره كل من الفريقين صاحبه، وتحاجز الناس(2).

---

(1) صفين للمنقري ص403 - 405 و 394 و 395. وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص222 - 224 وج8 ص57 - 59 وبحار الأنوار ج32 ص508 و 535 وراجع: الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص110 و 111 و (تحقيق الشيري) ج1 ص146 و 147.
(2) صفين للمنقري ص403 - 406 وبحار الأنوار ج32 ص511 وشرح نهج

هروب زيد بن عدي إلى معاوية:

وقبل متابعة الحديث عن صفين نشير إلى أنه قد تقدم: أن ابن عدي كان معه لواء في صفين، وأنه قال: أبعد عمار وبعد هاشم، فهل هو طريف بن عدي بن حاتم؟! أو هو زيد بن عدي؟! سيأتي بعض الحديث عن ذلك إن شاء الله.

ولكننا نقول هنا:

إن زيداً هذا هو الذي يقولون: إنه مر بخال له من طيء يقال له: حابس بن سعد فرآه قتيلاً، فوقف عليه ينظر إليه وقال: ليت شعري من قتلك!

فقال رجل من بني حنظلة من أصحاب علي «رضي الله عنه»: أنا قتلته.

قال: ولم قتلته؟!

قال: لأنه من أصحاب معاوية.

قال زيد: وإن كان من أصحاب معاوية فإنه خالي، ثم شد عليه زيد بن عدي فضربه على أم رأسه فقتله، ثم مر هارباً إلى معاوية

البلاغة للمعتزلي ج8 ص59 وراجع مروج الذهب ج2 ص396 والأخبار الطوال ص186 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص111 و (تحقيق الشيري) ج1 ص147 والفتوح لابن أعثم ج3 ص175 و 176 والمناقب للخوارزمي ص243 و 244.

فصار معه.

فسر معاوية بمصير زيد بن عدي إليه، واغتم علي بن أبي طالب «عليه السلام» بقتل الحنظلي، ولهرب زيد بن عدي.

قال: واغتم عدي بن حاتم لذلك غماً شديداً.

وندم زيد بن عدي على ما فعل، فأنشأ يقول:

تطاول ليلي واعتراني وساوسي ببيعي الهدى بالترهات البسابس(1)

فتركي علياً في صحاب محمد وقتلي أخا معن لمصرع حابس

فيا ليت شعري هل لي اليوم توبة أناصح فيها الله [أ] وهو آنسي

فإن تطمعوني اليوم أرجع تائبا ولا أتقي إلا جدار الدهارس

قال: فقام عدي بن حاتم إلى علي «رضي الله عنه».

فقال: يا أمير المؤمنين! إن ابني زيداً لا كلاه الله قد قرر بالظنة وهو موضع التهمة، غير أني إذا ذكرت مكانك من الله عز وجل ومن محمد «صلى الله عليه وآله» ومكاني منك اتسع جناني وطابت نفسي، ووالله لو وقع زيد في يدي لقتلته، ولو كان ميتاً لما حزنت عليه، ثم أنشأ عدي يقول:

أيا زيد قد جرعتني منك غصة وما كنت للثوب المدنس لابسا

---

(1) نسب هذا البيت فقط ومعه أبيات أخرى إلى معاوية.

فليتك لم تخلف[1] وكنت كمن مضى وليتك إذا لم تمض لم تر حابسا

ألا أن قــد أغنى عدي بن حاتم غنـاك وأمسى بـالعراقين دانسـا

وحــامــت عليه جرول وحماتها وأصـبح فــي الأعـداء تفــري الفوانســــــــــــــــــــــــــــــا

نـكصت على العقبين يا زيد ردة وأصــبحت قــد جــدعت منـــا المعاطســــــــــــــــــــــــــــــا

قـتلت امرءاً من خير مرء بحابس فـــأصبحت ممـا كنـت ترجـوه آئسا

قال: فبلغ زيد بن عدي ما قال أبوه، فخشي أن يقتل، فهرب أيضاً من عند معاوية حتى لحق بخيل طيء، ولم يأت أباه حتى مات[2].

وقال المنقري، عن حابس بن سعد:

فشهد مع معاوية صفين، وكانت راية طيء معه، فقتل يومئذ، فمر به عدي بن حاتم، ومعه ابنه زيد بن عدي، فرآه قتيلاً، فقال: يا أبه، هذا والله خالي.

قال: نعم، لعن الله خالك، فبئس والله المصرع مصرعه.

فوقف زيد، فقال: من قتل هذا الرجل ـ مراراً ـ؟!

(1) لعل الصحيح: ليتك لم تخلق.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص137 و 138. وراجع أيضاً: أنساب الأشراف للبلاذري (بتحقيق المحمودي ط سنة 1416هـ ق) ج2 ص523.

فخرج إليه رجل من بكر بن وائل، طوال، يخضب، فقال: أنا والله قتلته.

قال له: كيف صنعت به. فجعل يخبره، فطعنه زيد بالرمح فقتله، وذلك بعد أن وضعت الحرب أوزارها.

فحمل عليه عدي يسبه ويسب أمه ويقول: يا ابن المائقة، لست على دين محمد إن لم أدفعك إليهم.

فضرب [زيد] فرسه فلحق بمعاوية، فأكرمه معاوية، وحمله، وأدنى مجلسه.

فرفع عدي يديه فدعا عليه، فقال: اللهم إن زيداً قد فارق المسلمين، ولحق بالمحلين، اللهم فارمه بسهم من سهامك لا يشوي(1) ـ أو قال: لا يخطئ ـ فإن رميتك لا تنمي(2). لا والله لا أكلمه من رأسي كلمة أبداً، ولا يظلني وإياه سقف بيت أبداً.

قال: وقال زيد في قتل البكري:

فمن مبلغ أبناء طي بأنني ... ثأرت بخالي ثم لم أتأثم

تركت أخا بكر ينوء بصدره ... بصفين مخضوب الجيوب من الدم

وذكرني ثأري غداة رأيته ... فأوجرته رمحي فخر على الفم

---

(1) أشوى: رمى فأصاب الشوى، وهي الأطراف، ولم يصب المقتل.

(2) الإنماء: أن ترى الصيد فيغيب عنك فيموت.

لقد غـادرت أرماح بكر بن وائل قتيلا عن الأهوال ليس بمحجم
قتيـلا يـظل الحي يثنون بعده عليـه بأيـد مـن نـداه وأنعـم
لقـد فجعت طي بحلم ونائل وصاحب غارات ونهب مقسم
لـقـد كان خالي ليس خال كمثله دفـاعـاً لـضيم واحتمـالا لمغرم

قال: ولما لحق زيد بن عدي بمعاوية تكلم رجال من أهل العراق في عدي بن حاتم، وطعنوا في أمره، وكان عدي سيد الناس مع علي في نصيحته وغنائه.

فقام إلى علي، فقال: يا أمير المؤمنين، أما عصم الله رسوله من حديث النفس والوساوس وأماني الشيطان بالوحي؟! وليس هذا لأحد بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله». وقد أنزل في عائشة وأهل الإفك. والنبي «صلى الله عليه وآله» خير منك، وعائشة يومئذ خير مني.

وقد قربني زيد للظن، وعرضني للتهمة. غير أني إذا ذكرت مكانك من الله ومكاني منك ارتفع حناني، وطال نفسي(1). ووالله أن لو وجدت زيداً لقتلته، ولو هلك ما حزنت عليه. فأثنى عليه علي خيراً.

وقال عدي في ذلك:

[أ] يـا زيـد قد عصبتني بعصابة وما كنت للثوب المدنس لابسا

---

(1) لعل الصحيح: وطابت نفسي.

فليتــك لم تخلق وكنت كمن مضى وليتك إذ لم تمض لـم تـر حابسـا
ألا زاد أعـــداء وعـق ابن حاتم أبــاه وأمسـى بـالفريقين ناكسـا
وحـامت عليه مذحج دون مذحج وأصـــبحت للأعـــداء ســـاقا ممارســـــــــــــــــــــــــــا
نكصت على العقبين يا زيد ردة وأصـــبحت قـــد جـــدعت منـــا المعاطســـــــــــــــــــــا
قـتلـت امــرأ من آل بكر بحابس فـــأصبحت ممـــا كنـــت آمـــل آيسا(1)

جارية بن قدامة وعبد الرحمن بن خالد:

قالوا: وأقبل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ومعه لواء معاوية الأعظم، وهو يقول:

أنـأنـا ابأن سأأيف الله ذاكم خالد أضـــرب كـــل قـــدم وساعد

الأبيات.

فاستقبله جارية بن قدامة السعدي وهو يقول:

أثبــت لصدر الرمح يا ابن خالد أثبــت لليــث ذي فلــول حــارد
من أســد خفان(2) شديد الساعد ينصــر خيــر راكــع وســاجد
مَــنْ حــقُّــه عندي كحق الوالد ذاكــم علي كــاشـف الأوابـد

---

(1) صفين للمنقري ص522 - 524 والدرجات الرفيعة ص358 - 360.

(2) خفان: اسم موضع.

واطَّعنا ملياً، ومضى عبد الرحمن، وانصرف جارية، وعبد الرحمن لا يأتي على شيء إلا أهمده، وهو يقول:

إنـــي إذا ما الحرب فرت عن كبر تخـالني أخـزر مـن غيـر خـزر
أقــحـــم والخـطي في النقع كشر كالحية الصماء في رأس الحجر
أحــمـــل ما حملت من خير وشر [كالحيــة الصــماء فـــي أصــل الحجر][1]

فغم ذلك علياً، وأقبل عمرو بن العاص في خيل من بعده فقال: أقحم يا ابن سيف الله فإنه الظفر!

وأقبل الناس على الأشتر، فقالوا: يوم من أيامك الأول، وقد بلغ لواء معاوية حيث ترى.

فأخذ الأشتر لواءه ثم حمل وهو يقول:

إني أنـــا الأشتــر معروف الشتر إنــي أنـا الأفعى العراقـي الـذكر
لســت مـــن الحي ربيع أو مضر لكـنـنـــي من مذحج الغر الغرر

فضارب القوم حتى ردهم على أعقابهم، فرجعت خيل عمرو.

وقال النجاشي في ذلك:

رأيـــت اللـــواء لـــواء العقاب يقحمــــه الشـــانئ الأخــــزر
كـليـــث العرين خلال العجاج وأقبــــل فــــي خيلــــه الأبتــــر

---

(1) صفين للمنقري ص395 و 396 وراجع: المناقب للخوارزمي ص225 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص97.

دعونا لها الكبش كبش العراق وقد خالط العسكر العسكر
فرد اللواء على عقبه وفاز بحظوتها الأشتر
كما كان يفعل في مثلها إذا ناب معصوصب منكر
فإن يدفع الله عن نفسه فحظ العراق بها الأوفر
إذا الأشتر الخير خلى العراق فقد ذهب العرف والمنكر
وتلك العراق ومن قد عرفت كفقع تنبته القرقر

وذكروا: أنه لما رد لواء معاوية ورجعت خيل عمرو اشرأب لعلي همام بن قبيصة، وكان من أشتم الناس لعلي، وكان معه لواء هوازن، فقصد لمذحج وهو يقول:

قد علمت حوراء كالتمثال أني إذا ما دعيت نزال
أقدم إقدام الهزبر الغالي أهل العراق إنكم من بالي
كل تلادي وطريف مالي حتى أنال فيكم المعالي
أو أطعم الموت وتلكم حالي في نصر عثمان ولا أبالي

فقال عدي بن حاتم لصاحب لوائه: ادن مني.

فأخذه وحمل وهو يقول:

يا صاحب الصوت الرفيع العالي إن كنت تبغى في الوغى نزالي
فادن فإني كاشف عن حالي تفدي علياً مهجتي وما لي

وأســــرتي يتبعـــهـا عيـــالي

[قال ابن أعثم: فشتم النميري علياً، فطعنه عدي بن حاتم طعنة في لبته فجدله قتيلاً، ثم رجع عدي إلى موقفه، وأنشأ وجعل يقول:]

لكن المنقري قال:

فضربه وسلب لواءه، فقال ابن حطان وهو شامت به:

أهمام لا تـذكر مدى الدهر فارسا وعض علـى مـا جئتـه بالأبـاهم

سمـا لك يوماً في العجاجة فارس شـديد القفيـز ذو شـجاً وغمـاغم

فـوليتــه لـمـا ســمعت نداءه تقول لـه: خذ يـا عدي بـن حـاتم

فـأصبحت مسلوب اللواء مذبذبا وأعــظـــم بهــذا مــن شــتيمة شاتم

قال ابن أعثم: فاغتم معاوية لمقتل همام بن قبيصة، وقال: ويلي على الأعور، لئن مكنني الله منه لأفعلن ولأصنعن(1).

عدي بن حاتم ومعاوية:

وقال ابن أعثم أيضاً:

فلما كان بعد مقتل علي «رضي الله عنه» أقبل عدي بن حاتم، فدخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص ورجل من بني الوحيد، فسلم عدي فردوا عليه السلام، فقال له معاوية: أبا طريف! ما الذي

---

(1) صفين للمنقري ص395 - 399 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص81 و 82.

أبقى لك الدهر من ذكر علي بن أبي طالب؟!

فقال عدي: وهل يتركني الدهر أن لا أذكره!

قال: فما الذي بقي في قلبك من حبه؟!

قال عدي: كله وإذا ذكر ازداد.

فقال معاوية: ما أريد بذلك إلا إخلاق ذكره.

فقال عدي: قلوبنا ليست بيدك يا معاوية!

فضحك معاوية ثم قال: يا معشر طيء! إنكم ما زلتم تشرفون(1) الحاج ولا تعظمون الحرم.

فقال عدي: إنَّا كنا نفعل ذلك ونحن لا نعرف حلالاً ولا ننكر حراماً، فلما جاء الله عز وجل بالإسلام غلبناك وأباك على الحلال والحرام، وكنا للبيت أشد تعظيماً منكم له.

فقال معاوية: عهدي بكم يا معشر طيء! وإن أفضل طعامكم الميتة.

فقال عمرو بن العاص والرجل الذي عنده من بني الوحيد: كُفَّ عنه يا أمير المؤمنين! فإنه بعد صفين ذليل.

فقال عدي: صدقتم.

ثم خرج عدي من عند معاوية وأنشأ يقول:

---

(1) لعل الصحيح: تسرقون.

يحاولني معاوية بن حرب وليس إلى الذي يرجو سبيل
يذكرني أبا حسن عليا وحظي في أبي حسن جليل
يكاشرني ويعلم أن طرفي على تلك التي أخفي دليل
ويعلم أننا قوم جفاة حراديون ليس لنا عقول
وكان جوابه عندي عتيدا ويكفي مثله مني القليل
وقال ابن الوحيد وقال عمرو عدي بعد صفين ذليل
فقلت صدقتما قد كان ركني وفارقني الذي بهم أصول
ولكني على ما كان مني أبلبل صاحبي بما أقول
وإن أخاكم في كل يوم من الأيام محمله ثقيل

قال: فأرسل إليه معاوية بجائزة سنية وترضاه(1).

إيضاحات:

الرهج الساطع: الغبار الثائر إلى عنان السماء. والشغب والفتنة.

الأخزر: الذي ينظر بمؤخر عينيه.

أفجر: أكذب.

الغمر: من لم يجرب الأمور.

الخمر ـ بفتحتين ـ: ما واراك من الشجر والجبال أو نحوها.

الإرواد: الإمهال.

الجزر: اللحم الذي تأكله السباع.

---

(1) راجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص82 و 83.

البزل: جمع بازل. وهو الرجل الكامل في تجربته.

الحنادس ـ جمع حندس ـ: الليل الشديد الظلمة.

النعمى: الخفض والدعة.

أمم ـ بفتحتين ـ: يسير وسهل.

العوان: الحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى. وهي أشد الحروب.

الجزل: الغليظ العظيم من الحطب.

القرح: عض السلاح.

أحمش الحرب: هيجها. وحمَّش القدر: أشبع وقودها حتى تغلي.

الوتر العنابل: الغليظ الصلب المتين.

المعابل: جمع معبلة، وهو النصل الطويل العريض.

الشطب: هي الخطوط التي في نصل السيف.

البسابس: الباطل.

الدهارس: الدواهي.

دانس: الثوب المتسخ.

فوانس: الظاهر أنها بالقاف، وإنها جمع قونس، وهو أعلى الرأس.

حراديون: هم الذين شيمتهم الغضب.

ليل ذو فلول: لعل المراد: أن له قطعاً تختلف ظلمتها في الشدة

والضعف.

الحارد: المجتمع الخلق الشديد المهيب، الذي تظنه لعزة نفسه غضبان كالليث.

الأوابد: الدواهي الخالدة الذكر. والأمر العظيم الذي يستوحش منه. والغرائب من الكلام.

الشتر: انقلاب جفن العين من أعلى وأسفل، وتشنجه.

الفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة.

القرقر: الأرض المطمئنة اللينة. يقال: إذل من فقع بقرقر، لأن الدواب تدوسه بأرجلها.

نبَّته: نماه، وغذاه حتى نبت.

اشرأبَّ: ارتفع وعلا.

دعيت نزال: دعا داعي الحرب. فإن كلمة نزال: اسم فعل أمر بمعنى: انزل.

القفيز: مكيال ثمانية مكاكيك (جمع مكوك) وهو مقدار صاع ونصف، ولعل في العبارة تصحيفاً عن كلمة القصيرى. وهي أسفل الأضلاع.

الفـــهـــارس

1 - الفهرس الإجمالي
2 - الفهرس التفصيلي

1 - الفهرس الإجمالي

الباب السابع: شهداء.. وقتلى.. وأعلام: نساء.. ورجال..

الفصل الأول: من بطولات المرقال...................................... 9

الفصل الثاني: المرقال شهيداً.. 37

الفصل الثالث: الأنصار قتلت ذا الكلاع.. 73

الفصل الرابع: قبل استشهاد عمار....................................... 99

الفصل الخامس: إستشهاد عمار... 117

الفصل السادس: من حروب صفين.. وحديث الزرقاء.. 153

الفصل السابع: الحرب بعد عمار.. وسودة الهمدانية.. 173

الفصل الثامن: الحرب تستمر.. والحسنان في صفين.. 205

الفصل التاسع: الوقعة الخميسية.. وشهداء كبار..................... 223

الفصل العاشر: أبو أيوب في صفين.. ويزيد في القسطنطينية... 247

الباب الثامن: الحرب مستمرة..

الفصل الأول: لمحات من صفين.. 275

الفصل الثاني: طائفة من أحداث صفين................................ 319

الفهارس:.. 343

2 ـ الفهرس التفصيلي

الباب السابع: شهداء.. وقتلى.. وأعلام: نساء.. ورجال..

الفصل الأول: من بطولات المرقال..

المرقال.. وأهل حمص: 11

إيضاحات: 12

بطانة معاوية وظهارته: 12

قبة لمعاوية، ولا مقر لعلي × : 14

خوف معاوية من المرقال: 15

الحماس.. والخبرة الحربية: 16

عمرو بن العاص يدعو الله!!: 17

هذا هو عبد الله بن عمرو!!: 18

علي × لا يصلي: 19

الحرب عند المساء: 22

صبر المحارب لا يعني أنه محق: 22

حماس الفتى: 23

جواب المرقال: 24

مدى دقة هذا الكلام!: 26

لا خير في أعور لا يأتي الفزع: 28

إيضاحات: 32

أعوراً جباناً:... 33

قومي لا حاجة لي في قتالهم: 35

الرايةالسوداء:.. 36

الفصل الثاني: المرقال شهيداً..

استشهاد هاشم المرقال:... 39

أعوراً وجبناً؟!: 41

لا يهولنكم مسقطي: 43

هاشم وابن عمر:... 45

علي يرثي المرقال: ويؤبن القتلى:... 45

إيضاحات: 48

عبد الله بن هاشم على خطى أبيه:... 49

هل يرغب علي × بقتل المرقال؟!: 49

ربيعة أصحاب اللواء: 53
أعداء القرآن:.. 54
حزب الشيطان: 55
يعالج آثار موته قبل أن يموت:.............................. 56
وصية المرقال: 57
هل تكرر الحدث بتفاصيله؟!: 58
يقاتل رغم الجراح:.. 61
قصة أخرى لابن حنبل: 62
وقصة رابعة أيضاً: 63
الصحابة وراء عمار:....................................... 64
المرقال.. وعبيد الله بن عمر:................................ 65
لمن الرثاء؟!:.. 71

الفصل الثالث: الأنصار قتلت ذا الكلاع..

قتل حوشب ذي ظليم:....................................... 75
قتل ذي الكلاع: 76
معاوية يتوعد عبد الله بن هاشم:............................. 78
ابن المرقال.. ومعاوية:...................................... 79
إيضاحات: 82
الأنصار قتلت ذا الكلاع: 83

أفلت معاوية سليب القلب: 84

معاوية لا يقتل عبد الله بن هاشم: 85

جزع أهل الشام على حوشب وذي الكلاع: 89

ليس هذا جزعاً، بل خوف: 90

لا توازن في فكر أهل الباطل: 92

ما بني على باطل فهو باطل: 95

الفصل الرابع: قبل استشهاد عمار..

وشاحان من در.. ووشاحان من نار: 101

إذا سلك علي × وادياً فاسلكه معه: 104

لماذا وشاحان؟!: 107

عمار يقضي صلوات فاتته: 109

هل يقضي المغمى عليه؟!: 109

الفصل الخامس: إستشهاد عمار..

الرواح إلى الجنة: 119

أبو سماك المخضخض: 119

إخلاص عمار: 120

وصية عمار: 121

هل من رائح إلى الله؟!: 121

قتل عماراً من جاء به:... 124
علي × يؤبِّن عماراً: 127
مراسم الصلاة والدفن:.. 128
من قتل عماراً؟!: 128
سلب عمَّار:.. 129
سيرجع إلينا:... 130
المخضخض يجهز على الجرحى: 131
أرضى الأعمال إلى الله:.. 132
التاريخ يعيد نفسه:... 135
المؤمن يخبر قرب موت بموته: 136
كفنوني وزملوني: 138
من فلج فلجت شيعته: 139
التنزيل والتأويل: 140
حرب التشكيك بمعاني القرآن: 142
ائتوني بآخر رزق لي:.. 143
إذا لم تستح فاصنع ما شئت:.. 143
تكفير من لم يحزن على عمار: 144
يوم البعث والسؤال:... 145
عمار بين أصحاب رسول الله ’:...................................... 146

عمار استحق الجنة مرات كثيرة:.. 146

حتى شاتم عمار في النار:... 147

المتسابقون إلى النار: 148

عبد الله بن عمرو مرة أخرى:... 149

ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً؟!:................................... 149

الفصل السادس: من حروب صفين.. وحديث الزرقاء..

الذين يقيدون أنفسهم:.. 155

تحريض الزرقاء الهمذانية:.. 157

الزرقاء الهمذانية مع معاوية:... 158

إيضاحات: 161

الترحيب بالصلاة:... 161

الذين يقيدون أنفسهم:.. 161

إياكم والفرار، فإنه سبة وعار:.. 163

رضى معاوية: 164

صلاة المطاردة: 165

حرب العشائر:.. 165

معاوية يرفض مشورة مروان: 166

واسترها بستر كثيف: 167

لا أحب المصير إليه: 169

لماذا هذا الترحيب والمحبة؟!: 170

الفصل السابع: الحرب بعد عمار.. وسودة الهمدانية..

استعار الحرب بعد قتل عمار: 175

عك.. وهمدان في الميدان: 177

لهذا بذل معاوية الأموال: 180

سودة الهمدانية ومعاوية: 182

إيضاحات: 186

أشعار القاسطين.. وأشعار المهتدين: 187

إيضاحات: 190

حرب المرتزقة: 192

هذا أيسر المطالب: 193

نتائج وآثار: 194

أنتم درعي ورمحي: 194

حب علي × واتباع الحق: 196

معاوية لا يفهم لغة الحق: 197

الظلم سجية القاسطين: 198

فأين الثريا وأين الثرى؟!: 199
مجرد الشكوى عزلت العامل:... 201
لا تطلب لنفسها ولا لبلدها:.. 203
الفصل الثامن: الحرب تستمر.. والحسنان في صفين..
لا تحبق عناق حولية:.. 207
إيضاح:.. 209
أضربهم ولا أرى علياً:... 209
قطع خطوط الإمداد: 211
للعيون دور حساس: 211
البديل عن قطع خطوط الإمداد:....................................... 212
تسرقون بناتنا: 212
املكوا عني هذين الفتيين: 213
المقصود بانقطاع نسل رسول الله ’: 216
هل هذا النص مكذوب؟!: 217
الفصل التاسع: الوقعة الخميسية.. وشهداء كبار..
وقعة يوم الخميس: 225
استشهاد ابن التيهان:.. 227
استشهاد خزيمة بن ثابت: 229

إيضاحات: 231
لا حول ولا قوة إلا بالله:.. 232
الفتح بالحق: 233
هل جرح علي ×؟!: 233
فرار قادة القاسطين في المعركة الخميسية: 234
تسوية الصفوف:.. 236
الفرار ارتداد عن الحق:.. 236
ابن التيهان من شهداء صفين:... 239
شهداء صفين.. وشهداء أحد: 240
تردد ذي الشهادتين:... 241
ذو الشهادتين ليس مع علي ×:.. 244

الفصل العاشر: أبو أيوب في صفين.. ويزيد في القسطنطينية..

معاوية يهدد وعلي × يفسر:.. 249
جواب أبي أيوب:... 251
إيضاحات: 252
لماذا الإبهام؟!:... 253
يتهم الأنصار بقتل عثمان:.. 254
عدد جيش علي ×:.. 254
زياد مولى؟! أم عربي؟!: 255

معاوية يهدد باستئصال الأنصار:...................................... 256
متى كان التهديد؟!:.. 257
أبو أيوب تحت لواء يزيد:.. 257
هل شهد أبو أيوب صفين؟!:.. 271

الباب الثامن: الحرب مستمرة..

الفصل الأول: لمحات من صفين..

لمحات من قتال صفين: 277
أراه يعني علياً ×:... 278
إيضاحات: 279
ابن جعفر موكل بالخيل:.. 279
صولات وجولات: 280
أشعار قيلت في صفين:... 281
إيضاحات: 285
ابن جعفر يحمل على الخيل: 285
إن يصب أفضل الخيل يقتل:... 287
أجئتم إلينا تسفكون دماءنا؟!: 288
بالفقه يحميهم: 288
هذا هو علي ×:... 289

أصحاب علي × وأصحاب أعدائه:.. 292
أراد أن يذم علياً × فمدحه: 293
الحسّ الإصلاحي لدى أصحاب علي ×:.............................. 294
هلكت العرب:... 295
حمزة بن عتبة.. وابن العاص: 297
إيضاحات: 298
ابن العاص: فاشل في الحرب: 299
عامة من معي يعصيني: 300
علي × في أرجوزة أبي زيد:.. 304
إيضاحات: 305
بماذا ساد علي ×؟!: 308
مجوف الجوف:.. 311
صفات علي ×: 311
لأخرجن إليه ولو قتلني:.. 316

الفصل الثاني: طائفة من أحداث صفين..

أنانية عمرو بن العاص:.. 321
ركب الفرس، بل البغلة!!: 327
هروب زيد بن عدي إلى معاوية:....................................... 330
جارية بن قدامة وعبد الرحمن بن خالد: 335

عدي بن حاتم ومعاوية: 338

إيضاحات: 339

الفهارس..

1 ـ الفهرس الإجمالي... 345

2 ـ الفهرس التفصيلي 347